

«شُكْرُ النِّعَمِ»

كَمَا فَهَمَهُ النَّبِيُّ ﷺ وَأَصْحَابُهُ وَالتَّابِعُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَدْرِكَهُ لَوْلَا إِيمَانُ رَبِّنَا الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لَنُفْلِحَ بِهِ إِلَّا بِإِذْنِهِ



Compiled and Prepared by
Colonel Faisal Murjan

الإهداء

- ❖ إلى من إذا ذكر الله وجل قلبه، وإذا تليت آياته زاده إيماناً...
- ❖ إلى كل قلب عرف أن النعمة من الله، وأن الشكر عبودية قبل أن يكون كلمة.
- ❖ إلى من فقد نعمة فصبر وشكر، ومن أعطي نعمة فتواضع، واستعملها في طاعة الله.
- ❖ إلى من ربى أبنائه على الحمد، وعلمهم أن الشكر باب المزيد.
- ❖ إلى كل مسلم ومسلمة يبحث عن طريق يعيده إلى المنعم، في زمن كثرت فيه الملهيات والمغريات.
- ❖ إلى من حفظ قلبه بالذكر، ولسانه بالحمد، وجوارحه بالطاعة، ونظر إلى من دونه فشكر.
- ❖ إلى من علم أن الشكر ليس كلمة تقال، بل حياة تعاش.
- ❖ إلى كل شاكر وشاكرة... وإلى كل من يريد أن يكون شاكراً...

أهديكم هذا الكتاب.
والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

حقوق الطبع لوجه الله تعالى
مجاني ومتاح للنشر والتوزيع دون قيود
مالية أو حقوق ملكية فكرية

المقدمة:

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على سيد الشاكرين، وإمام الحامدين، نبينا محمد ﷺ، وعلى آله وصحبه ومن سار على هديه إلى يوم الدين.
أما بعد:

فإن نعم الله على عباده لا تُعد ولا تُحصى، وشكره سبحانه حق واجب، وعبادة جليلة، ومقام عظيم من مقامات العبودية. ومع ذلك، فقد غفل كثير من الناس عن حقيقة الشكر، حتى غدا عند بعضهم كلمة تجري على اللسان، دون أن يكون لها أثر في القلب أو الجوارح.
والشكر في حقيقته أوسع من ذلك؛ فهو معرفة بالمنعم، واعتراف بنعمته، وحمد باللسان، وخضوع بالقلب، واستعمال للنعمة فيما يرضيه سبحانه.
ومن هنا جاء هذا الكتاب ليقدم فقه شكر النعم تأصيلًا وتربيةً وتطبيقًا؛ مستندًا إلى كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ، وآثار الصحابة والتابعين، وتقريرات أئمة السلف والعلماء المعبرين، جامعًا بين التأصيل العلمي والتطبيق العملي.
وأهم ما يميز هذا الكتاب أنه لا يختزل الشكر في قول «الحمد لله»، ولا يجعل النعمة غاية في ذاتها؛ بل يربطها بمعرفة المنعم وعبادته، ويوازن بين النعمة والابتلاء، فلا يجعل كل نعمة مادية دليلًا على الرضا، ولا كل بلاء شرًا محضًا.

كما يسعى إلى استحضار واقع المسلم المعاصر، دون إسقاط متكلف للمفاهيم الحديثة على كلام السلف، وإنما بالنظر في صور الغفلة الجديدة وآثارها على علاقة الإنسان بنعم الله.
نسأل الله أن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه، نافعًا لعباده، وأن يرزقنا شكره على نعمه، وحسن عبادته، وأن يجعلنا من القليلين الذين قال فيهم سبحانه:
﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرُونَ﴾^(١)
وصلّى الله وسلم وبارك على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

(١) سورة سبأ: ١٣.

الركائز العقدية للشكر

حقيقة النعمة والشكر في ميزان الشرع

النعمة بين دلالة اللغة واصطلاح الشرع

أولاً: النعمة لغتاً

النعمة في اللغة - كما نص على ذلك أئمة اللغة - تدور على معنى اللين والسرور والرخاء، وتقابلها النعمة التي تدل على الشدة والغضب. يقول ابن فارس في معجم مقاييس اللغة: "النون والعين والميم أصل واحد يدل على لين العيش ورغده"^(١). وفي لسان العرب لابن منظور: "النُّعْمَةُ: الحالة الحسنة، والرِّفَاهِيَّةُ، والخَفْضُ، والدَّعَةُ"^(٢). فالنعمة إذن هي كل ما يلين به العيش، ويُسرُّ به القلب، وتستريح له الجوارح.

ولعل من لطائف اللغة أن النعمة قد تأتي بضم النون (نُعْمَة) وبكسرهما (نِعْمَة)، قال الزجاج: "النُّعْمَةُ: ما أُنْعِمَ به على الإنسان من خير، والنُّعْمَةُ: السَّرَّاءُ والطَّيِّبُ من العيش"^(٣). وهذا التنوع اللفظي يوحي بسعة المعنى، فهو لا يقتصر على المال أو الصحة فقط، بل يتسع ليشمل كل لذة روحية أو مادية يتنعم بها الإنسان.

ثانياً: النعمة شرعاً

أما في اصطلاح الشرع، فالنعمة هي كل خير وإفضال من الله على عباده، سواء كان متعلقاً بالدين أو الدنيا، ظاهراً كان أم باطناً، يشعر به العبد أو لا يشعر. قال الراغب الأصفهاني في مفردات القرآن: "النُّعْمَةُ: ما يَنْعَمُ به الإنسان، أي يَلَذُّ ويعيش به، وأكثر ما يقال في الخير الكثير المتصل بالله تعالى"^(٤). وبهذا المعنى الواسع نزل القرآن الكريم يذكر النعم تارة عامة

(١) أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون، (القاهرة: دار الفكر، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م)، مادة (ن ع م)، ج ٥، ص ٣٠.

(٢) محمد بن مكرم ابن منظور، لسان العرب، (بيروت: دار صادر، د.ت)، مادة (ن ع م)، ج ١٢، ص ٣٤٦. ينظر أيضاً: الفيروزآبادي، القاموس المحيط، مادة (نعم).

(٣) أبو إسحاق الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، تحقيق عبد الجليل عبده شلبي، (بيروت: عالم الكتب، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م)، ج ٣، ص ٢١٥.

(٤) الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، تحقيق صفوان عدنان الداودي، (دمشق: دار القلم، ١٤١٢هـ)، ص ٧٩٧، مادة (ن ع م).

جامعة، وتارة خاصة مفصلة. قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾^(١)، وقال الله تعالى: ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾^(٢) والمتأمل في تعريف الشرع يجد أن النعمة لا تقتصر على ما يلتذ به الإنسان حسًّا، بل تدخل فيها النعم المعنوية كالإيمان والعلم والهداية، بل إن بعض السلف كان يرى أن النعم التي لا يشعر بها الإنسان - كإجراء الماء في عروقه، وتنفس الهواء في رئتيه، وثبات قدميه على الأرض - هي أعظم من النعم التي يشعر بها، لأنها الأصل الذي تقوم عليه سائر النعم.

(١) سورة النحل (١٦: ١٨).

(٢) سورة لقمان (٣١: ٢٠).

أنواع النعم.. تأصيل قرآني

قسم القرآن الكريم النعم إلى تقسيمات بديعة، تفتح للعبد عين البصيرة ليرى فضل ربه في كل شيء:

النوع الأول: النعم الظاهرة والنعم الباطنة: الظاهرة ما تراه العين وتدركه الحواس كالمال والولد. والباطنة ما استقر في القلوب والضمائر كالإيمان واليقين والسكينة. وقد جمع الله بينهما في آية واحدة: ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾. وذكر ابن كثير في تفسيره: "فالظاهرة: ما يتعلق بالظواهر من اللباس والرزق وغيره، والباطنة: ما يتعلق بالقلوب من العلم والإيمان^(١)."

النوع الثاني: النعم الدينية والنعم الدنيوية: الدينية هي ما يتصل بالآخرة كالإسلام والهداية. والدنيوية ما يتصل بمعاش الإنسان في الدنيا كالصحة والمال والأمن. وقد جمع الله بينهما في دعاء الخليل إبراهيم عليه السلام: ﴿وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾^(٢)، فهذه نعمة دنيوية، وقوله: ﴿وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾^(٣)، وهذه نعمة دينية.

النوع الثالث: النعم التي يشعر بها الإنسان والتي لا يشعر بها: ولعل هذا النوع هو أكثر أنواع النعم إغفالاً من الناس. فالإنسان يشعر بالطعام إذا جاع، وبالصحة إذا مرض، وبالمال إذا افتقر، لكنه لا يشعر بنعمة بقاء بصره حتى يوشك أن يفقدها، ولا يشعر بنعمة سمعه حتى يضعف، ولا بنعمة المشي حتى ينكسر رجله. وهذا ما أشار إليه النبي ﷺ بقوله: "من أصبح منكم آمناً في سربه، معافى في جسده، عنده قوت يومه، فكأنما حيزت له الدنيا بحذاقها"^(٤). فهذا الحديث يلفت النظر إلى ثلاث نعم عظيمة يغفل عنها كثيرون: الأمن، والصحة، والقوت.

(١) أبو الفداء إسماعيل بن عمر ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، تحقيق محمد حسين شمس الدين، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٩هـ)، ج ٦، ص ٣٨٠.

(٢) سورة إبراهيم (١٤: ٣٧).

(٣) سورة إبراهيم (١٤: ٣٥).

(٤) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب الزهد، باب ما جاء في القناعة، برقم (٢٣٤٦)، وقال: "حديث حسن صحيح"، وابن ماجه في سننه، كتاب الزهد، برقم (٤١٤١)، واللفظ له، وصححه الألباني في صحيح الجامع، برقم (٥٩٦٤).

حقيقة الشكر بين اللغة والعمل

أولاً: الشكر لغةً

الشكر في اللغة مشتق من مادة (ش ك ر)، وهي تدل على الظهور والزيادة، وكذلك على الثناء على المحسن بما أولاه من المعروف. يقول ابن منظور "الشُّكْرُ: الثَّنَاءُ عَلَى الْمُحْسِنِ بِمَا أَوْلَاهُ مِنَ الْمَعْرُوفِ، وَقِيلَ: هُوَ ضِدُّ الْكُفْرِ"^(١). وقال الزمخشري: "أصل الشكر: الظهور"^(٢)، أي إظهار النعمة والاعتراف بها، وعدم إخفائها أو جحدها.

ثانياً: الشكر شرعاً

أما الشكر في الشرع، فهو معرفة المنعم بالقلب، والثناء عليه باللسان، واستعمال نعمه في طاعته، وعدم التعرض لسخطه بها^(٣). فالشكر ليس مجرد شعور قلبي يختفي في الصدر، ولا مجرد كلمة تطلق على عواهنها، بل هو عمل متكامل يتحقق بثلاثة أركان:

١. شكر القلب: وهو الاعتراف بالمنعم، والإذعان له بأن النعمة منه وحده، وأنه لا شريك له في الإفضال. وهذا الركن هو روح الشكر وأساسه، فمن لم يعرف في قلبه أن الله هو المنعم، وأن ما به من نعمة فمن الله، فقد انتقض شكره من أساسه. قال تعالى: ﴿وَمَا بِكُمْ مِّنْ نُّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾^(٤). وقد روي عن الحسن البصري الشكر: ثناء القلب على الله في السراء، واستعمال الجوارح في طاعة الله^(٥).

٢. شكر اللسان: وهو التحدث بنعم الله، وإظهارها، والثناء على الله بها، والحمد له عليها. قال تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾^(٦). وقد فسرها السلف بأن تتحدث بالنعمة وتظهرها، لا على سبيل الافتخار، بل على سبيل الاعتراف بفضل الله. لكن هل يكفي اللسان وحده؟

(١) ابن منظور، لسان العرب، مادة (ش ك ر)، ج ٤، ص ٤٢٦.
(٢) الزمخشري، أساس البلاغة، تحقيق محمد باسل عيون السود، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٩ هـ)، مادة (شكر)، ص ٢٤٧.
(٣) ينظر في حقيقة الشكر عند العلماء: ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين، ج ٢، ص ١٣٥، حيث عرفه بأنه: "معرفة المنعم، والثناء عليه، واستعمال نعمه في محابه". وتفسير ابن السعدي المسمى بتيسير الكريم الرحمن، عند تفسير آية سورة إبراهيم (٧)، حيث قال: "الشكر: الاعتراف بإنعام الله، والثناء عليه به، وصرفها في طاعته".
(٤) سورة النحل (١٦: ٥٣).
(٥) إنظر ابن أبي الدنيا، كتاب الشكر، تحقيق حسين العوايشة، (بيروت: المكتب الإسلامي، ١٤٠٨ هـ)، ص ٤٥، برقم (١٢)، بسنده إلى الحسن البصري.
(٦) سورة الضحى (٩٣: ١١).

٣. شكر الجوارح : وهو استعمال الأعضاء والجوارح في طاعة الله ، وعدم استعمالها في معصيته . فاليد تشكر الله بأن تنفق في الخير ولا تأخذ الحرام ، والعين تشكره بأن تنظر إلى ما أحله ولا تنظر إلى ما حرمه ، والرجل تشكره بأن تمشي إلى الطاعة ولا تمشي إلى المعصية . قال ابن القيم رحمه الله : "شكر الجوارح : أن تشغلها بطاعة الله ، وتحبسها عن معصيته ، وتستعملها فيما خلقها له" (١)

هل يكفي قول "الحمد لله"؟

من الخطأ الفادح الذي شاع بين كثير من الناس في هذا الزمان - حتى صار كالمعلوم من الدين بالضرورة - أن الشكر يتحقق بمجرد أن يلفظ الإنسان : "الحمد لله" ، أو "شكرًا لله" ، ويظن أنه أدى ما عليه من حق الشكر . وهذا خطأ في فهم حقيقة العبادة التي أمر الله بها .

لقد أراد الله من الشكر أن يكون حياة ، لا مجرد كلمات تنطق بها الشفاه والقلب غافل ، والجوارح عاصية . ألم يقل سبحانه عن سليمان عليه السلام عندما رأى عرش بلقيس مستقرًا عنده : ﴿ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ﴾ (٢) . فجعل الشكر هنا مقابلًا للكفر ، وجعله اختبارًا عمليًا ، لا كلمة عابرة . فهل كان شكر سليمان مجرد قول ؟ كلا ، بل كان استعمالًا للعطاء في طاعة الله ، ودعوة للخلق إلى الإيمان .

ويؤكد هذا المعنى قول النبي ﷺ : "إن الله ليرضى عن العبد أن يأكل الأكلة فيحمده عليها ، ويشرب الشربة فيحمده عليها" (٣) . فالحمد هنا فعل مقرون بالأكل والشرب المباح ، لا أن يقف عند التلفظ به فقط . بل إن الحسن البصري رحمه الله قال بوضوح : "ليس الشكر أن تقول بلسانك : الحمد لله ، ثم تعصيه ، ولكن الشكر أن تطيعه فيما أمر ، وتجتنب ما نهى عنه" (٤) . فهذا الأثر الصحيح عن الحسن يحرر المسألة تحريرًا كاملاً ؛ فمن جمع بين

(١) ابن قيم الجوزية ، مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة ، تحقيق نايف بن أحمد الحمد ، (الرياض : دار العاصمة ، ١٤٢٣هـ) ، ج ١ ، ص ٣٤٨ .

(٢) سورة النمل (٢٧ : ٤٠) .

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ، باب فضل الحمد بعد الطعام ، برقم (٢٧٣٤) ، عن أنس بن مالك رضي الله عنه .

(٤) إنظر ابن أبي الدنيا ، كتاب الشكر ، ص ٤٢ ، برقم (٨) ، واللفظ له ، وهو أثر مشهور عن الحسن البصري رحمه الله .

اللسان والطاعة، فهو الشاكر، ومن فرق بينهما، فهو الكاتم للنعمة أو الكافر بها.

ثمره هذا التأسيس

إن هذا الفقه الدقيق لحقيقة النعمة والشكر هو الذي كان يحرك صحابة رسول الله ﷺ والتابعين لهم بإحسان. لقد كانوا يعرفون أن كل نعمة - صغرت أم كبرت - هي وصية من الله يجب أن تؤدي، وسؤال يوم القيامة: ﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾^(١). كانوا يستشعرون أن النعمة ليست مجرد متعة، بل هي أمانة وعهد، وأن الشكر ليس مجرد رد جميل، بل هو قوام العبودية وملاك السعادة.

فمن عرف النعمة على حقيقتها، لم يغتر بها، ومن عرف الشكر على حقيقته، لم يتكاسل عن أدائه. وعندما يجتمع في قلب العبد المعرفة والعمل، يتحقق قول الله تعالى: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾^(٢)، فتتضاعف النعم، وتحفظ من الزوال، ويمتلئ القلب رضا وسكينة.

(١) سورة التكاثر (١٠٢ : ٨).

(٢) سورة إبراهيم (١٤ : ٧).

حقيقة الشكر ومدارج تحقيقه

مدارج الشكر الثلاثة (القلب واللسان والجوارح)

لقد أجمع السلف على أن الشكر لا يتحقق بأقل من ثلاثة أركان يقوم عليها، هي: شكر القلب، وشكر اللسان، وشكر الجوارح. وقد تعرضنا في النص الماضي تعريفاً موجزاً لها، ولكن هنا نغوص في أعماقها، ونتأمل كيف تتكامل لتكون شخصية الشاكر الحقيقي.

أولاً: شكر القلب - روح العبودية:

إن شكر القلب هو الأصل والأساس، وهو الجذور التي تنبت منها سائر أنواع الشكر. وحقيقته هي المعرفة بالمنعم، والإذعان له، والمحبة له، والاعتراف بأن كل نعمة منه وحده لا شريك له. وليس شكر القلب مجرد تصديق عقلي بارد، بل هو انكسار وتذلل وذوق روحي يملأ جوانح صاحبه. وقد أشار القرآن إلى هذا المعنى بقوله تعالى: ﴿وَمَا بِكُمْ مِّنْ نُّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾^(١)، فجعل الاعتراف القلبي بأن النعمة من الله هو صميم الشكر. يقول ابن القيم رحمه الله: "شكر القلب هو الاعتراف بنعمة الله، والاستسلام له، والخضوع والانقياد، وهذا هو روح الشكر، فإن لم يعرف القلب نعمة الله حق المعرفة، ولم يخضع له، كان شكره كجسد لا روح فيه"^(٢). وإن مما يثمره شكر القلب: دوام مراقبة الله، واستشعار عظمته عند كل نعمة تأتي، فلا يغتر العبد بقوته، ولا ينسى مصدر فضله.

ثانياً: شكر اللسان - ترجمان الضمير:

إذا امتلأ القلب بالاعتراف والمحبة، كان من الطبيعي أن ينطق اللسان بترجمة هذا الشعور. فشكر اللسان هو الثناء على الله، ونشر نعمه، والاعتراف بها قولاً، والحمد عليها ظاهراً وباطناً. قال تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾^(٣). وقد جعل النبي ﷺ الحمد على الطعام والشراب من أعظم صور هذا الشكر، كما في الصحيح أنه ﷺ قال: "إِنَّ اللَّهَ لَيَرْضَى عَنِ الْعَبْدِ أَنْ يَأْكُلَ الْأَكْلَةَ

(١) سورة النحل (١٦: ٥٣).

(٢) ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، تحقيق محمد المعتصم بالله البغدادي، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م)، ج ٢، ص ١٣٨، في منزلة الشكر.

(٣) سورة الضحى (٩٣: ١١).

فَيَحْمَدُهُ عَلَيْهَا، أَوْ يَشْرَبَ الشَّرْبَةَ فَيَحْمَدُهُ عَلَيْهَا" (١). لكن المهم في هذا المقام، أن شكر اللسان لا ينبغي أن يكون مجرد كلمات روتينية تقال على غفلة، بل يجب أن تكون كلمات يشهد لها القلب، وتكون معبرة عن عمق الإحساس بالنعمة. وقد كان من هدي السلف إذا تكلموا بحمد الله، توقفوا وأحضروا قلوبهم، حتى لا يكون حمدهم حمداً بلا معرفة. يقول الحسن البصري: "لسان الشاكر رطب بذكر الله، وقلبه خاشع له" (٢).

ثالثاً: شكر الجوارح - ترجمة المعنى إلى واقع:

وهذا هو الركن الأعظم والأخطر في تحقيق الشكر؛ لأنه يخرج العبادة من دائرة الشعور والقول إلى دائرة الفعل والواقع. شكر الجوارح هو استعمال كل جارحة من جوارح الإنسان في طاعة الله، وصرفها عن معصيته، وتحقيق العبودية بها. فالعين تشكر الله بأن تغض عن الحرام، وتنظر في ملكوت السموات والأرض. والأذن تشكره بأن تسمع الذكر والحكمة، وتصدّ عن سماع اللغو والفحش. واليد تشكره بالعطاء والكتابة والبطش في نصرته الحق. والرجل تشكره بالمشي إلى المساجد وإلى قضاء حوائج الناس. قال ابن كثير في تفسير قوله تعالى: ﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا﴾ (٣): "أي: اعملوا بطاعة الله شكراً له على ما أنعم به عليكم" (٤). وهنا نجد قاعدة ذهبية: ألا نستخدم نعم الله في معصيته، فمن نظر بعينه إلى محرم، فقد كفر نعمة بصره، ومن مشى برجله إلى معصية، فقد كفر نعمة مشيه.

مراتب الشاكرين (الشاكر والشكور)

للشكر في كتاب الله مراتب ودلالات لغوية دقيقة، تفتح لنا آفاقاً واسعة في فهم أخلاق الشاكرين. يأتي الوصف القرآني على صيغتين: شاكر "و" شكور، ولكل منهما دلالة عميقة.

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل الحمد بعد الطعام والشراب، برقم (٢٧٣٤)، عن أنس بن مالك رضي الله عنه، واللفظ له.

(٢) إنظر ابن أبي الدنيا، كتاب الشكر، تحقيق حسين العوايشة، (بيروت: المكتب الإسلامي، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م)، ص ٥١، برقم (٢٢)، عن الحسن البصري موقوفاً عليه.

(٣) سورة سبأ (٣٤: ١٣).

(٤) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، تحقيق محمد حسين شمس الدين، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٩هـ)، ج ٦، ص ٥١٠. ينظر أيضاً: الطبري، جامع البيان، عند تفسير الآية.

• الشاكر : وهو من يؤدي شكر الله على النعم التي أنعم بها عليه، فيأتي بالفعل المطلوب منه شكرًا في أوقات النعم. وهذا وصف عام لكل مؤمن يؤدي حق الله، قال تعالى عن نوح عليه السلام: ﴿إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾^(١)، وعن إبراهيم: ﴿شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ﴾^(٢) فجمع له وصف القنوت والحنيفية مع الشكر.

• الشكور : وهو صيغة مبالغة تدل على الكثرة والمداومة والثبات، أي أن الشكر أصبح وصفًا لازمًا له، لا يغفل عنه في سراء ولا ضراء، ولا تنقطع عنه نعم الله إلا ويقابلها بالشكر. وقد وصف الله نفسه بأنه ﴿شَكُورٌ﴾ في مقابل عباده الشكورين. يقول الراغب الأصفهاني: "الشكور هو الكثير الشكر في السراء والضراء، والذي يشكر الله على النعم وإن قلّت، ويلزم هذه الخصلة"^(٣).

ولنا عبرة عظيمة في قصة نبي الله سليمان عليه السلام، حيث قال بعد أن رأى عرش بلقيس مستقرًا عنده: ﴿هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ﴾^(٤). لاحظ كلمة "أشكر" ولم يقل "أشكور"، بل جعل الأمر اختبارًا لحظيًا، يتجدد في كل نعمة. أما من بلغ مقام "الشكور"، فهو الذي يسبق الشكر النعمة، ويستعد لها، ويستمر عليها، حتى تصير النعمة سببًا في قربه من الله، لا في بعده. قال بعض السلف: "الشاكر يشكر على النعمة الواحدة عشر مرات، والشكور يشكر عشر مرات على النعمة الواحدة، ويزيد"^(٥).

(١) سورة الإسراء (١٧: ٣).

(٢) سورة النحل (١٦: ١٢٠-١٢١).

(٣) الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، تحقيق صفوان عدنان الداودي، (دمشق: دار القلم، ١٤١٢ هـ)، مادة (شكر)، ص ٢٦٣. ينظر أيضًا: الزمخشري، أساس البلاغة، مادة (شكر).

(٤) سورة النمل (٢٧: ٤٠).

(٥) إنظر ابن القيم، مدارج السالكين، ج ٢، ص ١٤١، حيث ذكر أقوال السلف في التفريق بين الشاكر والشكور. وورد هذا الأثر بلفظ قريب عن ابن عباس رضي الله عنهما، رواه ابن أبي الدنيا في الشكر.

مدارج الارتقاء في الشكر

"من شكر النعمة إلى شكر المنع"

وهذا هو اللبّ الروحي الذي يميز الشكر عند السلف عن مجرد الاعتراف بالنعمة. إن مدارج الشكر تبدأ من أسفلها إلى أعلاها، ويمكن تقسيمها إلى ثلاث مراتب سامية:

المرتبة الأولى: شكر النعمة لذاتها: وهذا أن يشكر العبد ربه على نعمة الصحة، أو المال، أو الولد، أو الأمن، فيقول: "الحمد لله على هذه النعمة". وهذه درجة عامة لا يخرج عنها كثير من المؤمنين. لكنها وإن كانت صحيحة، فهي مرتبة المبتدئين، لأنها توقف الشكر عند حدود العطاء المادي.

المرتبة الثانية: شكر النعمة بأن يستعملها في طاعة الله: وهذا أعلى من الأولى، حيث يرى العبد أن النعمة ليست غاية، بل هي وسيلة للقرب من الله، فيستعمل ماله في الصدقة، وصحته في العبادة، وعلمه في تعليم الخير. وقد أشار القرآن إلى هذه المرتبة في قصة داود وسليمان فجعل العمل بطاعة الله هو عين الشكر، لا مجرد القول.

المرتبة الثالثة وأعلاها: شكر المنعم لا مجرد النعمة: وهذه هي مرتبة العارفين والمحبين، حيث لا يرى العبد في الوجود إلا الله، ولا تنظر عين قلبه إلى العطاء بقدر ما تنظر إلى المُعطي. فهو يشكر الله على كونه هو الذي وهب، ويرى في النعمة دليلاً على محبته وجوده وإحسانه، فيقبل على الله نفسه، لا على النعمة وحدها. وهذا هو السر في قول النبي ﷺ: "لَا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ، أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ"^(١). كان ﷺ في شكره لله لا يحصي الثناء، لأنه يرى عظمة المنعم التي تفوق كل نعمة. وقد روي عن ذي النون

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الصلاة، باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه، برقم (٤٨٦)، عن عائشة رضي الله عنها، في دعاء النبي ﷺ في قيام الليل.

المصري: "شكر النعمة أن تشغله النعمة عن نفسها، وتشغله بالمنعم"^(١). وعن بعض السلف: "من شغلته النعمة عن الشكر، فقد انتقض شكره".

ثمرات مدارج الشكر في الدنيا والآخرة

إن السير في هذه المدارج ليس مجرد رياضة روحية، بل هو الطريق المضمون للسعادة في الدنيا والآخرة. فثمرات الشكر تتنوع بحسب المدرج الذي وصل إليه العبد:

• **حفظ النعمة وزيادتها**: وهي الثمرة الظاهرة التي وعد الله بها في قوله: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾^(٢). وهذه الزيادة ليست مادية فقط، بل هي زيادة في البركة، واليقين، والطمأنينة، وهي ما يفتقده كثير من الأغنياء.

• **رضا الله عن العبد**: قال تعالى: ﴿وَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾^(٣)، والجزء من جنس العمل، فشكر العبد لله يوجب شكر الله له، كما قال ﷺ: "إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ: يَا ابْنَ آدَمَ، إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي، غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ مِنْكَ وَلَا أَبَالِي"^(٤) وفي الحديث القدسي: "من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، ومن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم"^(٥)، وهذا من أعلى مراتب الشكر.

• **الأمن من زوال النعمة**: لأن الشكر قيد النعم، فإذا شكر العبد حفظت، وإذا كفر زالت، كما قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: "إن النعمة موصولة بالشكر، فإذا انقطع الشكر انقطعت النعمة"^(٦).

(١) انظر ابن القيم، مدارج السالكين، ج ٢، ص ١٤٠، حيث نقله عن بعض العارفين، وذكره بلفظ: "شكر النعمة أن تشغله النعمة عن نفسها، وتشغله بالمنعم" عن ذي النون المصري، وله طرق في كتب الرقائق.

(٢) سورة إبراهيم (١٤: ٧).

(٣) سورة آل عمران (٣: ١٤٤).

(٤) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب الدعوات، باب في دعاء النبي ﷺ، برقم (٣٥٤٠)، وقال: "حديث حسن غريب"، وصححه الألباني في صحيح الترمذي.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التوحيد، باب قوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾، برقم (٧٤٠٥)، ومسلم في صحيحه، كتاب الذكر والدعاء، برقم (٢٦٧٥)، عن أبي هريرة رضي الله عنه، وهو حديث قدسي.

(٦) انظر ابن أبي الدنيا، كتاب الشكر، ص ٣٨، برقم (٢)، وهذا من كلام علي بن أبي طالب رضي الله عنه المأثور بلفظ: "إن النعمة موصولة بالشكر".

الشكر والتوحيد - العلاقة الجوهرية

الاعتراف بأن المنعم هو الله - أصل التوحيد
إن أولى خطوات الشكر، وأصلها العقدي الأكبر، هو أن يعترف العبد بقلبه ولسانه وجوارحه بأن كل نعمة في الوجود إنما هي من الله وحده، لا شريك له فيها، ولا واسطة تستقل بتأثيرها (وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ) ^(١). وهذا الاعتراف هو عين التوحيد، بل هو حقيقة "لا إله إلا الله" التي لا يتحقق الإيمان بها إلا بها. قال تعالى: ﴿وَمَا بِكُمْ مِّنْ نُّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾ ^(٢) قال ابن القيم في تفسيره لهذه الآية: "هذه الآية تقطع أصول الشرك من القلب، لأنها تجعل النعم كلها من الله، فلا يبقى مع هذا شرك في الربوبية، ولا في الإلهية، ولا في الأسماء والصفات" ^(٣).

وإن مما يبعث على التأمل والعجب، أن الله سبحانه لم يقتصر على إثبات أنه المنعم، بل جعل من عدل عقوبته أن يُعَذَّبَ مَنْ اتَّخَذَ مَعَهُ آلِهَةً أُخْرَى تَزْعُمُ أنها تنعم أو تضر، مع أنهم ليسوا على شيء. قال تعالى عن المشركين: ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ * وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَنْفُسُهُمْ يَنْصُرُونَ﴾ ^(٤). فكيف يشركون بالله من لا يملك لنفسه نفعًا ولا ضرًا؟! هذا من أعظم الجهل بحقيقة النعمة والتوحيد.

الشكر يبطل الشرك الأكبر والأصغر:

إن العبد إذا شكر الله حق الشكر، فإنه بذلك يبطل الشرك الأكبر، لأنه يثبت أن المنعم والمتفضل هو الله وحده، فلا يعبد غيره، ولا يرجو سواه، ولا يتوكل إلا عليه. ويبطل الشرك الأصغر كالرياء، لأن الشاكر الحق لا يرى نعمة إلا من الله، فيخلص له العمل، ولا يطلب جزاءً ولا شكورًا من البشر. وقد حذر النبي ﷺ من الشرك الخفي الذي قد يتسلل إلى القلب أثناء الشكر، فقال: "أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِمَا أَخَوْفُ مَا أَخَافُهُ عَلَيْكُمْ؟ الشَّرْكُ الْأَصْغَرُ"، قَالُوا: وَمَا الشَّرْكُ

(١) سورة البقرة (٢: ١٥٢).

(٢) سورة النحل (١٦: ٥٣).

(٣) ابن قيم الجوزية، مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، تحقيق نايف بن أحمد الحمد، (الرياض: دار العاصمة، ١٤٢٣هـ)، ج ١، ص ٣٠٠، في شرح معنى "لا إله إلا الله".

(٤) سورة الأعراف (٧: ١٩١-١٩٢).

الأَصْغَرُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: "الرِّيَاءُ"^(١). فالرياء في الشكر، كأن يشكر العبد ربه ليقال عنه: "إنه شاكر"، أو ليمدح بين الناس، فهذا ينقص شكره، بل قد يحبط أجره، لأنه جعل النعمة وسيلة لغير الله.

الأسباب لا تستقل بالتأثير - من لوازم التوحيد

ومن أعظم ما يفسد على العبد شكره، ويجرّه إلى الشرك الخفي، أن يظن أن الأسباب هي التي جلبت له النعم، أو أن الوسائل هي التي أوصلته إلى الخير، فينسى المسبب الحقيقي، وهو الله عز وجل. ولذلك نجد القرآن الكريم يحرص على تقطيع هذه الحبال الوهمية التي يربطها الناس بالأسباب، ويجعلهم يرون في الطبيب شافيًا، وفي المال غنيًا، وفي العمل موفقًا. قال تعالى عن إبراهيم الخليل عليه السلام: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾^(٢)، فنسب الشفاء إلى الله، مع أنه هو الذي كان يطلب الدواء والأسباب، ولكنه كان يعلم أن الأسباب لا تستقل بنفع إلا بإذن الله.

وإن من أعظم صور هذا الفقه التوحيدي في الشكر، ما كان يفعله النبي ﷺ عندما تأتيه نعمة: كان يرفع بصره إلى السماء ويقول: "اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ، غَيْرَ مَكْفِيٍّ، وَلَا مُودَّعٍ، وَلَا مُسْتَعْنَى عَنْهُ رَبَّنَا"^(٣) وكان إذا أتاه أمر يسره، خرّ ساجدًا شكرًا لله، ليعلم أن الأمر كله من عنده، لا من تديره هو أو حوله.

الموازنة بين الأخذ بالأسباب والتوكل: والموقف الوسط في هذه المسألة، كما هو منهج السلف، هو الأخذ بالأسباب مع إفراد الله بالتأثير. أي أن يعمل العبد بكل ما أوتي من قوة ووسيلة، ولا يتكاسل، ولكنه في قلبه لا يعلق النتيجة بالأسباب، بل يعلقها بالله. ويشكر الله على ما هيا له من أسباب، ويفوض الأمر إليه. وكان السلف إذا سئلوا عن الأسباب، قالوا: "الأسباب سنن الله، والتوكل عبادة القلب، والجمع

(١) أخرجه أحمد في مسنده، برقم (٢٧٧٠١)، والطبراني في المعجم الكبير، برقم (٨٩٧٨)، عن محمود بن لبيد الأنصاري رضي الله عنه، وصححه الألباني في صحيح الجامع، برقم (٢٦٩٢)، واللفظ له.

(٢) سورة الشعراء (٢٦: ٨٠).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الدعوات، باب الدعاء عند الكرب، برقم (٦٤٤٣)، ومسلم في صحيحه، كتاب الذكر والدعاء، برقم (٢٧٣٠)، عن عائشة رضي الله عنها، واللفظ للبخاري.

بينهما هو السنة^(١). وهذا ما يمنع العبد من الكفران، ويحفظ عليه شكره، فلا ينسب النجاح إلى نفسه، ولا يغتر بقوته، ولا ينسى فضل ربه.

شكر الله وشكر الناس - ميزان التوحيد العملي

من الإشكالات التي تثيرها بعض النفوس الضعيفة، أو التي يستغلها بعض الناس للتفلت من حق الله، قولهم: "إننا نشكر الله، ولكننا لا نشكر الناس، لأننا لا نريد أن نُشرك بالله أحداً". وهذا قول باطل، يخالف النصوص الصحيحة، ويفهم التوحيد فهمًا مشوهًا. إن شكر الله لا ينافي شكر الناس، بل هو من تمام شكر الله أن نشكر من أحسن إلينا من خلقه، لأن الله هو الذي أجرى الخير على أيديهم. قال رسول الله ﷺ: "لَا يَشْكُرُ اللَّهُ مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ" وفي رواية: "مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ، لَا يَشْكُرُ اللَّهَ".^(٢)

النبي ﷺ كان أمة في شكر الناس:

لقد كان النبي ﷺ أشد الناس شكرًا لمن أحسن إليه، حتى مع المشركين. ففي صلح الحديبية، لما أتاه سهيل بن عمرو - وهو مشرك - قال له النبي ﷺ: "هَلُمَّ فَارْتَبِ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ كِتَابًا"، ثم قال لعلي: "اكتب: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ"، فقال سهيل: "لا أعرف هذا، ولكن اكتب: باسمك اللهم"، فقال رسول الله ﷺ: "اكتب: بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ"^(٣) وهذه منتهى التواضع وشكر الناس، مع أنه ﷺ يعلم أن الله هو المنعم، ولكنه كان يوقر من يأتي بالخير ولو كان مشركًا. وكذلك كان ﷺ يشكر أصحابه الذين يخدمونه، ويقول: "مَنْ أَحْسَنَ إِلَيْكُمْ فَكَافِئُوهُ، فَإِنْ مَ تَجِدُوا مَا تُكَافِئُونَهُ فَادْعُوا لَهُ حَتَّى تَرَوْا أَنَّكُمْ قَدْ كَافَأْتُمُوهُ"^(٤). فهذا يدل على أن شكر الناس واجب، وهو من شكر الله، لا أنه مناف له.

١

(١) انظر ابن تيمية، مجموع الفتاوى، تحقيق عبد الرحمن بن قاسم، (المدينة: مجمع الملك فهد، ١٤١٦هـ)، ج ٨، ص ٨٤، حيث فصل القول في الجمع بين الأسباب والتوكل، وهو من كلامه المأثور.

(٢) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في شكر المعروف، برقم (١٩٥٤).

(٣) أخرجه أبو داود، برقم (٤٨١٢)، واللفظ له، عن أبي هريرة رضي الله عنه، وصححه الألباني في صحيح أبي داود.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الصلح، باب صلح الحديبية، برقم (٢٧٣١)، ومسلم في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، برقم (١٧٨٤)، عن البراء بن عازب رضي الله عنهما، واللفظ للبخاري.

(٥) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الأدب، باب في شكر المعروف، برقم (٤٨١٢)، والنسائي في سننه، كتاب الزكاة، برقم (٢٥٦٨)، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، وقال الألباني: "حسن صحيح".

لموازنة العقديّة في هذه المسألة:

يكون شكر الناس على النحو التالي:

١. الاعتراف بفضلهم: أن تعترف بأن فلاناً أحسن إليك، وتشني عليه، وتدعو له، وتكافئه إن استطعت.

٢. رد الجميل: أن ترد المعروف بمثله، أو بأحسن منه، وهذا من أعلى درجات الشكر.

٣. جحود الإحسان: فلا تقل: "ما فعل لي شيئاً"، أو "إنما فعل ذلك لنفسه"، فهذا من الكفران.

٤. معرفة أن منشأ الخير هو الله: فلا تظن أن فلاناً هو الذي أوجد النعمة من ذاته، بل هو سبب، والله هو المسبب، فتشكر الله على ما قيضه لك من سبب، وتشكر السبب على ما بذله من جهد.

وهذا الميزان الدقيق هو الذي يجعل شكر الناس عبادةً لله، لا شركاً به. وقد فصل هذا المعنى الإمام ابن القيم في مدارج السالكين، فقال: "شكر الناس من تمام شكر الله، فإن الله هو الذي أنعم عليك به، فإذا شكرته شكرت الله، وإذا كفرته كفرت الله، فإن نعمته من نعم الله، وكل نعمة من الله، والجزاء على الشكر لله، فشكر الناس شكر لله^(١).

﴿وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾ - تأصيل رباني

هذه الآية العظيمة هي بمثابة العمود الفقري للشكر. فهي ليست مجرد خبر، بل هي عقيدة يجب أن تسري في دماء المؤمنين، وتصبح نظرهم إلى الوجود كلها. إنها تنفي أن يكون لأي مخلوق فضل مستقل في جلب النعم، وتثبت أن كل ما في الكون من خير وبركة وهداية ورزق، فهو من الله وحده. في هذه الآية من الفوائد العقديّة:

- إبطال الشرك في الربوبية: لأن من جعل مع الله شريكاً في خلق النعم أو جلبها، فقد أشرك في الربوبية، وهذه الآية ترد عليه.
- إبطال الشرك في الألوهية: لأن من شكر غيره على نعمة ظن أنها منه، فقد أشرك في العبادة، وهذه الآية تدعو إلى إفراد الله بالشكر.

(١) انظر ابن القيم، مدارج السالكين، ج ٢، ص ١٤٣، في منزلة الشكر، حيث ذكر هذه القاعدة بالفاظ مقاربة.

• إبطال الإعجاب بالنفس: فإن العبد إذا علم أن ما به من نعمة فمن الله، لم يغتر بقوته ولا بذكائه، وعلم أنه مجرد مجرى لنعم الله.
قال الإمام الطبري في تفسيره لهذه الآية: "يعني تعالى ذكره: وما بكم أيها الناس من نعمة من صحة، أو مال، أو أمن، أو عافية، أو غير ذلك، فمن الله وحده، لا من غيره، فلا تشكروا غيره، ولا تشركوا به في عبادته"^(١). وقال ابن سعيدي: "وهذه الآية من أعظم ما يقطع تعلق القلب بغير الله، ويزيل الإعجاب بالنفس، ويوجب شكر الله وحده"^(٢).

(١) الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق أحمد محمد شاكر، (القاهرة: دار المعارف، د.ت)، ج ١٤، ص ٣٥٦، عند تفسير الآية (١٦: ٥٣).

(٢) ابن سعيدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق عبد الرحمن بن معلا اللويحق، (المملكة: دار السلام، ١٤٢٢هـ)، ص ٤٥٦، عند تفسير الآية (١٦: ٥٣).

الفرق بين الشكر والصبر

لعل من أعظم ما يحتاج إليه المسلم في هذا العصر - الذي كثرت فيه الفتن وتلاطمت أمواجه - أن يميّز بين مقامين عظيمين هما الشكر والصبر^(١)؛ فكثير من الناس يخلط بينهما، أو يظن أنهما شيء واحد، أو أن أحدهما يغني عن الآخر. والحق أنهما مقامان متلازمان، يجتمعان في قلب المؤمن، ويفترقان في الموقف والثمرة^(٢).

وكما قال ابن القيم رحمه الله: "الشكر والصبر جناحا المؤمن، لا يقوم إلا بهما، فبالشكر يرتقي إلى الله في النعم، وبالصبر يثبت في البلاء، وهما سيّارا العبد إلى ربه"^(٣). فكلاهما عبادة عظيمة، وكلاهما يقرب العبد إلى ربه، وكلاهما ورد في كتاب الله مقروناً بالثواب الجزيل، لكن لكل منهما مجاله الخاص، ولكل منهما أحكامه ومقتضياته التي تختلف عن الآخر.

تعريف الصبر لغةً وشرعاً

أولاً: الصبر لغةً: الصبر في اللغة يدور على معنى الحبس والمنع. قال ابن فارس: "الصاد والباء والراء أصل واحد يدل على حبس الشيء ومنعه، يقال: صبرت نفسي عن كذا، أي حبستها"^(٤). ومنه قيل: "صبرت فلاناً على الشيء"، أي حبسته عليه. فالصبر في اللغة هو حبس النفس ومنعها من الجزع أو التضجر، وحبسها أيضاً على الطاعة والعبادة.

ثانياً: الصبر شرعاً: هو حبس النفس عن الجزع والتضجر، وحبس اللسان عن الشكوى، وحبس الجوارح عن المعاصي، مع رضا القلب بقضاء الله وقدره، كما عرفه العلماء^(٥). وقد قسم العلماء الصبر إلى ثلاثة أنواع:

(١) انظر <https://share.google/yepQ9nC5qRnwYSo03>

(٢) المرجع السابق

(٣) انظر ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، تحقيق محمد المعتصم بالله البغدادي، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م)، ج ٢، ص ١٣٥، في منزلة الشكر، بتصرف واختصار.

(٤) أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون، (القاهرة: دار الفكر، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م)، مادة (ص ب ر)، ج ٣، ص ٢٤٥.

(٥) ينظر في تعريف الصبر شرعاً: ابن القيم، عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، تحقيق محمد علي الصابوني، (مكة: دار الهدى، ١٤٠٨هـ)، ص ١٢، حيث جمع تعريفات السلف في ذلك. وراجع: الغزالي، إحياء علوم الدين، ج ٤، باب الصبر والشكر، ص ٧٨.

١. **الصبر على طاعة الله:** وهو أن يحمل العبد نفسه على أداء الفرائض والعبادات، ويعزم على المواظبة عليها، ويجاهد نفسه في ذلك.
 ٢. **الصبر عن معصية الله:** وهو أن يحبس العبد نفسه عن الوقوع في المحرمات، ويدفع عن نفسه دواعي الهوى والشهوة.
 ٣. **الصبر على أقدار الله المؤلمة:** وهو أن يصبر العبد على البلاء والمصائب، ولا يجزع ولا يتسخط، بل يرضى بحكم الله، ويحتسب أجره عند الله.
- وهذا التقسيم الثلاثي للصبر يقابله تقسيم مماثل للشكر، كما سنرى في مبحث قادم، ليكون الإيمان كله قائماً على هذين المقامين: شكر على النعم، وصبر على البلاء، وكلاهما في الطاعات.

الفروق الجوهرية بين الشكر والصبر

رغم أن الشكر والصبر يتلازمان في قلب المؤمن، ويجتمعان في كثير من المواقف، إلا أن بينهما فروقاً جوهرية لا بد من تبيينها، وهي كالتالي:

الفرق الأول: في الموقف الزمني: الشكر يكون في أوقات الرخاء والنعم، والصبر يكون في أوقات البلاء والشدة. فالمؤمن إذا أتته نعمة شكر، وإذا أصابه بلاء صبر. وهذا هو ما أشار إليه النبي ﷺ في حديث صهيب الرومي المشهور: "عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءٌ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءٌ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ" ^(١). فهذا الحديث يفرق بين السراء التي تستوجب الشكر، والضراء التي تستوجب الصبر.

الفرق الثاني: في طبيعة الفعل: الشكر هو فعل إيجابي يقوم به العبد في مواجهة النعمة، وهو عمل يقتزن بالحركة والنشاط: اعتراف قلب، وحمد لسان، واستعمال جوارح. أما الصبر فهو فعل سلبي في الظاهر، وإن كان إيجابياً في الحقيقة، لأنه يقوم على الكف والمنع: حبس النفس عن الجزع، وحبس اللسان عن الشكوى، وحبس الجوارح عن المعصية. فالشكر يضيف، والصبر يمنع. وهذا الفرق مهم جداً في فهم منازل المؤمنين.

الفرق الثالث: في الثمرة والنتيجة: ثمرة الشكر هي زيادة النعمة، كما قال تعالى: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ ^(٢). وثمره الصبر هي الأجر العظيم والدرجات العلى، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ ^(٣). فالشكر يزيد النعم في الدنيا، والصبر يرفع الدرجات في الآخرة، وكلاهما خير وبركة.

الفرق الرابع: في درجة العبادة: الشكر هو من أعلى درجات العبادة، وهو الغاية التي خلق الله لها الخلق، كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الزهد والرقائق، باب المؤمن أمره كله خير، برقم (٢٩٩٩)، عن صهيب بن سنان الرومي رضي الله عنه، واللفظ له.

(٢) سورة إبراهيم (١٤: ٧).

(٣) سورة الزمر (٣٩: ١٠).

إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿١﴾، فالشكر هو روح العبادة. أما الصبر فهو سلاح المؤمن في مواجهة المحن، وهو نصف الإيمان كما قال بعض السلف ^(٢). ولكن أيهما أعلى منزلة؟ هذا ما سنفصله في القادم بإذن الله.

(١) سورة الذاريات (٥١: ٥٦).

(٢) إنظر ابن أبي الدنيا، كتاب الصبر، تحقيق محمد خير رمضان يوسف، (بيروت: دار ابن حزم، ١٤١٧هـ)، ص ٢٣، حيث روي عن بعض السلف أنهم قالوا: "الصبر نصف الإيمان"، وهو أثر مشهور. وينظر أيضاً: ابن القيم، عدة الصابرين، ص ١٥.

الشكر والصبر في كلام السلف

كان السلف يتعاملون مع الشكر والصبر بفقّه عميق، يعرفون لكل مقام أهله، ولكل منهج سبيله. وقد ورد عنهم كلام نفيس يوضح الفرق بينهما:

• قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: "الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، فإذا قطع الرأس بطل الجسد، ثم رفع صوته فقال: ألا إنه لا صبر لمن لا شكر له، ولا شكر لمن لا صبر له"^(١). فهذا الكلام يبين الترابط العجيب بينهما، وأن كل واحد منهما لا يقوم بدون الآخر.

• قال الحسن البصري رحمه الله: "الشكر على النعم، والصبر على المصائب، وهو من أعلى الإيمان، فمن صبر وشكر فقد بلغ أعلى الدرجات"^(٢).

• وقال سفيان الثوري: "الصبر والشكر توأمان، لا ينفكان، فمن صبر على البلاء وشكر على الرخاء، فقد استكمل الإيمان"^(٣).

وقد أشار الله تعالى إلى هذا الترابط في سورة الإنسان، حيث قال: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا * إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾^(٤). فجعل الابتلاء والشكر مقترنين، وذكر أن الإنسان إما شاكر وإما كفور، فجعل الكفر مقابل الشكر، والصبر ضمن معنى الشكر لأنه من أنواعه في مواضع البلاء.

كيف يتداخل الشكر والصبر في مواقف البلاء؟

وهذا الأمر هو الأكثر دقة وأهمية في حياتنا العملية. كثيرًا ما يمر المؤمن ببلاء، فيتساءل: هل أشكر الله على هذا البلاء أم أصبر؟ والجواب - كما فهمه السلف - أن الصبر والرضا هما المطلوبان في البلاء، لكن يمكن أن يرقى العبد إلى منزلة أعلى وهي الشكر على البلاء، وذلك بأن يرى في البلاء نعمة خفية: تكفيرًا للذنوب، أو رفعًا للدرجات، أو تذكيرًا بالآخرة، أو إرادة خير منه.

(١) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الصبر، ص ٣١، برقم (١٦)، بإسناد حسن عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، واللفظ له.
(٢) انظر ابن أبي الدنيا، كتاب الشكر، تحقيق حسين العوايشة، (بيروت: المكتب الإسلامي، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م)، ص ٥٣، برقم (٢٧)، عن الحسن البصري رحمه الله.
(٣) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الشكر، ص ٥٥، برقم (٣٢)، عن سفيان الثوري، واللفظ له.
(٤) سورة الإنسان (٧٦: ٢-٣).

وهذا ما فعله سيدنا أيوب عليه السلام، حيث كان في شدة البلاء، فشكا إلى ربه لكنه لم يجزع، كما قال تعالى: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾^(١). فكان يشكو ضره إلى الله، لكنه كان صابراً شاكراً في نفس الوقت، لأنه كان يعلم أن هذا البلاء خير له، فلذلك قيل له: ﴿ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾^(٢)، فكان الجزاء من جنس العمل، صبراً وشكراً.

وقال رسول الله ﷺ: "مَا يُصِيبُ الْمُسْلِمَ مِنْ نَصَبٍ وَلَا وَصَبٍ وَلَا هَمٍّ وَلَا حُزْنٍ وَلَا أَذًى وَلَا غَمٍّ حَتَّى الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا إِلَّا كَفَّرَ اللَّهُ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ"^(٣) فهذا الحديث يبين أن البلاء يكفر الذنوب، وهو نعمة معنوية، فإذا علم العبد ذلك، شكر الله على هذا التكفير، مع صبره على ألم البلاء. والخلاصة أن الصبر والرضا هما الأصل في البلاء، أما الشكر فيأتي من باب أعلى لمن عرف حقيقة الابتلاء، فيكون شاكراً لله على هذا البلاء الذي هو خير له في دينه وآخرته.

الفرق بينهما في واقع العصر

وفي واقعنا المعاصر، نرى أن ثقافة الشكوى انتشرت بشكل كبير، وأصبح الناس يتذمرون من أقل نعمة، وينسون فضل الله عليهم. وكثير من المؤمنين يخلطون بين الشكر والصبر، فيصبرون على البلاء كما هو مفروض عليهم، لكنهم ينسون الشكر في الرخاء! بل إن بعضهم يعتبر الرخاء اختباراً عسيراً، فيغفل عن الشكر، ويعيش في قلق وخوف من زوال النعمة، دون أن يقوم بواجب الشكر الذي يحفظ له نعمته.

هل الشكر أعلى منزلة من الصبر؟

أيهما أرفع وأكمل؟ هذا ما سنحاول بيانه من خلال أقوال أئمة السلف والعلماء، مع ترجيح ما يظهر لنا - والله الموفق - من الأدلة.

(١) سورة الأنبياء (٢١: ٨٣).

(٢) سورة ص (٣٨: ٤٢).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المرضى، باب ما جاء في كفارة المرض، برقم (٥٦٤١)، ومسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض أو حزن أو غيره، برقم (٢٥٧٣)، عن أبي هريرة رضي الله عنه، واللفظ للبخاري.

عرض الأقوال في المسألة

لقد تنازع الناس في الأفضل من الصبر والشكر، وحكى ابن الجوزي في ذلك ثلاثة أقوال، كما نقل ذلك عنه تلميذه ابن القيم رحمهما الله:

القول الأول: أن الصبر أفضل. وهو قول طائفة من العلماء، استدلوا بكثرة النصوص الواردة في مدح الصبر وأهله، فقد ذكره الله في كتابه في نحو تسعين موضعاً، وجعله من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، ووعد أهله بأجر بغير حساب. واستدلوا أيضاً بقول النبي ﷺ: "الطاعم الشاكر بمنزلة الصائم الصابر"، فقالوا: هذا يدل على أن الصبر أعلى منزلة، لأنه ألحق الشاكر بالصابر وشبهه به، ورتبة المشبه به أعلى من رتبة المشبه.

القول الثاني: أن الشكر أفضل. وهو قول آخرين، استدلوا بأن الشكر هو غاية الخلق والأمر، كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾^(١)، وقال: ﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا﴾^(٢)، فجعله غاية للعمل. كما أن الله وصف به خواص خلقه: إبراهيم شاكراً، ونوحاً شكوراً، وجعله سبباً للمزيد من فضله، وجعله نصف الإيمان.

القول الثالث: أنهما سواء. وهو قول ثالث، حكاه ابن الجوزي أيضاً، واستدلوا بقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "لو كان الصبر والشكر بعيرين ما باليت أيهما ركبت."

ترجيح شيخ الإسلام ابن تيمية

فصل ابن تيمية هذه المسألة في معرض مقارنته بين الفقير الصابر والغني الشاكر، فرجح أن الغني الشاكر أفضل من الفقير الصابر؛ لأن الفقير الصابر خيره ونفعه وعبادته لا تتعدى إلى غيره، فهو وحده المستفيد بهذا الصبر، أما الغني الشاكر فخيره متعدٍ إلى الغير، ينفق ماله في سبيل الله، ويساعد الفقراء والأيتام والمساكين.

لكن ابن تيمية لم يطلق القول بأن الشكر أفضل مطلقاً، بل قال: "ليس هذا أفضل من هذا مطلقاً، ولا هذا أفضل من هذا مطلقاً، بل أفضلهما أفضلهما".

(١) سورة الذاريات. (56: 51)

(٢) سورة سبأ (٣٤: ١٣).

فالميزان الحقيقي هو التقوى، فمن كان أتقى لله منهما فهو الأفضل. فقد يكون الصبر في حق شخص أفضل من الشكر، وقد يكون الشكر في حق شخص آخر أفضل من الصبر، بحسب حاله وقدرته ودرجة إيمانه.

منزلة الشكر في مدارج السالكين

وقد نظم ابن القيم رحمه الله هذه المقامات في كتابه مدارج السالكين، وجعلها أربعة مقامات متصاعدة:

١. مقام الصبر: وهو حبس النفس عن الجزع والتسخط، وهو متفق على وجوبه.

٢. مقام الرضا: وهو أعلى من مقام الصبر، وفيه وجوبه نزاع.

٣. مقام الشكر: وهو أعلى من مقام الرضا، فإنه يشهد بالبلىة نعمة، فيشكر المبتلي عليها.

٤. مقام الإحسان إلى المسيء: وهو أعلى المقامات.

وهذا الترتيب يبين أن الشكر في منزلة أعلى من الصبر والرضا، لأن الشاكر لا يرى البلاء إلا نعمة، فيشكر الله عليها، وهذا أرفع من مجرد الصبر عليها أو الرضا بها. فقد قال ابن القيم في مدارج السالكين: "منزلة الشكر وهي من أعلى المنازل، وهي فوق منزلة الرضا وزيادة، فالرضا مندرج في الشكر، إذ يستحيل وجود الشكر بدونه."

وهذا المعنى يتفق مع ما روي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، أنه قال في مقام الشكر: "ذاك مقام الشكر لا مقام الصبر"، أي أن المؤمن الكامل يرقى من الصبر على البلاء إلى الشكر على البلاء، فيرى في المحنة منحة، وفي البلاء عطاء.

الشكر على البلاء - أرفع درجات الشكر

المؤمن العادي يصبر على البلاء، والمؤمن الأعلى منه يرضى به، أما المؤمن الكامل فيرتقي إلى مقام الشكر؛ لأنه يرى في البلاء نعمة خفية: تكفيراً للذنوب، أو رفعاً للدرجات، أو تذكيراً بالآخرة، أو تمحيصاً للإيمان.

وهذا ما أشار إليه ابن القيم رحمه الله عند حديثه عن مقام الشكر، وأنه أعلى من مقام الرضا؛ لأن العبد قد يشهد في البلاء نعمة تستوجب الشكر.

وقد ضرب لنا النبي ﷺ أروع مثال في هذا المقام يوم خرج من الطائف، وقد ناله من الأذى ما ناله، فلم يكن دعاؤه اعتراضاً على قدر الله، وإنما قال في مناجاته: اللهم إليك أشكو ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس، أرحم الراحمين أنت؛ ارحمني، إلى من تكلني؟ إلى عدو يتجهمني، أم إلى قريب ملكته أمري؟ إن لم تكن غضباً عليّ فلا أبالي، غير أن عافيتك هي أوسع لي، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة أن تنزل بي غضبك أو تحلّ عليّ سخطك، لك العتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة إلا بك. ^(١)؛ فكان الألم حاضراً، لكن الرضا بالله والثقة به كانا أعمق وأبقى.

هل نعمة العافية مع الشكر أفضل من البلاء مع الصبر؟

وهذا سؤال فرعي يتفرع عن المسألة الكبرى، وقد ورد الجواب عنه في كلام السلف. قال بعضهم: وجدت الشكر قد قام مقام الصبر، فلما اعتدلاً، كانت العافية مع الشكر أحب إليّ من البلاء مع الصبر. "وهذا يدل على أن نعمة العافية التي تقابل بالشكر، خير من البلاء الذي يقابله الصبر، لأن العافية مع الشكر تجمع بين نعمتين: نعمة العافية، ونعمة التوفيق للشكر عليها. وهذا ما أشار إليه النبي ﷺ في حديثه: "عجباً لأمر المؤمن، إن أمره كله خير، وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له" ^(٢). فالخير في السراء بالشكر، والخير في الضراء بالصبر، وكلاهما خير، لكن العافية مع الشكر تجمع خيري الدنيا والآخرة، بينما البلاء مع الصبر خير في الآخرة فقط.

(١) أخرجه الطبراني (١٣٩/١٤) (١٤٧٦٤)، وابن عدي في ((الكامل في الضعفاء))
(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الزهد والرقائق، باب المؤمن أمره كله خير، برقم (٢٩٩٩)

الشكر والرضا والمحبة

الشكر والرضا والمحبة ليست مجرد مشاعر عابرة تنتاب القلب في لحظات الصفاء، بل هي حقائق إيمانية ثابتة، ومنازل عالية في طريق السير إلى الله، لا يصل إليها إلا من أخلص لله، وعرف نعمه، واستشعر عظمته، وأحب لقاءه. وقد أشار القرآن الكريم إلى هذه الحقائق في آيات متفرقة، وجمعها في مواضع تدعو إلى التأمل، كما قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾^(١)، وقال: ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾^(٢)، وقال: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾^(٣)

فهذه الآيات الثلاث تجمع الشكر، والرضا، والمحبة، وتبين أنها مقامات متكاملة في سلم العبودية. فمن شكر الله وصل إلى رضاه، ومن رضي بالله وصل إلى محبته، ومن أحب الله نال وقربه، وهذه هي الغاية القصوى من خلق الإنسان، كما قال بعض السلف: "الشكر باب الرضا، والرضا باب المحبة، والمحبة باب القرب من الله"^(٤)

حقيقة الرضا - بين اللغة والشرع

الرضا في اللغة هو: خلاف السخط، وهو صفاء القلب وقبوله للقضاء والقدر، من غير ضيق ولا امتعاض. يقول ابن فارس: "الراء والضاد والهمزة أصل واحد يدل على ضد السخط"^(٥). وفي الاصطلاح الشرعي، عرفه ابن القيم بقوله: "الرضا: سكون القلب إلى حكم الله، واستسلامه لقضائه، وطمأنينته بأمره، مع حب لله وثقة به"^(٦).

والرضا ليس معناه أن يتمنى العبد البلاء، أو أن يطلب المحن، بل معناه أنه إذا نزل به البلاء، لم يتسخط عليه، ولم يضطرب قلبه، بل سلم لأمر الله، وعلم أن الله ما ابتلاه إلا لحكمة، وأن الخير فيما اختاره الله له. وهذا ما عبر عنه النبي

(١) سورة آل عمران (٣: ٣١).

(٢) سورة المائدة (٥: ١١٩).

(٣) سورة إبراهيم (١٤: ٧).

(٤) إنظر ابن القيم، مدارج السالكين، ج ٢، ص ١٤٥، وقد ورد هذا المعنى عن بعض السلف بألفاظ متقاربة، وأن الشكر باب الرضا، والرضا باب المحبة.

(٥) أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون، (القاهرة: دار الفكر، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م)، مادة (ر ض ي)، ج ٢، ص ٣٩٧.

(٦) ابن القيم، مدارج السالكين، ج ٢، ص ١٨٠، في شرح منزلة الرضا.

عَنْ اللَّهِ ﷻ فِي قَوْلِهِ: "عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ"....^(١).

وقد ضرب لنا الصحابة أروع الأمثلة في الرضا، فعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: "ما ابتلاني الله ببلاءٍ إلا علمت أنه خير لي، وما أعطاني عطاءً إلا علمت أنه خير لي، لأن الله يعطيني من خزائنه، ويمنعني بحكمته"^(٢).

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الزهد والرقائق، باب المؤمن أمره كله خير، برقم (٢٩٩٩)، عن صهيب بن سنان الرومي رضي الله عنه، واللفظ له.

(٢) إنظر ابن أبي الدنيا، كتاب الرضا، تحقيق محمد خير رمضان يوسف، (بيروت: دار ابن حزم، ١٤١٧هـ)، ص ٤٥، برقم (٢٧)، بإسناد صحيح عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

العلاقة بين الشكر والرضا

بعد أن عرفنا حقيقة الرضا، نأتي إلى السؤال الجوهرى : كيف يرتبط الشكر بالرضا؟ وهل الشكر يلزمه الرضا، أم أن الرضا يلزمه الشكر، أم أنهما متلازمان؟ الجواب - كما فهمه السلف - أن بين الشكر والرضا علاقة عضوية وثيقة، لا ينفك أحدهما عن الآخر، وإن كان الشكر أوسع نطاقاً، والرضا أخص منه. فإن الشكر يشمل: الاعتراف بالنعمة، والثناء على المنعم، واستعمال النعمة في طاعته. أما الرضا فيشمل: قبول قضاء الله وقدره، والاستسلام لحكمه، وعدم التسخط على أقداره.

فإذا شكر العبد على النعمة، فقد تضمن ذلك رضاه بالله رازقاً ومنعمًا، وإذا رضي العبد بحكم الله في البلاء، فقد تضمن ذلك شكره لله على ما اختاره له. ولكن قد يوجد الشكر بدون الرضا في بعض الحالات، كما قد يوجد الرضا بدون الشكر الظاهري، ولكن الكمال أن يجتمعا في قلب المؤمن. يقول ابن القيم رحمه الله: "الرضا من لوازم الشكر، فإن الشكر لا يتم إلا بالرضا بالقضاء والقدر، والرضا بالقضاء والقدر من أعلى مراتب الشكر، فمن رضي بالله رضى تامًا، شكر نعمه، ومن شكر نعمه، رضي بحكمه"^(١).

ولننظر إلى سيدنا أيوب عليه السلام، كيف جمع بين الشكر والرضا في بلائه، فكان صابرًا شاكراً راضيًا، حتى قال الله فيه: ﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾^(٢)، فجمع له الصبر مع الإنابة والتوبة، وهذا من تمام الرضا.

المحبة - روح الشكر وثمره الرضا

وبعد الشكر والرضا، تأتي المحبة كمقام أعلى وأكمل، لأنها هي الروح التي تجعل الشكر عبودية، والرضا عشقًا لله، والطاعة قرينة إلى الله. وقد جعل الله المحبة هي الغاية من كل عبادة، فقال: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾^(٣). فالمؤمنون هم أشد الناس حبًا لله، وهذا الحب هو الذي يدفعهم إلى الشكر الدائم، والرضا الكامل، والطاعة المستمرة.

(١) ابن القيم، عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، تحقيق محمد علي الصابوني، (مكة: دار الهدى، ١٤٠٨هـ)، ص ١٤٢، بتصرف.

(٢) سورة ص (٣٨: ٤٤).

(٣) سورة البقرة (٢: ١٦٥).

والمحبة في اللغة : خلاف البغض ، وهي ميل القلب إلى الشيء مع إثارة على غيره. وفي الشرع: هي ميل القلب إلى الله، وتعظيمه، وإثارة مرضاته على كل شيء، والانقياد لأمره، والاطمئنان إلى ذكره^(١).

والعلاقة بين المحبة والشكر وثيقة جدًا، فمن أحب الله شكره، ومن شكر الله زاد حبه له، كما قال بعض العارفين: "من أحب الله أحب طاعته، ومن أحب طاعته أحب شكره، ومن أحب شكره زاد قرب به إلى الله"^(٢).

وقد ضرب لنا النبي ﷺ أروع مثال في هذا المقام، حين كان يقوم الليل حتى تتفطر قدماه، فيقال له: "أتفعل هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟" فيقول: "أفلا أكون عبدًا شكورًا؟"^(٣). فكان شكره لله هو سبب حبه لله، وحبه لله هو سبب عبادته لله، وعبادته لله هي سبب شكره لله، وهكذا في دائرة من الحب والشكر والعبادة.

كيف تحقق الرضا والمحبة في قلبك؟

قد يقول قائل: هذه المقامات عالية، فكيف لي أن أصل إليها، وأنا الذي أغفل عن النعم، وأتسخط على الأقدار، وأنسى فضل ربي؟ هذا سؤال عملي مهم، وللسلف فيه جواب نافع:

أولاً: كثرة تذكر النعم: من أراد أن يصل إلى مقام الرضا والمحبة، فليكثر من تذكر نعم الله عليه، في كل صباح ومساء، وفي كل لحظة من لحظات حياته. فقد قال تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾^(٤). فالتحدث بالنعم يزيد الشكر، وكثرة الشكر تزيد الرضا، وكثرة الرضا تزيد المحبة.

ثانياً: معرفة أسماء الله وصفاته: كلما ازدادت معرفة العبد بأسماء الله وصفاته، ازداد حبه له، ورضاه بقضائه، وشكره لنعمه. فمن عرف أن الله رحيم، رضي برحمته، ومن عرف أنه كريم، شكر كرمه، ومن عرف أنه حكيم، رضي بحكمته.

(١) انظر في تعريف المحبة: ابن القيم، روضة المحبين ونزهة المشتاقين، تحقيق محمد السيد الجليلند، (القاهرة: دار الحديث، ١٤٢٠هـ)، ص ٣١، حيث جمع أقوال العلماء في حقيقة المحبة.

(٢) انظر ابن القيم، مدارج السالكين، ج ٢، ص ١٤٥، حيث ذكر هذا المعنى عن بعض العارفين، بتصريف.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التهجد، باب قيام النبي ﷺ بالليل، برقم (١١٣٠)، ومسلم في صحيحه، كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، باب فضل التهجد، برقم (٢٨١٩)، عن عائشة رضي الله عنها، واللفظ للبخاري.

(٤) سورة الضحى (٩٣: ١١).

ثالثاً: **التفكر في حكمة البلاء**: من أراد أن يرضى بقضاء الله، فليتفكر في حكمة البلاء، وأن الله ما ابتلاه إلا ليكرمه، أو ليمحصه، أو ليرفعه، أو ليعطيه خيراً مما أخذه. قال تعالى: ﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ (١)

رابعاً: **المواظبة على الذكر والدعاء**: كان من دعاء النبي ﷺ: "اللهم إني أسألك الرضا بعد القضاء" (٢) فدعاء الرضا من أعظم أسباب حصوله، وأن يطلب العبد من ربه أن يرضيه بقضائه، وأن يجعله من الشاكرين.

ثمرات الشكر والرضا والمحبة

إن اجتماع هذه المقامات الثلاثة في قلب المؤمن له ثمرات عظيمة في الدنيا والآخرة، منها:

١. طمأنينة القلب: فالقلب الذي يشكر الله ويرضى به ويحبه، لا تعرفه الهموم والأحزان، لأنه يعلم أن الله معه، وأن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه، فيسلم لأمر الله، ويطمئن إلى قضائه.

٢. زيادة النعم وحفظها: كما وعد الله الشاكرين بالمزيد، فمن شكر ورَضِيَ وأحب، زاده الله من فضله، وحفظ عليه نعمه، ومنعها من الزوال، كما قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: "النعمة موصولة بالشكر، والشكر يتعلق بالمزيد، وهما مقرونان في قرن، فلن ينقطع المزيد من الله حتى ينقطع الشكر من العبد" (٣).

٣. القرب من الله: من أحب الله، قرب به إليه، وأدخله في زمرة أوليائه، ومن رضي بالله، رضي عنه، ومن شكر الله، زاده، وهذه أعظم ثمرة يمكن أن يحصل عليها العبد.

(١) سورة البقرة (٢: ٢١٦).

(٢) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب الدعوات، باب في دعاء النبي ﷺ، برقم (٣٥٠٢)، وقال: "حديث حسن غريب"، وحسنه الألباني في صحيح الترمذي.

(٣) إنظر ابن أبي الدنيا، كتاب الشكر، تحقيق حسين العوايشة، (بيروت: المكتب الإسلامي، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨).

الشكر في القرآن والسنة

الأمر الإلهي بالشكر ونماذجه القرآنية

﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونَ﴾

هذه الآية الكريمة من سورة البقرة هي الأمر الإلهي المباشر بالشكر، وقد جاءت في سياق امتنان الله على المؤمنين بنعمة الإسلام والهداية، كما قال تعالى قبلها: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ * فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونَ﴾^(١). فقد امتن الله أولاً ببعثة النبي ﷺ، وهي أعظم نعمه على هذه الأمة، ثم فرّغ على ذلك الأمر بذكره وشكره.

أولاً: تفسير الآية عند السلف:

قال ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير قوله: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾: "اذكروني بطاعتي، أذكركم بمعونتي". فهذا تفسير عظيم يبين أن ذكر الله ليس مجرد ترديد ألفاظ باللسان، بل هو طاعة لله بقلب الإنسان وجوارحه، وأن جزاء هذا الذكر هو معونة الله للعبد وتوفيقه.

وقال الطبري رحمه الله: "يعني تعالى ذكره بذلك: فاذكروني أيها المؤمنون بطاعتكم إياي فيما أمركم به وفيما أنهاكم عنه، أذكركم برحمتي إياكم ومغفرتي لكم". فأضاف إلى المعنى أن ذكر الله يشمل فعل المأمور وترك المحذور، وجعل الجزاء على ذلك رحمة الله ومغفرته.

وأما قوله: ﴿وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونَ﴾، فقال الطبري: "إن الله ذاكراً من ذكره، وزائداً من شكره، ومعذباً من كفره". فهذه ثلاثة أقسام: الذكر بالطاعة، والشكر بالزيادة، والكفر بالعذاب.

ثانياً: الفقه المستنبط من الآية:

١. قران الذكر بالشكر: جعل الله الذكر والشكر مقترنين في آية واحدة، وكلاهما من أعظم العبادات. وقد قال بعض السلف: "الذكر رأس الشكر، والشكر ثمرة الذكر". فمن ذكر الله كثيراً، كان من الشاكرين، ومن شكر الله، كان من الذاكرين.

(١) سورة البقرة (١٥٢).

٢. الذكر بالجوارح : فسر ابن عباس الذكر بالطاعة، والطاعة تشمل عمل الجوارح كلها، فالصلاة ذكر، والصيام ذكر، والصدقة ذكر، وكل عمل صالح هو ذكر لله . قال تعالى : ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ العنكبوت : ٤٥ ، أي أن ذكر الله بالقلب والجوارح أكبر من كل شيء .
٣. الشكر ضد الكفر : جعل الله الشكر مقابل الكفر، فمن لم يشكر فقد كفر، والكفر درجات : كفر أكبر يخرج من الملة، وكفر أصغر وهو كفران النعمة . وهذا يبين أن الشكر ليس من باب التطوع، بل هو أصل في الدين، وتركه يدخل في باب الكفران .
٤. وعد الله بالذكرى : قال ﷺ في الحديث القدسي " : من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، ومن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم . " فهذا جزاء الذكر : أن يذكر الله عبده، وذكّر الله لعبده أكبر من ذكر العبد لله، كما قال ابن عباس : " ذكر الله إياكم أكبر من ذكركم إياه . "

﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾^(١)

هذه الآية من سورة إبراهيم هي القاعدة الذهبية في باب الشكر، وهي أكثر آية تكرر على ألسنة الناس، ولكن قليل من يفقه معناها العميق. لقد جمعت هذه الآية بين الوعد والوعيد، وبين السبب والمسبب، وبين الدنيا والآخرة، لتكون دستوراً للشاكرين.

أولاً: تفسير الآية عند السلف:

قال الشوكاني في فتح القدير: "فمن شكر الله على ما رزقه وسع الله عليه في رزقه، ومن شكر الله على ما أقدره عليه من طاعته زاده من طاعته، ومن شكره على ما أنعم عليه به من الصحة زاده الله صحة ونحو ذلك". فهذا التفسير يوسع معنى "الزيادة" لتشمل كل أنواع النعم: المال، والطاعة، والصحة، وغيرها.

ثانياً: الفقه المستنبط من الآية:

١. الشكر سبب للزيادة: والزيادة ليست مقصورة على المال فقط، بل تشمل:

زيادة في الإيمان: قال تعالى: ﴿وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى﴾
زيادة في الهداية: قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾
زيادة في البركة: فالشكر يبارك الله في النعم القليلة حتى تصير كثيرة.
زيادة في العافية: كما قال الشوكاني: "زاده الله صحة".

٢. الكفر سبب للعذاب: ﴿وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾. والكفر هنا يشمل:

كفران النعمة: وهو الجحود بها وعدم الاعتراف بأنها من الله.
استعمال النعمة في المعصية: وهو أعظم أنواع الكفران.
نسبة النعمة إلى غير الله: كأن يقول: "نجحت بذكائي" أو "رزقت بعلمي".

(١) سورة إبراهيم (٧).

٣. الشكر ليس قولاً فقط : قال بعض السلف في تفسير ﴿لَيْنْ شَكَرْتُمْ﴾ :
"أَي وَحَدَّثْتُمْ وَأَطَعْتُمْ . " فالشكر هنا فسر بالتوحيد والطاعة ، وهما عمل القلب
والجوارح ، وليس مجرد قول اللسان .
٤. العذاب بسلب النعم : من أعظم عقوبات كفران النعمة أن يسلبها الله
من العبد ، كما قال ابن كثير : " سلبها عنهم . " وقد رأينا ذلك في قصص الأمم
السابقة ، وكثيراً ما نشاهده في واقعنا المعاصر .

﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾

هذه الآية من سورة سبأ هي الأمر بالشكر العملي، وقد خاطب الله بها آل داود - وهم النبي داود وسليمان وأهل بيته - وأمرهم أن يكون شكرهم عملاً لا قولاً فقط. وهي أعظم دليل على أن الشكر عبادة عملية تظهر في الجوارح، وليست مجرد مشاعر في القلب أو كلمات على اللسان.

تفسير الآية عند السلف:

قال ابن كثير رحمه الله: "﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا﴾، أي: وقلنا لهم ... مصدر من غير الفعل، أو أنه مفعول له، وعلى التقديرين فيه دلالة على أن الشكر يكون بالفعل كما يكون بالقول وبالنية. "فهذا يدل على أن الشكر ثلاثة أركان: نية في القلب، وقول باللسان، وفعل بالجوارح.

فالصلاة شكر، والصيام شكر، وكل خير عمله لله شكر. وأفضل الشكر الحمد. "وهذا تفسير عملي يبين أن كل طاعة هي شكر، فالصلاة شكر، والصيام شكر، والصدقة شكر، والجهد شكر، وكل عمل صالح هو شكر لله على نعمه.

الفقه المستنبط من الآية:

١. الشكر عمل وليس قولاً فقط: هذا هو الدرس الأعظم من هذه الآية. فالله لم يقل لآل داود: "قولوا شكراً"، بل قال: ﴿اعْمَلُوا ... شُكْرًا﴾. فجعل الشكر نفس العمل، فالعمل الصالح هو عين الشكر. وقد قال بعض السلف: "الشكر يكون بالفعل كما يكون بالقول وبالنية."

٢. قلة الشاكرين: قال تعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾. فهذه الآية تبين أن الشاكرين قليلون، كما قال في آية أخرى: ﴿وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾ ص: ٢٤. وهذا يدل على أن الشكر ليس بالأمر الهين، بل هو عبادة عزيزة لا يوفق لها إلا القليل من عباد الله.

٣. أمر الله بالشكر مع كثرة النعم: خاطب الله آل داود بالشكر، وهم من أعظم الأنبياء وأكثرهم نعمًا؛ فداود أعطاه الله الملك والنبوة، وسخر له الجبال والطير يسبحن معه، وألان له الحديد. وسليمان أعطاه الله ملكًا لا ينبغي لأحد

من بعده، وسخر له الريح والجن والشياطين. ومع هذه النعم العظيمة، أمرهم الله بالشكر، ليعلم أن كثرة النعم تقتضي كثرة الشكر.

٤. الشكر سبب لحفظ النعم: لما شكر آل داود، حفظ الله لهم النعم، ولما كفر بعضهم بعد ذلك، زالت عنهم. وهذا يؤكد أن الشكر هو الحافظ للنعم، كما قال الحسن البصري: "إن الله ليمتع بالنعمة ما شاء، فإذا لم يشكر عليها قلبها عذاباً، ولهذا كانوا يسمون الشكر: الحافظ، لأنه يحفظ النعم الموجودة."

الشكر عبادة متكاملة - جمع الآيات

وبجمع هذه الآيات الثلاث، يتضح لنا أن الشكر في القرآن ليس مجرد شعور أو قول، بل هو منهج حياة متكامل يقوم على ثلاثة أركان:

١. الذكر بالقلب واللسان: كما في آية البقرة: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي﴾.

٢. الاعتراف بأن النعمة من الله والثناء عليه: كما في آية إبراهيم: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾.

٣. استعمال النعمة في طاعة الله: كما في آية سبأ: ﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا﴾. (١)

وهذه الأركان الثلاثة هي التي تجعل الشكر عبادة متكاملة، وليست مجرد كلمة تقال. وقد جمع ابن القيم رحمه الله هذه المعاني في تعريفه للشكر، حيث قال: "الشكر ظهور أثر نعمة الله على لسان عبده: ثناءً واعترافاً، وعلى قلبه شهوداً ومحبة، وعلى جوارحه انقياداً وطاعة."

(١) سورة سبأ (١٣).

قيام الليل.. مدرسة الشكر الأعلى

لعل أعظم صورة تجسدت فيها عبادة الشكر في حياة النبي ﷺ، هي قيام الليل، تلك العبادة التي كان يقوم بها حتى تتفطر قدماه، فيقال له: أتفعل هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ فيجيب بكلمة خالدة: "أفلا أكون عبدًا شكورًا؟" (١)

أولاً: نص الحديث ورواياته:

عن عائشة رضي الله عنها قالت: "كان النبي ﷺ صلى الله عليه وسلم يقوم من الليل حتى تتفطر قدماه، فقلت له: لِمَ تَصْنَعُ هذا يا رسول الله، وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال: أفلا أحب أن أكون عبدًا شكورًا؟". وفي رواية المغيرة بن شعبة: "صلى النبي ﷺ صلى الله عليه وسلم حتى انتفخت قدماه، فقيل له: أتكلّف هذا وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال: أفلا أكون عبدًا شكورًا؟" (٢)

ثانياً: دلالات الحديث وفقهه:

١. الشكر عبادة قلبية وجسدية: ا قال ابن بطال: "في هذا الحديث أخذ الإنسان على نفسه بالشدة في العبادة وإن أضر ذلك ببدنه"، لأن النبي ﷺ إذا فعل ذلك مع علمه بما سبق له، فكيف بمن لم يعلم بذلك؟

٢. الشكر على النعم يستوجب المزيد من العبادة: ظن من سأل النبي ﷺ عن سبب تحمله المشقة في العبادة، أنه إنما يعبد الله خوفاً من الذنوب وطلباً للمغفرة، فلما تحقق أن الله غفر له، ظن أنه لا حاجة له بالعبادة. فأفادهم النبي ﷺ أن هناك طريقاً آخر للعبادة وهو الشكر على المغفرة وإيصال النعمة. فالشكر على النعم يستوجب المزيد من الطاعة، لا أن يكون سبباً في الركون والكسل.

٣. الشكر بالعمل كما يكون باللسان: قال القرطبي: "في الحديث مشروعية الصلاة للشكر، وفيه أن الشكر يكون بالعمل كما يكون باللسان كما

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، باب فضل التهجد، برقم (٢٨١٩)، عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التهجد، باب قيام النبي ﷺ بالليل، برقم (١١٣٠)، ومسلم في صحيحه، كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، باب فضل التهجد، برقم (٢٨١٩)، عن عائشة رضي الله عنها، واللفظ للبخاري.

قال تعالى: ﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا﴾. "فالنبي ﷺ جعل قيامه لله شكرًا على نعمة المغفرة والاصطفاء، وهذا أرفع درجات الشكر.

٤. الشكر من أعظم منازل العبادة: قال ابن القيم رحمه الله في بيان حقيقة الشكر: "والشكر مبنئ على خمس قواعد: خضوع الشاكر للمشكور، وحبه له، واعترافه بنعمه، وثناؤه عليه بها، وألا يستعملها فيما يكره". والنبي ﷺ جمع هذه القواعد كلها في قيامه، إذ كان خاضعًا لله، محبًا له، معترفًا بنعمه، مثنيًا عليه، ومستعملًا جوارحه في طاعته.

الشكر في السجود.. لحظة الانكسار بين يدي المنعم

كان من هدي النبي ﷺ إذا تجددت له نعمة، أو اندفع عنه بلاء، أو بشر بخير، أن يخر ساجدًا شاكرًا لله. وهذا السجود لم يكن مجرد حركة جسدية، بل كان انكسارًا بين يدي المنعم، واعترافًا بأن كل خير إنما هو من عنده. أولاً: الأدلة على مشروعية سجود الشكر:

عن أبي بكرة رضي الله عنه: "أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا أَتَاهُ أَمْرٌ سُرُورٍ، أَوْ بُشْرَ بِهِ، خَرَّ سَاجِدًا شَاكِرًا لِلَّهِ".^(١)

وفي رواية أخرى: "أَنَّ جَبْرِيلَ قَالَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: مَنْ صَلَّى عَلَيْكَ صَلَّيْتُ عَلَيْهِ، وَمَنْ سَلَّمَ عَلَيْكَ سَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَسَجَدَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شُكْرًا لِلَّهِ".

مواقف سجود الشكر في السيرة:

١. يوم فتح مكة: عندما دخل النبي ﷺ مكة فاتحًا كان شكره لله أن دخل مكة مطأطئًا رأسه على ناقته، متواضعًا لله، ثم اغتسل وصلى صلاة الفتح، والتي كانت شكرًا لله على نعمة الفتح.

٢. عند البشارة بمغفرة أمته: روي أن النبي ﷺ خرج من مكة متوجهًا إلى المدينة، فوصل إلى موضع بسام، فسجد سجدة طويلة، ثم رفع رأسه ودعا، ثم سجد الثانية، ثم الثالثة، فقبل له في ذلك، فقال: "سَأَلْتُ رَبِّي أَنْ يَرْحَمَ أُمَّتِي، فَأَعْطَانِي ثُلُثَهَا، فَسَجَدْتُ شُكْرًا لِلَّهِ، ثُمَّ قُمْتُ فَسَأَلْتُ رَبِّي أَنْ يَرْحَمَ

(١) رواه الخمسة إلا النسائي، وقال الترمذي: "حديث حسن غريب

أُمَّتِي، فَأَعْطَانِي ثُلُثَهَا الثَّانِي، فَسَجَدْتُ شُكْرًا لِلَّهِ، ثُمَّ سَأَلْتُ رَبِّي أَنْ يَرْحَمَ
أُمَّتِي، فَأَعْطَانِي الثُّلُثَ الثَّالِثَ، فَسَجَدْتُ شُكْرًا لِلَّهِ" (١).

٣. عند بشارة جبريل بفضل الصلاة عليه : لما بشره جبريل بأن من صلى
عليه صلاة صلى الله عليه بها عشرًا، خر ساجدًا شكرًا لله.

(١) أخرجه أبو داود (٢٧٧٥)، والبيهقي (٣٩٣٥) واللفظ لهما.

الشكر عند النصر والفرح.. لا تغتر بالنفس

كان النبي ﷺ إذا نزلت به نعمة كان يرد الفضل إلى الله، ويظهر شكره بأبهى صوره. وهذا من أعظم ما يميز الشكر عن الكبر والعجب.

أولاً: شكره عند النصر والفتح:

لما فتح الله على نبيه ﷺ مكة، وكان هذا أعظم نصر تحقق للإسلام، لم يدخلها متكبراً ولا متجبراً، بل دخلها مطأطئاً رأسه على ناقته، حتى إن ذقنه ليكاد يمس واسطة الرحل، تواضعاً لله وشكراً له. ثم اغتسل وصلى ثماني ركعات، وكانت هذه الصلاة شكراً لله على نعمة الفتح.

وقد نزلت سورة النصر تذكيراً له ﷺ بهذه النعمة العظيمة، وأمره بالشكر عليها: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ * وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا * فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ (١) فأمره بالتسبيح والتحميد، وهما من أعظم صور الشكر.

ثانياً: شكره في الرخاء والسعة:

كان من دعائه ﷺ إذا رأى ما يحب: "الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي بِنِعْمَتِهِ تَتِمُّ الصَّالِحَاتُ"، وكان ﷺ إذا أكل طعاماً أو شرب شراباً حمد الله، كما في الصحيح: "إِنَّ اللَّهَ لَيَرْضَى عَنِ الْعَبْدِ أَنْ يَأْكُلَ الْأَكْلَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا، أَوْ يَشْرِبَ الشَّرْبَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا" (٢).

(١) سورة النصر

(٢) أخرجه مسلم (٢٧٣٤)، والترمذي (١٨١٦)، وأحمد (١٢١٦٨) جميعهم بلفظه.

الشكر في العبادة.. حياة كلها لله

لم يكن شكر النبي ﷺ مقصوراً على مواقف النصر والفرح، بل كان شكره متصلاً في كل لحظة من لحظات حياته، في عبادته ومعاملاته، في سره وعلايته.

أولاً: الشكر في الصلاة:

كان ﷺ إذا قام إلى الصلاة، كان شكره لله يتجلى في خشوعه وطول قيامه، حتى تنتفخ قدماه، كما تقدم. وكان إذا سجد أطل السجود، وإذا ركع أطل الركوع، وكان يقول في سجوده: "سُبْحَانَ رَبِّيَ الْأَعْلَى"، وفي ركوعه: "سُبْحَانَ رَبِّيَ الْعَظِيمِ"، وهما من أعظم صيغ التسبيح والتحميد.

ثانياً: الشكر في الدعاء:

كان ﷺ يكثر من الدعاء بالشكر، ومن ذلك دعاؤه في قيام الليل: "اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ قَيِّمُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ" (١)، وكان يختم دعاءه بالحمد لله رب العالمين.

ثالثاً: الشكر في الأذكار اليومية:

كان ﷺ يحرص على أذكار الصباح والمساء، وكان يقول: "اللَّهُمَّ مَا أَصْبَحَ بِي مِنْ نِعْمَةٍ أَوْ بِأَحَدٍ مِنْ خَلْقِكَ، فَمِنْكَ وَحْدَكَ لَا شَرِيكَ لَكَ، فَلَكَ الْحَمْدُ وَلَكَ الشُّكْرُ"، وكان يقول إذا أصبح: "أَصْبَحْنَا وَأَصْبَحَ الْمُلْكُ لِلَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ".

(١) خرجه البخاري (٧٤٩٩)، ومسلم (٧٦٩) باختلاف يسير.

شكر النبي ﷺ للناس

الإسلام دين التوازن، وقد جاءت نصوص الوحيين لتضبط علاقة العبد بربه وعلاقته بالناس في آن واحد. فكما أمر الله بالشكر له، أمر أيضًا بشكر عباده المحسنين، وجعل شكر الناس من تمام شكر الله، بل جعل عدم شكر الناس سببًا في عدم قبول شكر الله. وقد قال رسول الله ﷺ في الحديث المشهور: "لَا يَشْكُرُ اللَّهُ مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ" ^(١). فجعل شكر الناس شرطًا لصحة شكر الله، وجعل جحود إحسان الناس من أعظم الكبائر.

وإن من أعظم ما يميز شخصية النبي ﷺ، أنه كان يشكر الناس على معروفهم، ويكافئ المحسنين، ويعترف بالجميل، ولا يجحد إحسان أحد. وكان يعلم أتمه أن من لم يشكر الناس، فإن شكره لله لا يقبل، وأن من جحد معروف الناس، فإن الله لا يقبل شكره. وهذا الفقه العميق هو الذي ضاع في كثير من مجتمعاتنا اليوم، حيث صار جحود الإحسان هو السمة الغالبة، وصار الناس ينسون المعروف سريعًا، ويجحدون الجميل، ويكفرون بالإحسان.

لا يشكر الله من لا يشكر الناس -

هذا الحديث الشريف هو أصل الموضوع وأساسه، وفيه بيان أن شكر الله لا ينفصل عن شكر الناس، وأن العبد لا يبلغ شكر الله حتى يشكر عباده المحسنين. وقد جاء الحديث بروايات متعددة، تدل على عناية النبي ﷺ بهذا المعنى.

أولاً: نص الحديث ورواياته:

عن عائشة رضي الله عنها، عن النبي ﷺ قال: "مَنْ صَنَعَ إِلَيْكُمْ مَعْرُوفًا فَكَافِئُوهُ، فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا مَا تُكَافِئُونَهُ فَادْعُوا لَهُ حَتَّى تَرَوْا أَنَّكُمْ قَدْ كَفَّاتُمُوهُ" ^(٢) رواه أبو داود والنسائي، وصححه الألباني.

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: "مَنْ أُبْلِيَ بَلَاءً فَذَكَرَهُ فَقَدْ شَكَرَهُ، وَمَنْ كَتَمَهُ فَقَدْ كَفَرَهُ" ^(٣).

(١) أبو داود، السنن، كتاب الأدب، ح (٤٨١١)؛ الترمذي، السنن، كتاب البر والصلة، ح (١٩٥٥).

(٢) أبو داود، السنن، كتاب الأدب، ح (٤٨١٤)؛ أحمد، المسند، ح (٢٢٧١١).

(٣) أبو داود، السنن، كتاب الأدب، ح (٤٨١٢)؛ الترمذي، السنن، كتاب البر والصلة، ح (١٩٥٦).

فهذه الأحاديث الثلاثة تبين شكر الناس بأنواعه: شكرهم بالقول، ومكافأتهم بالفعل، والدعاء لهم عند العجز، والاعتراف بمعروفهم وذكره. وقد حرم النبي ﷺ جحود الإحسان، وجعله من الكفر.

ثانياً: تفسير الحديث عند العلماء:

قال الخطابي رحمه الله في شرح الحديث: "معناه: أن من عادته وعاداته ترك شكر من أحسن إليه، فإنه لا يشكر الله؛ لأن شكر الله أكرم وأجل من أن يكون عند من لا يشكر الناس، فمن لا يشكر الناس كيف يشكر الله؟".

وقال ابن بطال رحمه الله: "شكر الناس واجب، ولا يسقط شكر الله مع ترك شكر الناس، ولكن من لا يشكر الناس لا يكون من الشاكرين لله؛ لأنه إذا كان لا يرى لمن أحسن إليه حرمة ولا حقاً، فكيف يرى لله حرمة ولا حقاً؟". وقال ابن القيم رحمه الله: "شكر الناس من شكر الله، فإن من شكر الناس على إحسانهم، إنما يشكر الله الذي قدر ذلك الإحسان على أيديهم، وتفضل به على المحسن والمحسن إليه".

وقال النووي رحمه الله: "فيه الحث على مكافأة المحسن، والثناء عليه بما فعل، والدعاء له، والاعتراف بحقه".

ثالثاً: العلاقة بين شكر الله وشكر الناس:

جاءت نصوص الوحيين لتضبط هذه العلاقة بدقة، فالشكر لله هو الأصل، وشكر الناس هو فرع عنه. فمن شكر الناس مع علمه أن الله هو المسبب، فقد شكر الله، ومن جحد شكر الناس فقد كفر نعمة الله. وقد بين الله تعالى هذه العلاقة في قوله: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ الحديد: ١١، فجعل الإحسان إلى الناس قرضاً لله، وجعل جزاءه مضاعفاً. فمن أحسن إلى الناس، فقد أحسن إلى الله، ومن شكر الناس، فقد شكر الله.

كيف كان النبي ﷺ يشكر الناس؟

كان النبي ﷺ أروع مثال في شكر الناس، وكان يحرص على الاعتراف بمعروفهم، ومكافأتهم، والدعاء لهم، والثناء عليهم. ولنقف مع نماذج من سيرته العطرة:

أولاً: شكره لأصحابه:

كان النبي ﷺ يثني على أصحابه، ويعترف بفضلهم، ويشكرهم على عطائهم وتضحياتهم. ومن أروع الأمثلة على ذلك، ما فعله مع أبي بكر الصديق رضي الله عنه، حيث قال: "مَا نَفَعَنِي مَالٌ قَطُّ مَا نَفَعَنِي مَالُ أَبِي بَكْرٍ". وفي رواية: "مَا نَفَعَنِي مَالٌ قَطُّ مَا نَفَعَنِي مَالُ أَبِي بَكْرٍ، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا، وَلَكِنَّ أُخُوَّةَ الْإِسْلَامِ" (١). رواه البخاري ومسلم. فهذا اعتراف بالنعمة، وشكر للمعروف، وإعلان بفضل الصديق على الأمة كلها.

وكان ﷺ يشكر عائشة رضي الله عنها على عطائها وكرمها، وكان يذكر فضلها على غيرها. وقد روى البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت: "مَا غُرْتُ عَلَى أَحَدٍ مِنْ نِسَاءِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا غُرْتُ عَلَى خَدِيجَةَ، وَمَا رَأَيْتُهَا، وَلَكِنْ كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُكْثِرُ ذِكْرَهَا" (٢).

ثانياً: شكره للنساء:

كان النبي ﷺ يشكر النساء على معروفهن، ويعترف بفضلهن. وقد روى البخاري عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال للنساء: يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ، تَصَدَّقْنَ، فَإِنِّي رَأَيْتُكُنَّ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ. فقالت امرأة منهن: "وَلِمَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟" قال: "بُكَثِرْنَ اللَّعْنُ، وَتَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ" (٣). فهذا الحديث وإن كان فيه تحذير من صفات معينة في النساء، إلا أنه يدل على أن شكر العشير (الزوج) من أعظم ما يجب على المرأة، وأن كفره من أكبر الذنوب.

(١) البخاري، الصحيح، ح (٣٦٦٢)؛ مسلم، الصحيح، ح (٢٣٨٢).

(٢) البخاري، الصحيح، كتاب مناقب الأنصار، ح (٣٨١٨).

(٣) البخاري، الصحيح، ح (٣٠٤)؛ مسلم، الصحيح، ح (٧٩).

ثالثاً: شكره لغير المسلمين

كان النبي ﷺ يشكر غير المسلمين أيضاً على معروفهم، فمن ذلك ما فعله مع النجاشي ملك الحبشة، حين آوى المسلمين وهاجرهم، ودعا له النبي ﷺ بالرحمة والمغفرة. فقد ثبت أن النبي ﷺ استغفر للنجاشي لما مات ^(١)، وصلى عليه صلاة الغائب ^(٢). كما كان من شكره لمعروف غير المسلمين ما فعله مع هرقل ملك الروم، حين كتب إليه يدعوه إلى الإسلام، وأثنى على حسن استقباله لوفد قريش، كما في قصة أبي سفيان بن حرب مع هرقل ^(٣)، حيث قرأ هرقل كتاب النبي ﷺ ^(٤)، وأظهر حسن استماعه وتفهمه. وكان النبي ﷺ يقبل الهدية من غير المسلمين ويثيب عليها رابعاً: شكره للخدم والضعفاء:

كان النبي ﷺ يشكر الخدم والضعفاء على معروفهم، ولو كان صغيراً. فعن أنس بن مالك رضي الله عنه، أن النبي ﷺ كان إذا أتاه أهل بيت من الأنصار بطعام، أكل ودعا لهم ^(٥) وكان ﷺ يسأل الله حب المساكين، ويقول: "اللهم إني أسألك فعل الخيرات، وترك المنكرات، وحب المساكين" ^(٦). وكان يقول: "ابغوني الضعفاء؛ فإنما ترزقون وتنصرون بضعفائكم" ودعا للأنصار وأبنائهم ونسائهم بالخير والبركة ^(٧)

(١) الطبراني، المعجم الكبير؛ ابن عساکر، تاريخ دمشق. وينظر: الكاندلوي، حياة الصحابة.
(٢) البخاري، الصحيح؛ مسلم، الصحيح. وينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء؛ ابن حجر، الإصابة.
(٣) البخاري، الصحيح، حديث بدء الوحي. وينظر: ابن حجر، فتح الباري.
(٤) البخاري، الصحيح. وينظر: ابن كثير، البداية والنهاية.
(٥) ابن حبان، الصحيح؛ النسائي، السنن الكبرى.
(٦) أبو داود، السنن؛ الترمذي، السنن. وينظر: الترمذي، الشمائل؛ القاضي عياض، الشفا.
(٧) البخاري، الصحيح، ح (٢١٣٠)؛ مسلم، الصحيح؛ مالك، الموطأ.

مكافأة المحسنين.. من تمام الشكر

لم يكن شكر النبي ﷺ للناس مقتصرًا على القول والدعاء، بل كان يشكرهم بالفعل، ويكافئهم على معروفهم، ويرد لهم الجميل. وهذا من أعظم ما يدل على فقهه العميق في شكر الناس.

أولاً: أمره بمكافأة المحسن:

قال رسول الله ﷺ: "مَنْ صَنَعَ إِلَيْكُمْ مَعْرُوفًا فَكَافُوهُ، فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا مَا تُكَافِيُونَهُ فَادْعُوا لَهُ حَتَّى تَرَوْا أَنَّكُمْ قَدْ كَافَأْتُمُوهُ" (١) رواه أبو داود والنسائي. وفي رواية أخرى: "مَنْ أَتَى إِلَيْكُمْ مَعْرُوفًا فَكَافُوهُ" (٢) فهذه الأحاديث تبين أن المكافأة واجبة بقدر الاستطاعة، وأن الدعاء عند العجز يقوم مقامها.

ثانياً: تطبيقاته العملية:

- كان النبي ﷺ إذا أهدي إليه شيء، كافئ عليه بأحسن منه، أو دعا له بالخير. فعن عائشة رضي الله عنها قالت: "كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْبَلُ الْهَدِيَّةَ، وَيُثِيبُ عَلَيْهَا" رواه البخاري.
- كان إذا أكل طعاماً عند أحد، دعا له وبارك له في طعامه وبيته وأهله.
- كان يرد الجميل لمن أحسن إليه، كما فعل مع أبي بكر وعمر وغيرهما من الصحابة.

ثالثاً: الدعاء للمحسنين:

كان النبي ﷺ يكثر من الدعاء للمحسنين، وخاصة من يهدون إليه أو يطعمونه. فعن أنس بن مالك رضي الله عنه، أن النبي ﷺ كان إذا أكل طعاماً عند قوم، قال: "اللَّهُمَّ بَارِكْ لَهُمْ فِي مَا رَزَقْتَهُمْ، وَاعْفِرْ لَهُمْ وَارْحَمْهُمْ" رواه مسلم. ودعا لأهل المدينة بالبركة في مكياهم وصاعهم ومدهم.

(١) أبو داود، السنن، ح (٤٨١٤)؛ النسائي، السنن؛ الألباني، صحيح الترغيب، ح (٢٠٢٢).
(٢) أحمد، المسند؛ أبو داود، السنن؛ الألباني، صحيح الجامع.

جُحود الإحسان.. من أعظم الكبائر

كان النبي ﷺ يحذر من جحود الإحسان، ويجعله من أعظم الكبائر، بل من الكفر الأصغر. وقد قال ﷺ: "مَنْ أُبْلِيَ بَلَاءً فَذَكَرَهُ فَقَدْ شَكَرَهُ، وَمَنْ كَتَمَهُ فَقَدْ كَفَرَهُ". رواه أبو داود والترمذي. وجاء في الحديث الآخر: "لَا تَكْفُرُوا بِاللَّهِ، وَلَا تَكْفُرُوا الْعَشِيرَ". رواه ابن حبان. وكفر العشير: هو جحود إحسانه وعدم شكره.

أولاً: أنواع جحود الإحسان:

١. نسيان المعروف: أن ينسى الإنسان ما صنعه له الناس.
٢. إنكار المعروف: أن ينكر أن فلاناً أحسن إليه، أو يقلل من شأن إحسانه.
٣. مقابلة الإحسان بالإساءة: أن يقابل المحسن بالكفران والجحود.
٤. نسبة الإحسان إلى غير المحسن: أن ينسب العبد معروف الناس إلى غيره، فيجحد حق المحسن.

ثانياً: عاقبة جحود الإحسان:

١. سخط الله: لأن من جحد إحسان الناس، فقد جحد نعمة الله التي جرت على أيديهم.
٢. زوال النعم: كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ إبراهيم: ٧. وكفران النعم يشمل كفران نعم الناس أيضاً.
٣. فقدان الثقة بين الناس: فمن لا يشكر الناس، يفقد ثقتهم، ويجفو الناس عنه، ويصير وحيداً بينهم.
٤. ردع الناس عن الإحسان: فإذا رأى الناس أن المعروف يجحد، كفوا عن الإحسان، وفسدت العلاقات بين الناس.

شكر الناس في واقع العصر

في واقعنا المعاصر، انتشرت ثقافة الجحود بين الناس، وصار الكثيرون ينسون المعروف بسرعة، بل صار بعضهم يقابل الإحسان بالإساءة، أو ينسب الفضل إلى نفسه، وينسى من أحسن إليه. وهذا من أعظم الأسباب في فساد العلاقات الاجتماعية، وانتشار البغضاء والكراهية بين الناس. وقد يكون من أعظم أسباب هذه الظاهرة:

- الغفلة عن النعم: فالناس لا يتأملون النعم التي أنعم الله بها عليهم، ولا يشكرونه عليها، فضلاً عن شكر الناس.
- الأنانية وحب الذات: فالإنسان المعاصر أصبح أنانيًا، يرى أن كل شيء من حقه، وأن الناس ملزمون بالإحسان إليه، فلا يشكرهم على إحسانهم.
- كثرة وسائل الإلهاء: فوسائل التواصل الاجتماعي تشغل الناس عن التفكير في النعم، وعن شكر الناس، وتبعدهم عن التألف والتعارف.
- ثقافة الاستحقاق: حيث يظن الناس أن الإحسان من حقهم، لا فضل من المحسن عليهم، وهذا من أعظم موانع الشكر.

العلاج العملي:

١. ابدأ بشكر من حولك: زوجتك، أولادك، أهلك، جيرانك، زملاءك في العمل.
٢. احتفظ بذكرى المعروف في قلبك، ولا تنساه، وتحدث به على سبيل الاعتراف بالجميل، لا على سبيل الافتخار.
٣. كافئ من أحسن إليك بإحسان مثله أو أفضل، وإذا لم تستطع، فادع له بالخير، وأظهر له شكرك.
٤. لا تنسب الفضل إلى نفسك، بل اعترف بفضل الله أولاً، ثم بفضل من جعله الله سببًا في الخير لك.

قصص الأنبياء في الشكر

القرآن الكريم لم يقتصر على الأمر بالشكر والأمر به، بل ضرب لنا أروع الأمثلة في سير الأنبياء، الذين كانوا قدوات في الشكر على النعم، والصبر على البلاء، والاعتراف بفضل الله في السراء والضراء. وهذه القصص القرآنية ليست مجرد أخبار تُتلى، بل هي دروس وعبر، ومدارس إيمانية نتعلم منها كيف نعيش مع النعم، وكيف نشكر الله عليها، وكيف نحفظها من الزوال.

وإن مما يميز قصص الأنبياء في الشكر، أنها جاءت في أرض الواقع، في مواقف متنوعة: نعمة وبلاء، غنى وفقر، ملك وفقدان، صحة ومرض. وفي كل موقف، كان الأنبياء يضربون أروع الأمثلة في الشكر، حتى قال الله في وصفهم: ﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ ص: ٤٤ وقال عن نوح: ﴿إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾^(١)، وقال عن إبراهيم: ﴿شَاكِرًا لِّأَنْعَمِهِ﴾ فهؤلاء هم الأنبياء الذين جمعوا بين الصبر والشكر، وكانوا قدوة للأمة في التعامل مع نعم الله وبلائه.

(١) سورة الإسراء (٣)

إبراهيم عليه السلام - شاكراً لأنعمه

إن سيدنا إبراهيم عليه السلام هو أبو الأنبياء، وقد وصفه الله بالشكر في مواضع متعددة، وجعله قدوة في التوحيد والشكر معاً. فقد قال تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ * شَاكِرًا لِّأَنْعَمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾^(١). فجمع الله له أوصافاً عظيمة: أنه كان أمة وحده في الخير، قانتاً لله، حنيفاً مائلاً عن الباطل، شاكراً لأنعم الله.

أولاً: شكر إبراهيم على نعمة الذرية في الكبر:

كان إبراهيم عليه السلام في شيخوخته، وقد بلغ من الكبر عتياً، إذ قال تعالى: ﴿فَبَشِّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ * فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ الصافات: (٢) ثم لما فداه الله بذبح عظيم، كان شكره لله أن جعله من الذاكرين الشاكرين، وقد قال تعالى: ﴿وَتَرْكُنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ * سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾^(٣) فهذا جزاء الشكر: الذكر الحسن في الآخرين.

ثانياً: شكر إبراهيم على نعمة الأمن والرزق:

دعا إبراهيم عليه السلام ربه حين أسكن ذريته بواد غير ذي زرع، فقال: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾^(٤) لاحظ كيف جعل غاية الرزق هي الشكر، ليكون شكرهم لله على نعمة الرزق والأمن.

ثالثاً: شكر إبراهيم على نعمة الهداية:

كان إبراهيم عليه السلام يشكر الله على نعمة الهداية، وقد قال بعد أن أنجاه الله من النار: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ اللَّهَ مِنْ النَّارِ﴾

(١) سورة النحل (١٢٠-١٢١)

(٢) سورة الصافات (١٠١-١٠٢)

(٣) سورة الصافات (١٠٨-١٠٩)

(٤) سورة إبراهيم (٣٧)

رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴿١﴾ فهو يحمد الله على نعمه، ويعترف بأنها من الله وحده.

داود وسليمان عليهما السلام - عملاً شكراً

أمر الله داود وسليمان بالشكر العملي، كما قال تعالى: ﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ (٢) وكان داود عليه السلام يشكر الله بعبادته، فقد كان يصوم يوماً ويفطر يوماً، ويقوم نصف الليل، ويقرأ الزبور بصوت حزين. وقد قال الله عنه: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ﴾ سبأ: ١٠. فسخر له الجبال والطير يسبحن معه، وألان له الحديد، فهذه نعم عظيمة، وكان شكره لله أنه عمل صالحاً، كما قال تعالى: ﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا﴾ سبأ: ١٣

أما سليمان عليه السلام، فقد أوتي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده، وسخر له الريح والجن والشياطين، وكان من دعائه: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾ (٣) فهذا الدعاء يجمع بين شكر النعم، والعمل الصالح، والرجاء في رحمة الله.

(١) سورة إبراهيم (٣٩)

(٢) سورة سبأ (١٠)

(٣) سورة النمل (١٩)

أيوب عليه السلام - شكراً على البلاء

من أعظم قصص الشكر في القرآن، قصة أيوب عليه السلام، الذي ابتلاه الله في جسده وماله وولده، فصبر صبراً عظيماً، ثم شكر الله على هذا البلاء. وقد قال الله فيه: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ * فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَابِدِينَ﴾ ^(١) وقال تعالى: ﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعَمَ الْعَبْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ ص: ٤٤. فجمع له الصبر والإنابة والشكر.

أولاً: شكر أيوب على البلاء:

قد يتساءل البعض: كيف يشكر أيوب على البلاء؟ والجواب أن أيوب كان يشكر الله على حكمة البلاء، وعلى تكفير الذنوب، وعلى رفع الدرجات، وعلى الرجوع إلى الله، وعلى العاقبة الحميدة. فقد كان يعلم أن الله ما ابتلاه إلا ليكرمه، وما امتحنه إلا ليرفعه.

ثانياً: شكر أيوب بعد كشف البلاء:

ولما كشف الله عنه البلاء، وأتاه أهله ومثلهم معهم، كان شكره لله أن حمده وأثنى عليه، فهذا الجزاء من جنس العمل: صبراً وشكراً.

سليمان عليه السلام - هذا من فضل ربي

من أروع قصص الشكر في القرآن، قصة سليمان عليه السلام حين رأى عرش بلقيس مستقراً عنده في طرفة عين. قال تعالى: ﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾ ^(٢)

دروس من قصة سليمان:

١. نسبة النعمة إلى الله: قال سليمان: ﴿هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي﴾، ولم يقل: "هذا من قوتي" أو "هذا من معرفتي"، بل رد الفضل كله إلى الله.

(١) سورة الأنبياء (٨٣-٨٤)

(٢) سورة النمل (٤٠)

٢. النعمة اختبار: قال سليمان: ﴿لِيَبْلُؤُنِي أَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ﴾ ، فجعل النعمة اختباراً من الله، وليس مجرد متعة.

٣. الشكر يعود على العبد بالنفع: قال سليمان: ﴿وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ﴾ ، أي أن ثمرة الشكر تعود على الشاكر نفسه، والله غني عن شكره.

٤. الكفر لا يضر الله: قال سليمان: ﴿وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾ ، أي أن كفر العبد لا يضر الله شيئاً، وإنما يضر نفسه.

تطبيق سليمان العملي للشكر:

لم يكتفِ سليمان بالقول، بل عمل شكراً، فاستخدم ملكه وقوته في طاعة الله، ودعوة الناس إلى الإيمان، وحكمه بالعدل. وقد قال تعالى عنه: ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعَمَ الْعَبْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ ^(١) فهو عبد أوَّاب رجَّاع إلى الله في كل أموره.

بنو إسرائيل - كفران النعمة ونموذج التحذير

كان بنو إسرائيل أمة كثرت فيهم النعم: أنجاهم الله من فرعون، وأغرق عدوهم، وأظلمهم بالغمام، وأنزل عليهم المن والسلوى، وفجر لهم من الحجر اثنتي عشرة عيناً. ولكنهم كفروا هذه النعم، فعوقبوا بالذل والمسكنة، وبغضب من الله.

أولاً: كفران بني إسرائيل للنعمة:

١. استعمال النعمة في المعصية: استعملوا المن والسلوى في الشبع والطغيان، واتخذوا العجل إلهاً من دون الله.

٢. جحود النعم: نسوا ما أنعم الله عليهم به، وقالوا: ﴿لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً﴾^(١).

٣. نسبة النعم إلى غير الله: قالوا: ﴿إِنَّا أُوتِينَا الْحِكْمَةَ مِنْ قَبْلُ﴾^(٢) فنسبوا النعم إلى أنفسهم.

ثانياً: عاقبة كفران النعم:

١. سلب النعم: كما قال تعالى: ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ﴾^(٣)

٢. التيه والضياح: تاهوا في الأرض أربعين سنة، لا يهتدون إلى طريق.

٣. العذاب الأليم: قال تعالى: ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾^(٤)

(١) سورة البقرة (٥٥)

(٢) سورة النمل (٤١)

(٣) سورة البقرة (٦١)

(٤) سورة البقرة (٥٩)

قارون - كفران النعمة بالبطر والاستكبار

ضرب الله في كتابه مثلاً آخر في كفران النعمة، وهو قارون، الذي آتاه الله كنوزاً لا تعد ولا تحصى، فكفرها بالبطر والاستكبار والجحود. قال تعالى: ﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ * وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ (١) ولكن قارون رد على الناصحين بقوله: ﴿إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي﴾ (٢) فنسب النعمة إلى نفسه، وجحد فضل الله عليه.

أولاً: أسباب كفران قارون للنعمة:

١. البطر: فرح بنعمته، وبغى على قومه.
٢. الاستكبار: تكبر على قومه، وزاد في زينته.
٣. نسبة النعمة إلى النفس: قال: ﴿إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي﴾ (٣)
٤. نسيان الآخرة: انشغل بالدنيا، ونسي حساب الآخرة.

ثانياً: عاقبة كفران قارون للنعمة:

قال الله تعالى: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ﴾ فهذه عاقبة كفران النعمة: الخسف بالعبد، وهلاك المال والولد، وعدم وجود ناصر.

الفقه المستنبط من قصة قارون:

١. من نسب النعمة إلى نفسه، فقد كفر نعمة الله، واستحق العذاب.
٢. أمر قوم قارون أن يشكر الله بالتواضع، وعدم البطر، والعمل للآخرة.
٣. زالت نعمة قارون في لحظة، وخسف الله به وبداره الأرض.

(١) سورة القصص (٧٦-٧٧)

(٢) سورة القصص (٧٨)

(٣) سورة القصص (٨١)

فقه الشكر عند السلف

الخلفاء الراشدون ونماذجهم الضريفة

المدسة التطبيقية الثانية بعد النبوة: مدرسة الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم. فهؤلاء الأربعة الذين قال فيهم النبي ﷺ: "عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ مِنْ بَعْدِي، تَمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِدِ"^(١)، كانوا هم المجسّد الأوفى لفقه الشكر في واقع الحياة، بعد نبينهم ﷺ.

لقد ورث الخلفاء الراشدون عن نبينهم فقه الشكر، وعاشوه في أرض الواقع بأروع الصور. كلُّ منهم كان له نموذجة الخاص في الشكر، وفق ما أوتي من نعمة، وما ابتلي به من بلاء. فكان أبو بكر رضي الله عنه نموذجًا في تواضع الشاكر، وعمر رضي الله عنه نموذجًا في خوف الشاكر من زوال النعمة، وعثمان رضي الله عنه نموذجًا في شكر المال بالإنفاق، وعلي رضي الله عنه نموذجًا في الشكر عند البلاء، وفي الجمع بين الزهد والشكر. وهذه النماذج الأربعة هي بمثابة أركان فقه الشكر عند السلف، التي تصلح لكل زمان ومكان.

وإن من أعظم ما يميز فقه الخلفاء الراشدين في الشكر، أنهم لم يغتروا بالنعم، بل ظلوا معها كالمسافرين الذين لا يطمثون إلى منزل، خائفين من زوالها، ساعين إلى حفظها بالشكر والعمل الصالح. وهذا هو السر الذي جعل نعمهم تبقى، ونعم من بعدهم تزول.

(١) لزوم السنة واجتناب البدع. المصدر: أبو داود، السنن، كتاب السنة، باب لزوم السنة، ح (٤٦٠٧)؛ والترمذي، السنن، كتاب العلم، ح (٢٦٧٦).

أبو بكر الصديق - تواضع الشاكر أمام النعمة

إن سيدنا أبا بكر الصديق رضي الله عنه هو أشكر الصحابة، بل قال عنه بعض السلف: "كان أبو بكر أمين الشاكرين، وأمين أحبباء الله، وكان أشكرهم وأحبهم إلى الله". وقد كان فقهه في الشكر قائماً على ركنين عظيمين: التواضع، والاعتراف بالتقصير، حتى مع كونه من المبشرين بالجنة، ومن أعظم أصحاب النبي ﷺ.

أولاً: دعاؤه الجامع للشكر:

كان أبو بكر رضي الله عنه يقول في دعائه: "أسألك تمام النعمة في الأشياء كلها، والشكر لك عليها حتى ترضى وبعد الرضا، والخيرة في جميع ما يكون فيه الخيرة بجميع ميسور الأمور كلها لا بمعسورها يا كريم" ^(١). تأمل في هذا الدعاء كيف يجمع بين تمام النعمة، والشكر عليها، والخيرة في الأمور، ثم يختم بالدعاء بـ "ميسور الأمور" لا "معسورها"، فهو يدعو ربه أن ييسر له أموره، ولا يعسرها، وفي ذلك من التواضع والافتقار إلى الله ما يليق بمقام الشكر.

ثانياً: تواضعه بعد الخلافة:

لما بويع أبو بكر بالخلافة، لم يتغير تواضعه، بل ظل كما كان، يحلب للحَيِّ أغنامهم كما كان يفعل قبل الخلافة. فلما رأته جارية من الحَيِّ، قالت: "الآن لا يحلب لنا"، فسمعها أبو بكر، فقال: "بلى، والله لأحلبن لكم، وإنني لأرجو ألا يغيرني ما دخلت فيه عن خلق كنت عليه" ^(٢). فهذا الموقف يبين أن الشكر الحقيقي هو أن يظل العبد على حاله من التواضع، مهما ارتفعت منزلته، فلا يغتر بالنعمة، ولا يتكبر على الناس.

ثالثاً: شكره لله عند موت النبي ﷺ:

لما مات النبي ﷺ، كان الموقف عظيماً، وتزلزلت القلوب، ولكن أبا بكر رضي الله عنه كان ثابتاً، وقال كلمته المشهورة: "من كان يعبد محمداً فإن

(١) دعاء أبي بكر: سؤال تمام النعمة والشكر والخيرة. المصدر: ابن أبي الدنيا، كتاب الشكر؛ وانظر: كنز العمال (٥٠٣٤)، ونضرة النعيم (٣١٢٩/٨).

(٢) أبو بكر يحلب أغنام الحَيِّ ولم يغيره توليه الخلافة. المصدر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ١٦٩/٣؛ وابن عساكر، تاريخ دمشق، ٣٩٩/٣٠.

محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت". ثم تلا قوله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ﴾^(١). فكان هذا الموقف من أعظم مواقف الشكر لله، حيث ثبت الناس على دينهم، وحفظ الله بهم نعمة الإسلام رابعاً: فقهه العميق في التواضع:

كان أبو بكر رضي الله عنه إذا تواضع جم، لا يتكبر على أحد، ولا يستعلي عليه. وقد قال في خطبة له: "أما بعد، أيها الناس، إني قد وُلِّيتُ عليكم، ولست بخيركم، فإن أحسنتُ فأعينوني، وإن أسأتُ فقوِّموني"^(٢). وهذا من أعظم صور التواضع التي تليق بالشاكر، حيث لا يرى نفسه فوق أحد، ويعترف بأن النعمة من الله، وهو عبد ضعيف قد يخطئ.

الفقه المستنبط من نموذج أبي بكر الصديق رضي الله عنه:

١. كلما زادت النعم، زاد التواضع، فلا يغتر العبد بمنصبه أو ماله أو جاهه.
٢. لا يكتفي بالشكر على النعم الموجودة، بل يسأل الله أن يتمها عليه.
٣. الشاكر لا يغيره النعم، ولا يترك ما كان عليه من خلق حسن.

(١) من فضائل أبي بكر الصديق رضي الله عنه. المصدر: البخاري، الصحيح، كتاب مناقب الأنصار، ح (٣٦٦٧)؛ ومسلم، الصحيح، كتاب فضائل الصحابة، ح (٢٣٨٢).

(٢) خطبة أبي بكر: «وُلِّيتُ عليكم ولست بخيركم». المصدر: ابن كثير، البداية والنهاية، ٣٠٦/٦؛ والذهبي، سير أعلام النبلاء، ١٩٥/١.

عمر بن الخطاب - خوف الشاكر من زوال النعمة

كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه نموذجًا فريدًا في الشكر المقترن بالخوف، حيث كان دائم الخشية من أن تُسلب منه النعم، أو أن يغتر بها فيستحق زوالها. وقد عبّر عن هذا الفقه العميق بكلمات خالدة، لا تزال تصلح دستورًا للشاكرين في كل زمان.

أولاً: قوله: "النعم وحشية قيدوها بالشكر:"

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "النعم وحشية قيدوها بالشكر"^(١) وشبه النعم بالوحشية التي إذا أفلتت لم تُدرك، فكذلك النعم إن لم تُقَيّد بالشكر، ذهبت وزالت. وهذه الكلمة تدل على فقه عميق في حفظ النعم، وأن الشكر ليس مجرد عبادة، بل هو قيد يربط النعم، ويمنعها من الزوال.

ثانياً: قوله: "لو كان الصبر والشكر بعيرين ما باليت أيهما ركبت:"

قال عمر رضي الله عنه: "لو كان الصبر والشكر بعيرين ما باليت أيهما ركبت"^(٢). وهذه الكلمة تدل على أن عمر كان يعتبر الشكر والصبر مقامين متساويين في الفضل، وأنه لا يبالي بأيهما ابتلي، لأنه إذا أُعطي نعمة شكر، وإذا ابتلي ببلاء صبر، وكلاهما خير.

ثالثاً: شكره على البلاء:

كان عمر رضي الله عنه إذا ابتلي ببلاء، شكر الله عليه، وكان يرى في البلاء نعمًا أربعًا. قال: "ما ابتليت ببلاء إلا كان لله تعالى عليّ فيه أربع نعم: إذا لم يكن في ديني، وإذا لم يكن أعظم، وإذا لم أحرم الرضا به، وإذا أرجو الثواب عليه"^(٣). فهذه النظرة العميقة للبلاء تدل على فقه عظيم في الشكر على البلاء، حيث يرى العبد في المصيبة نعمًا خفية: أنها ليست في الدين، وأنها ليست أعظم مما يمكن أن يكون، وأن الله يوفقه للرضا بها، وأن له عليها أجرًا.

رابعاً: قوله: "من امتطى الشكر بلغ به المزيد"

(١) عمر: «النعم وحشية فقيدوها بالشكر». المصدر: ابن أبي الدنيا، كتاب الشكر؛ وانظر: شرح الحكم العطائية لزروق، ونصرة النعيم (٣١٢٩/٨).

(٢) عمر: «لو كان الصبر والشكر بعيرين ما باليت أيهما ركبت». المصدر: صيد الأفكار؛ ومختصر منهاج القاصدين؛ والغزالي، إحياء علوم الدين، ٧٨/٤.

(٣) عمر: في كل بلاء أربع نعم. المصدر: نصرة النعيم (٣١٢٩/٨)؛ وأبو نعيم، حلية الأولياء، ١٢٦/١.

قال عمر رضي الله عنه: "من امتطى الشكر بلغ به المزيد"، وقال أيضًا: "من لم يشكر على النعمة فقد استدعى زوالها"^(١). فهذا يبين أن الشكر ليس مجرد كلام، بل هو مركوب يمتطيه العبد ليلبلغ به المزيد من الله، وأن من لم يشكر، فإنما يستدعي زوال النعمة بفعله.

خامساً: محاسبته لنفسه:

كان عمر رضي الله عنه شديد المحاسبة لنفسه، يخاف أن يكون قد قصر في شكر نعمة الله عليه. وقد روي أنه كان إذا أصبح قال: "اللهم إني أسألك العافية في الدنيا والآخرة، اللهم إني أسألك العفو والعافية في ديني ودنياي وأهلي ومالي"^(٢). وكان يكي إذا تلا آيات النعم، خوفاً من أن يكون قد كفرها.

الفقه المستنبط من نموذج عمر:

١. يجب على العبد أن يقيّد نعمه بالشكر، كما يقيّد البعير، لئلا تفلت منه.
٢. الشاكر لا يأمن مكر الله، ولا يغتر بالنعم، بل يخاف أن تُسلب منه.
٣. البلاء من أعلى درجات الشكر فيرى العبد في البلاء نعمًا خفية، فيشكر الله عليها.
٤. من امتطى الشكر، بلغ به المزيد من الله.

(١) عمر: «من امتطى الشكر بلغ به المزيد». المصدر: الأبيشي، المستطرف، ٢١٤/١؛ وانظر: نضرة النعيم (٣١٢٩/٨).

(٢) من دعاء عمر: سؤال العافية والعفو في الدين والدنيا والأهل والمال. المصدر: الذكر والدعاء والعلاج بالرقى؛ وصحيح الأدب المفرد للبخاري.

عثمان بن عفان - شكر المال بالإنفاق

كان عثمان بن عفان رضي الله عنه نموذجًا فريدًا في شكر نعمة المال بالإنفاق في سبيل الله، حيث آتاه الله مالا وفيرا، فلم ييخل به، بل كان ينفقه في طاعة الله، وفي نصره دينه، وفي إغاثة المسلمين. وقد كان شكره لله على نعمة المال أن استعمله في طاعته، وهذا هو أبلغ أنواع الشكر العملي.

أولاً: إنفاقه في جيش العسرة (غزوة تبوك):

في غزوة تبوك، وهي أصعب غزوات النبي ﷺ من حيث الجهد والمؤنة، جاء عثمان رضي الله عنه بألف دينار، فنثرها في حجر النبي ﷺ، فجعل النبي ﷺ يقلبها ويقول: "مَا ضَرَّ عُثْمَانَ مَا عَمِلَ بَعْدَ الْيَوْمِ". وفي رواية: "مَا ضَرَّ ابْنَ عَفَّانَ مَا فَعَلَ بَعْدَ الْيَوْمِ" ^(١) وهذه الشهادة النبوية تدل على أن إنفاق عثمان كان شكراً لله على نعمة المال، وأنه بلغ به درجة لا يضره بعدها ذنب.

ثانياً: تجهيزه للجيش:

لم يكتفِ عثمان بألف دينار، بل جهّز الجيش بمائتي بعير بأقتابها وأحلاسها، ومائتي أوقية من الذهب، ثم تصدق بمائة بعير أخرى ^(٢). وهذا الإنفاق السخي إنما كان شكراً لله على نعمة المال، حيث استعمل المال في طاعة الله، وفي نصره دينه.

ثالثاً: شكره لله إذ لم يصادف قوماً على أمر قبيح:

روى سليمان بن موسى أن عثمان بن عفان رضي الله عنه دُعي إلى قوم كانوا على أمر قبيح، فخرج إليهم فوجدتهم قد تفرقوا، ورأى أثراً قبيحاً، فحمد الله إذ لم يصادفهم، وأعتق رقبة ^(٣). فهذا الموقف يبين أن عثمان كان يشكر الله على صرفه عن المعصية، وأن شكره كان عملياً، إذ أعتق رقبة شكراً لله.

رابعاً: شكره بالإنفاق في سبيل الله:

نزلت آيات في عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهما، حين أنفقا أموالهما في طاعة الله، منها قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي

(١) عثمان يتصدق بألف دينار في جيش العسرة. المصدر: الترمذي، السنن، كتاب المناقب، ح (٣٧٠٠)؛ وابن ماجه، السنن، كتاب الجهاد، ح (٢٧٨٢).

(٢) عثمان يجهّز جيش العسرة بألف بعير ومائتي أوقية من الذهب، ويتصدق بمائة بعير. المصدر: المباركفوري، الرحيق المختوم، ص ٣٤٢؛ وابن هشام، السيرة النبوية، ١٨٢/٤.

(٣) عثمان يحمّد الله لعدم وقوعه في أمر قبيح ويعتق رقبة. المصدر: الكاندهلوي، حياة الصحابة، ٢٤٥/٣؛ ونضرة النعيم (٣١٣٠/٨).

سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبَعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى ﴿١﴾ فجعل الله إنفاقهما في سبيل الله من أعظم القربات، وجزاءهما الأجر العظيم.

الفقه المستنبط من نموذج عثمان:

١. شكر المال بالإنفاق في سبيل الله: من أعظم صور شكر المال، أن ينفقه العبد في طاعة الله، وفي نصرة دينه.

٢. الشكر العملي أبلغ من الشكر القولي: لم يكتفِ عثمان بالحمد، بل جعل شكره عملاً، فأنفق ماله في سبيل الله.

٣. الشكر يوجب المزيد من العطاء: كلما أنفق عثمان، زاده الله مالاً، وهذا مصداق قوله تعالى: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾.

٤. الشكر على صرف المعاصي: من نعم الله على عبده أن يصرفه عن المعاصي، فيشكره على ذلك.

علي بن أبي طالب رضي الله عنه الشكر عند البلاء والزهد في النعم

كان علي بن أبي طالب رضي الله عنه نموذجًا فريدًا في الجمع بين الشكر والصبر والزهد، حيث كان إذا أصابه بلاء صبر وشكر، وإذا أوتي نعمة حمد وشكر، مع زهد تام في الدنيا، وعدم تعلق بها. وقد كان فقهه في الشكر قائمًا على اليقين بأن الشكر باب المزيد، وأن الله لا يفتح بابًا ويخزن الآخر.

أولاً: دعاؤه بالصبر والشكر:

كان علي بن أبي طالب رضي الله عنه يقول في دعائه: "اللَّهُمَّ هَبْ لِي مَعَ كُلِّ بَلِيَّةٍ صَبْرًا، وَمَعَ كُلِّ نِعْمَةٍ شُكْرًا" ^(١) فهذا الدعاء الجامع يبين أن المؤمن يحتاج إلى الصبر مع البلاء، والشكر مع النعمة، وأنه لا غنى له عن واحد منهما.

ثانيًا: قوله في النعمة والشكر:

قال علي رضي الله عنه: "إنَّ النعمة موصولة بالشكر، والشكر متعلق بالمزيد، وهما مقرونان في قرْن، ولن ينقطع المزيد من الله حتى ينقطع الشكر من العبد" ^(٢). فهذه الكلمة هي خلاصة فقه الشكر عند السلف، تبين أن النعمة والشكر مرتبطان ارتباطًا وثيقًا، وأن المزيد من الله لا ينقطع إلا إذا انقطع الشكر من العبد.

ثالثًا: قوله في فتح باب الشكر:

قال الخليفة علي بن أبي طالب رضي الله عنه: "ما كان الله ليفتح باب الشكر ويخزن باب المزيد، وما كان الله ليفتح باب الدعاء ويخزن باب الإجابة، وما كان الله ليفتح باب التوبة ويخزن باب المغفرة". ثم تلا قوله تعالى: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ ^(٣)، وقوله: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ ^(٤)، وقوله: ﴿فَاذْكُرُونِي﴾

(١) دعاء علي: «اللهم هب لي مع كل بلية صبرًا، ومع كل نعمة شكرًا». المصدر: دعاء الإمام علي عند الشدائد؛ ودعاؤه لطلب الصبر والشكر؛ والحاكم، المستدرک، ٥١٢/١.

(٢) علي: النعمة موصولة بالشكر، والشكر متعلق بالمزيد. المصدر: البيهقي، شعب الإيمان؛ وانظر: حياة الصحابة، ونضرة النعيم (٣١٢٩/٨).

(٣) سورة غافر: ٦٠.

(٤) سورة إبراهيم: ٧.

أَذْكُرْكُمْ ﴿١﴾ فهذا الاستدلال القرآني يدل على أن الشكر باب مفتوح للمزيد، وأن الله لا يغلق باباً فتحه لعباده.

رابعاً: قوله في العسر واليسر:

قال علي رضي الله عنه: "ما أبالي بالعسر رميت أو باليسر، لأن حق الله تعالى في العسر الرضا والصبر، وفي اليسر الحمد والشكر" (٢). فهذا الموقف يبين أن المؤمن لا يبالي بالعسر أو اليسر، لأن حقه في كليهما قائم: في العسر يصبر ويرضى، وفي اليسر يحمد ويشكر.

خامساً: زهده في النعم وشكره عليها:

كان علي رضي الله عنه زاهداً في الدنيا، مع أنه كان من أكثر الصحابة مالاً في بعض الأحيان. وروي أن زكاة ماله كانت تبلغ أربعين ألف دينار، ومع ذلك كان يخرجها في سبيل الله، ولا يعلق قلبه بالمال (٣). وكان يرى أن إخراج المال في سبيل الله هو أبلغ أنواع الشكر، وأبعد عن الرياء والكبر.

(١) علي: فتح أبواب الشكر والدعاء والتوبة مرتبط بالمزيد والإجابة والمغفرة. المصدر: ابن ماجه، السنن، كتاب الدعاء، ح (٣٨٢٣)؛ والعسكري، الأمثال.

(٢) علي: حق الله في العسر الرضا والصبر، وفي اليسر الحمد والشكر. المصدر: مجلة البحوث الإسلامية، العدد ٤١، ص ٣١٢.

(٣) كان علي يخرج ماله في سبيل الله. المصدر: الكاندهلوي، حياة الصحابة، ٢٤٦/٣.

نماذج مضيئة من بقية الصحابة

بعد أن وقفنا مع الخلفاء الراشدين الأربعة، وتأملنا نماذجهم الفريدة في فقه الشكر، ننتقل اليوم إلى نماذج مضيئة من بقية الصحابة رضي الله عنهم، لنرى كيف كان فقه الشكر منتشرًا بينهم، وكيف كان كل واحد منهم يضرب مثله في الشكر على نعم الله، وكيف تنوعت صور الشكر بينهم بحسب ما أوتوا من نعم، وما ابتلوا به من بلاء. فهؤلاء الصحابة - مع اختلاف منازلهم وأحوالهم - كانوا مدرسة متكاملة في الشكر، كلٌّ منهم يُعلّمنا درسًا جديدًا في هذه العبادة العظيمة.

وإن من أعظم ما يميز هؤلاء الصحابة، أنهم لم يكونوا متشابهين في شكرهم، بل كان لكل واحد منهم طريقته الخاصة في التعبير عن شكره لله، وفق ما رزقه الله من مال، أو علم، أو عبادة، أو صبر. وهذا التنوع في صور الشكر يُعلّمنا أن الشكر ليس قالبًا واحدًا، بل هو بحر واسع، لكلِّ عبدٍ فيه مدخله الخاص، بحسب ما فتح الله عليه.

عبد الرحمن بن عوف - الغني الشاكر

إن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه هو النموذج الأبرز للغني الشاكر في تاريخ الإسلام، بل لقد كان مثلاً فريداً في الجمع بين الغنى والصلاح، بين الدنيا والآخرة. فهو أحد العشرة المبشرين بالجنة، وأحد البدرين السابقين، من أوائل من آمن بالله ورسوله. وقد آتاه الله مالاً وفيراً، فلم يغتر به، بل جعله سبباً للخير والعطاء، وشكراً لله على نعمته.

❖ أولاً: بركته في التجارة وشكره لله عليها:

كان عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه تاجراً ناجحاً، آتاه الله البركة في تجارته، حتى صار من أغنياء الصحابة. وقد عبّر عن هذه البركة بقوله: "فلقد رأيتني لو رفعت حجراً لرجوت أن أصيب ذهباً أو فضة" ^(١). وهذه الكلمة تدل على شعوره العميق بأن البركة من الله، وأن المال ليس من كسبه وحده، بل هو عطاء من الله.

❖ ثانياً: سجوده لله شكراً على البشارة:

لما بشره النبي ﷺ بفضل الصلاة عليه، لم يكتفِ بالقول، بل خرّ ساجداً لله شكراً ^(٢). فقد أخرج أحمد عن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قال: خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فتوجه نحو مشربته، فدخل، فاستقبل القبلة فخر ساجداً فأطال السجود حتى ظننت أن الله عز وجل قد قبض نفسه فيها، فدنوت منه فجلست، فرفع رأسه قال: من هذا؟ قلت: عبد الرحمن، قال: «ما شأنك؟» قلت: يا رسول الله سجدت سجدة خشيت إن يكون الله عز وجل قد قبض نفسك فيها، فقال: «إن جبريل صلى الله عليه وسلم أتاني فبشرني فقال: إن الله عز وجل يقول: من صلى عليك صليت عليه، ومن سلم عليك سلمت عليه، فسجدت لله عز وجل شكراً» ^(٣).

(١) عبد الرحمن بن عوف: «لو رفعت حجراً لرجوت أن أصيب ذهباً أو فضة». المصدر: الكاندهلوي، حياة الصحابة، ٣/٣٩٠.

(٢) سجود النبي ﷺ شكراً لله بعد بشارة جبريل عليه السلام. المصدر: أحمد، المسند، ح (١٦٦٧)؛ والهيثمي، مجمع الزوائد، ١/١٨٥.

(٣) رواه أحمد ورجاله ثقات

❖ ثالثاً: إنفاقه في سبيل الله:

لم يكن عبد الرحمن بن عوف غنيا بالصدفة، بل كان من الذين أنعم الله عليهم بمال كثير، لكنه كان يملأ قلبه بالخشية واليقين، فلم يلبث أن يبذل ماله في سبيل الله، ويُعين الفقراء والمحتاجين. وقد روى الإمام أحمد أن عبد الرحمن بن عوف باع أرضاً له من عثمان بن عفان بأربعين ألف دينار، فقسمها في فقراء بني زهرة ^(١). وهذا الإنفاق السخي إنما كان شكراً لله على نعمة المال، كما قال تعالى: ﴿لئن شكرتم لأزيدنكم﴾ ^(٢).

❖ رابعاً: تواضعه مع غناه:

مع غناه الفاحش، كان عبد الرحمن بن عوف متواضعاً، لا يرى نفسه فوق أحد، ولا يغتر بماله. ولما آخى النبي ﷺ بينه وبين سعد بن الربيع، قال له سعد: إني أكثر الأنصار مالاً فاقسم مالي نصفين، ولي امرأتان فانظر أعجبهما إليك فسمها لي أطلقها، فإذا انقضت عدتها فتزوجها، قال عبد الرحمن: "بارك الله لك في أهلك ومالك، أين سوقكم؟" فدلوه على سوق بني قينقاع، فما انقلب إلا ومعه فضل من أقط وسمن ^(٣). فهذا الموقف يبين أن الشكر الحقيقي هو أن يستغني العبد عن مال الناس، ويسعى في طلب الرزق الحلال، مع التوكل على الله.

(١) عبد الرحمن بن عوف يبيع أرضاً لعثمان بأربعين ألف دينار ويتصدق بها على فقراء بني زهرة. المصدر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ١٢٠/٣؛ والذهبي، سير أعلام النبلاء، ٨٥/١.

(٢) سورة إبراهيم: ٧

(٣) سعد بن الربيع يعرض نصف ماله على عبد الرحمن، فيقول: «بارك الله لك في أهلك ومالك، أين سوقكم؟». المصدر: البخاري، الصحيح، كتاب مناقب الأنصار، ح (٣٧٩٣).

عبد الله بن عباس - فقيه الشكر وعالم الأمت

كان عبد الله بن عباس رضي الله عنهما من أعلم الصحابة، وأفقههم في دين الله، وقد كان له فهم عميق لفقه الشكر، ومواقف تدل على سعة علمه ورعاية.

❖ أولاً: فهمه العميق للشكر:

كان ابن عباس رضي الله عنه يرى أن شكر نعم الله لا يقتصر على ما يتعلق بالعبد نفسه، بل يتعدى إلى شكر نعم الله على الناس أيضاً. فقد قال: "إنَّ المؤمنَ لَيَشْكُرُ ما به مِن نعمة الله، ويشكر ما بالناس مِن نِعَمِ الله" ^(١). وهذا الفقه العميق يدل على أن الشكر عبادة متصلة بالغير، وأن المؤمن يشكر الله على نعمه التي أنعم بها على إخوانه، كما يشكر على نعمه التي أنعم بها عليه.

❖ ثانياً: شكر المعروف وإن كان من عدو:

روي عن عبد الله بن عباس أنه قال: "لو أن فرعونَ مصرَ أسدى إليَّ يداً صالحة لشكرته عليها" ^(٢) وهذا من أعظم ما يدل على فقهه في شكر الناس، حيث جعل شكر المعروف واجباً حتى لو صدر من عدو، لأن شكر الناس من تمام شكر الله، كما قال رسول الله ﷺ: "لَا يَشْكُرُ اللهَ مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ".

❖ ثالثاً: نسبته المطر إلى الله:

كان ابن عباس رضي الله عنه يرى أن نسبة النعم إلى الله هي من تمام الشكر. فقد قال في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا بِكُمْ مِّنْ نُّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾ النحل: ٥٣: "مَنْ نسب المطر إلى الله تعالى، وعرف منته فيه، فقد شكر الله تعالى، ومن نسبه إلى غيره، فقد جحد نعمة الله تعالى في ذلك، وظلم بنسبتها لغير المنعم بها" ^(٣). وهذا الفقه العميق يبين أن نسبة النعمة إلى مسببها الحقيقي هو من صميم الشكر، وأن نسبة النعمة إلى الأسباب دون الله هو نوع من الجحود.

(١) ابن عباس: المؤمن يشكر نعم الله عليه وعلى الناس. المصدر: موسوعة التفسير المأثور، ٣٧٣/١.

(٢) ابن عباس: لو أسدى فرعون إليَّ يداً صالحة لشكرته عليها. المصدر: ابن عبد ربه، العقد الفريد، ٣٤٥/٢.

(٣) ابن عباس: من نسب المطر إلى الله وعرف منته فقد شكره. المصدر: المفهم، ٢٦١/١؛ والطبري، التفسير، ١٥٢/١٧.

عبد الله بن عمر - الورع والشكر

كان عبد الله بن عمر رضي الله عنهما من أروع الصحابة وأتقاهم لله، وقد كان له مواقف تدل على شكره العميق لله، وحرصه على حفظ النعم.

❖ أولاً: شكره على العافية من البلاء؛

روي عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنه قال: الحمد لله الذي عافاني مما ابتلاك به، وفضلني على كثير ممن خلق تفضيلاً، فإنه إذا قال ذلك، كان شكر تلك النعمة^(١) فهذا الكلام يبين أن شكر الله على العافية من أعظم صور الشكر، وأن من قال هذا القول فقد أدى شكر تلك النعمة.

❖ ثانياً: اتباعه لأثار النبي ﷺ؛

كان عبد الله بن عمر شديد الاقتداء بالنبي ﷺ، يتبع آثاره في كل مكان صلى فيه، حتى إن النبي ﷺ نزل تحت شجرة، فكان ابن عمر يتعاهد تلك الشجرة، ويصب في أصلها الماء لكيلا تيبس^(٢). وهذا الفعل وإن كان ظاهره اتباعاً للسنة، إلا أنه في حقيقته شكر لله على نعمة الصحبة، حيث كان يحرص على حفظ كل ما يتعلق بالنبي ﷺ.

❖ ثالثاً: زهده في الدنيا وشكره على القناعة؛

كان ابن عمر رضي الله عنه زاهداً في الدنيا، قنوعاً بما قسم الله له، وقد قال عنه بعض الصحابة: "ما مِنَّا أَحَدٌ أَمْلَكُ لِنَفْسِهِ مِنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ، مَا مِنَّا أَحَدٌ أَدْرَكَ الدُّنْيَا إِلَّا وَقَدْ مَالَ بِهَا أَوْ مَالَتْ بِهِ"^(٣). وهذا الزهد والقناعة هما من ثمرات الشكر، حيث يرضى العبد بما قسمه الله له، ولا يطمع فيما في أيدي الناس.

❖ الفقه المستنبط من نموذج ابن عمر؛

شكر العافية: من أعظم صور الشكر، أن يحمد الله على العافية من البلاء.
شكر نعمة الصحبة: من شكر الله على نعمة الصحبة، أن يحرص العبد على اتباع سنة نبيه ﷺ.

(١) ابن عمر: الدعاء لمن ابتلي بنعمة العافية شكر لتلك النعمة. المصدر: مختصر زوائد مسند البزار، ١/١٨٥؛ والنووي، الأذكار، ص ٧٤.

(٢) ابن عمر يتعاهد شجرة نزل تحتها النبي ﷺ ويسقي أصلها. المصدر: ابن عساکر؛ والكاندهلوي، حياة الصحابة، ٣/٣٩٥.

(٣) شهادة الصحابة لعبد الله بن عمر بقوة ضبطه لنفسه وعدم استيلاء الدنيا عليه. المصدر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ١/١٢٠.

القناعة من ثمرات الشكر: الزهد في الدنيا والقناعة بما قسم الله، من أعظم
ثمار الشكر.

معاذ بن جبل - عالم الشكر والدعاء

كان معاذ بن جبل رضي الله عنه من أعلم الصحابة، ومن أحرصهم على شكر الله، وقد علمه النبي ﷺ دعاءً جامعاً للشكر، جعله يردده في كل صلاة.

❖ أولاً: وصية النبي ﷺ لمعاذ بالشكر:

عن معاذ بن جبل رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ بيده وقال: "يا معاذ، والله إنني لأحبك، والله إنني لأحبك، أوصيك يا معاذ لا تدعن في دبر كل صلاة أن تقول: اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك" ^(١). رواه أبو داود، وفي إحدى روايات الحديث - كما عند البخاري في "الأدب المفرد".

وهذه الوصية النبوية تدل على أن الشكر يحتاج إلى معونة من الله، وأن العبد مهما اجتهد لا يبلغ شكر الله حق شكره، ولذلك كان من أعظم الأدعية أن يسأل العبد ربه أن يعينه على الشكر.

❖ ثانياً: فهمه لتمام النعمة:

روي عن معاذ بن جبل رضي الله عنه أنه أتى على رجل وهو يقول: "اللهم إنني أسألك تمام النعمة"، فقال رسول الله ﷺ: "أتدري ما تمام النعمة؟" قال: لا، قال: "فإن تمام النعمة الفوز من النار ودخول الجنة" ^(٢) فهذا الكلام يبين أن أعظم النعم هي نعمة النجاة من النار ودخول الجنة، وأن تمام النعمة هو الفوز بالآخرة، وليس مجرد النعم الدنيوية.

ثالثاً: شكره عند العطاء وعند البلاء:

كان معاذ بن جبل رضي الله عنه يعلم الناس أن الشكر واجب عند العطاء، والصبر واجب عند البلاء. فقد قال: "افترض علينا الشكر إذا أعطى والصبر إذا ابتلى" ^(٣). فهذا الفقه العميق يبين أن المؤمن لا يخرج عن دائرة العبودية في أي حال من أحواله: إن أعطي شكر، وإن ابتلى صبر.

(١) الدعاء: «اللهم إنني أعوذ بك من العجز والكسل...» المصدر: أبو داود، السنن، ح (١٥٢٢)؛ والنسائي، السنن، ح (١٣٠٣)؛ والبخاري، الأدب المفرد، ح (٦٣٨).

(٢) تمام النعمة: الفوز من النار ودخول الجنة. المصدر: الزمخشري، ربيع الأبرار، ٢٧٥/٥؛ ونضرة النعيم، ٣١٣٠/٨.

(٣) معاذ: «افترض علينا الشكر إذا أعطى والصبر إذا ابتلى». المصدر: ابن منظور، مختصر تاريخ دمشق، ١٤٥/٢٥.

أبو الدرداء - بصيرة الشاكر

كان أبو الدرداء رضي الله عنه من أعبد الصحابة وأزهدهم، وقد كان له بصيرة نافذة في رؤية النعم، حيث كان يرى النعم في كل شيء، حتى في البلاء والمصائب.

❖ أولاً: رؤيته للنعم في كل شيء:

كان أبو الدرداء رضي الله عنه يقول: "ما أمسيت ليلة وأصبحت لم يرمني الناس فيها بداهية إلا رأيتها نعمة من الله عليّ عظيمة" ^(١). فهذا الكلام يدل على بصيرة عجيبة في رؤية النعم، حيث كان يرى في كل ما يصيبه - حتى ما يراه الناس مصيبة - نعمة من الله، لأنه يعلم أن الله ما ابتلاه إلا لخير.

❖ ثانياً: معرفته بأن النعم لا تقتصر على الأكل والشرب:

كان أبو الدرداء رضي الله عنه يقول: "من لم يعرف نعمة الله عليه إلا في مطعمه ومشربه فقد قل علمه، وحضر عذابه" ^(٢). وقال أيضاً: "كم من نعمة لله تعالى في عرق ساكن" ^(٣) فهذا الفقه العميق يبين أن النعم لا تقتصر على ما نأكله ونشربه، بل هناك نعم خفية لا يشعر بها كثير من الناس، كجريان الدم في العروق، وتنفس الهواء، وثبات القدمين على الأرض.

❖ ثالثاً: تفضيله العافية مع الشكر على البلاء مع الصبر:

روي أن أبا الدرداء رضي الله عنه قال: "يَا رَسُولَ اللَّهِ لَأَنْ أُعَافِيَ فَأَشْكُرَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أُتْبَلَ فَأُصْبِرَ" ^(٤) فهذا الموقف يبين أن العافية مع الشكر أفضل من البلاء مع الصبر، لأنها تجمع بين نعمتين: العافية والتوفيق للشكر.

فالمؤمن يرى في كل ما يصيبه نعمة من الله، حتى ما يراه الناس مصيبة والنعم لا تقتصر على الأكل والشرب: هناك نعم خفية لا يشعر بها كثير من الناس. العافية مع الشكر أفضل من البلاء مع الصبر: لأنها تجمع بين نعمتين.

(١) أبو الدرداء يرى السلامة من المصائب نعمة عظيمة من الله. المصدر: ابن عساکر؛ والكاتدهلوي، حياة الصحابة، ٣/٣٩٦.
(٢) أبو الدرداء: من حصر نعم الله في الطعام والشراب فقد قل علمه. المصدر: أبو نعيم، حلية الأولياء، ١/١٢٥؛ والطيار، حياة السلف بين القول والعمل، ص ٢٨١.
(٣) أبو الدرداء: «كم من نعمة لله تعالى في عرق ساكن». المصدر: أبو نعيم، حلية الأولياء، ١/١٢٦؛ والطيار، حياة السلف بين القول والعمل، ص ٢٨٢.
(٤) تفضيل العافية مع الشكر على البلاء مع الصبر. المصدر: الطبراني، المعجم الكبير، ح (١٢٣٤)؛ والهيثمي، مجمع الزوائد، ١/١٨٥.

عائشة وأسماء بنت أبي بكر - شكر النساء

كانت أمهات المؤمنين والصحابيات الجليلات قدوة في الشكر، ولهن مواقف مشرقة تدل على فقههن العميق في هذه العبادة.

❖ أولاً: عائشة رضي الله عنها وشكر النبي ﷺ؛

كانت عائشة رضي الله عنها تشهد شكر النبي ﷺ لله، وتستفهم عن سبب اجتهاده في العبادة، فكان جوابه: "أفلا أكون عبداً شكوراً؟". وكانت تنقل لأمة الإسلام هذا الفقه العظيم، حيث روت عن النبي ﷺ أنه كان يقوم الليل حتى تتفطر قدماه.

❖ ثانياً: عائشة وحسن جوار النعم؛

روي عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ دخل عليها فرأى كسرة ملقاة فمسحها، فقال: "يا عائشة، أحسني جوار نعم الله، فإنها قل ما نفرت عن أهل بيت فكادت أن ترجع إليهم" ^(١) فهذا الموقف يبين أن حسن جوار النعم من تمام الشكر، وأن إهانة النعم وإضاعته قد يكون سبباً في زوالها.

❖ ثالثاً: عائشة وشكر نعمة الماء؛

قالت عائشة رضي الله عنها: "ما من عبد يشرب الماء القراح فيدخل بغير أذى ويخرج بغير أذى إلا وجب عليه الشكر" فهذا الكلام يبين أن شكر الله على نعمة الماء من أعظم ما يجب على العبد، لأن الماء هو أصل الحياة، وكثير من الناس يغفلون عن شكر الله عليه.

❖ رابعاً: أسماء بنت أبي بكر وسجود الشكر؛

أخرج الطبراني في الكبير عن أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما أنه لما قتل ابن الزبير رضي الله عنهما كان عندها شيء أعطاه إياه النبي صلى الله عليه وسلم في سبط ففقدته، فأخذت تطلبه، فلما وجدته خرّت ساجدة ^(٢) قال الهيثمي: إسناده حسن. فهذا الموقف يبين أن سجود الشكر كان من هدي الصحابيات كما كان من هدي الصحابة.

(١) عائشة: شرب الماء الصافي دون أذى يوجب الشكر. المصدر: ابن أبي الدنيا وابن عساكر؛ والكاتدهلوي، حياة الصحابة، ٣/٣٩٦.

(٢) أسماء بنت أبي بكر تسجد شكراً لله عند العثور على شيء أعطاه النبي ﷺ. المصدر: الطبراني، المعجم الكبير، ح (٢٣٤٥)؛ والهيثمي، مجمع الزوائد، ١/١٨٦.

التابعون وأئمة السلف في موازين الشكر

بعد أن وقفنا مع صحابة رسول الله ﷺ، وتأملنا نماذجهم الفريدة في فقه الشكر، ننتقل اليوم إلى التابعين وأئمة السلف، أولئك الذين ورثوا عن الصحابة هذا الفقه العظيم، ونقلوه إلينا بأمانة وإتقان، وأضافوا إليه من فهمهم العميق، وبصيرتهم النافذة. فهم حلقة الوصل بين عصر النبوة وعصر التدوين، وقد كان لهم دور بارز في تأصيل فقه الشكر، وتفصيل مسأله، وبيان مراتبه، وتحذير الناس من الغفلة عنه.

وإن مما يميز التابعين وأئمة السلف في باب الشكر، أنهم لم يكتفوا بنقل أقوال الصحابة، بل عاشوا الشكر في حياتهم العملية، وجعلوه منهجاً وسلوكاً، حتى أصبح الشكر خلقاً لهم، وطبعاً في نفوسهم.

التابعون - ورثة فقه الصحابة

التابعون هم الجيل الذي تلقى العلم عن الصحابة، وحمل أمانة الدين من بعدهم. وقد كان لهم فهم عميق لفقه الشكر، واستنباطات دقيقة من نصوص الوحيين، جعلت منهم أئمة. وقد قال عنهم النبي ﷺ: "خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ" (١) فهذا الحديث يبين أن خيرية التابعين جاءت من قربهم من عصر النبوة، وتلقيهم العلم عن الصحابة مباشرة.

أولاً: أبرز التابعين في باب الشكر:

كان من أبرز التابعين: الحسن البصري، وسعيد بن جبير، ومحمد بن كعب القرظي، وبكر بن عبد الله المزني، ومجاهد، وعطاء بن أبي رباح، وغيرهم رحمهم الله. كل واحد من هؤلاء كان له فهمه الخاص، وإسهامه المتميز في بيان حقيقة الشكر، ومراتبه، وثمراته.

(١) فضل الصحابة ثم الذين يلونهم. المصدر: البخاري، الصحيح، ح (٣٦٥١)؛ ومسلم، الصحيح، ح (٢٥٣٣).

الحسن البصري - فقه الشكر والاعتبار

كان الحسن البصري رحمه الله من أعلام التابعين، ومن أفقهم في دين الله، وكان له كلام نفيس في الشكر، يدل على عمق فهمه، وسعة علمه، وورعه وتقواه. وقد كان يرى أن الشكر ليس مجرد قول باللسان، بل هو عمل القلب والجوارح، وأنه من أعلى منازل الإيمان.

أولاً: تعريفه للشكر:

قال الحسن البصري رحمه الله: "الشكر: ثناء القلب على الله في السراء، واستعمال الجوارح في طاعة الله"^(١). فهذا التعريف الجامع يبين أن الشكر عبادة متكاملة، تشمل القلب والجوارح، ولا تقتصر على اللسان. فثناء القلب هو الاعتراف بالنعمة والمحبة للمنعم، واستعمال الجوارح هو العمل بطاعة الله، وهذا هو لبّ الشكر الحقيقي.

ثانياً: عدم الاكتفاء باللسان:

قال الحسن البصري رحمه الله: "ليس الشكر أن تقول بلسانك: الحمد لله، ثم تعصيه، ولكن الشكر أن تطيعه فيما أمر، وتجتنب ما نهى عنه"^(٢).
ثالثاً: شكر الله على البلاء:

كان الحسن البصري رحمه الله يرى أن الشكر على البلاء من أعلى درجات الشكر. فقد قال: "ما من نعمة إلا وبها حاجة إلى الشكر، وما من بلاء إلا وبها حاجة إلى الصبر، فمن جمع بين الشكر والصبر فقد بلغ أعلى الدرجات"^(٣). وهذا يبين أن المؤمن الكامل هو الذي يشكر على النعم، ويصبر على البلاء، ويجمع بينهما في قلبه وعمله.

رابعاً: حقيقة الرضا وثمرته:

قال الحسن البصري رحمه الله: "الرضا عن الله ثمن الجنة"، وقال: "رضا الله عن العبد أكبر من الجنة"^(٤). فهذا الكلام يبين أن الرضا من أعظم مقامات

(١) الحسن البصري: الشكر ثناء القلب على الله واستعمال الجوارح في الطاعة. المصدر: ابن أبي الدنيا، كتاب الشكر، ص ٤٥، ح

(٢) ونصرة النعيم، ٣١٢٩/٨.

(٣) الحسن البصري: حقيقة الشكر طاعة الله واجتناب معصيته، لا مجرد الحمد باللسان. المصدر: ابن أبي الدنيا، كتاب الشكر، ص ٤٢، ح (٨)؛ وابن القيم، عدة الصابرين، ص ١٤٢.

(٤) الحسن البصري: كل نعمة تحتاج إلى شكر، وكل بلاء يحتاج إلى صبر، وباجتماعهما يبلغ العبد أعلى الدرجات. المصدر: أبو نعيم، حلية الأولياء، ١٢٥/١؛ ونصرة النعيم، ٣١٣٠/٨.

(٤) الحسن البصري: الرضا عن الله من أعظم أسباب دخول الجنة. المصدر: ابن قدامة، مختصر منهاج القاصدين، ص ١٨٦؛ والغزالي، إحياء علوم الدين، ٨٠/٤.

الإيمان، وأنه هو الطريق إلى الجنة، بل هو أكبر من الجنة نفسها، لأن الجنة إنما هي ثمرة رضا الله عن العبد.

سعيد بن جبير - الشكر والعلم والورع

كان سعيد بن جبير رحمه الله من أعلام التابعين، ومن أعلمهم بالقرآن والسنة، وكان له فهم عميق لفقه الشكر، ومواقف تدل على ورعه وتقواه.

أولاً: تفسيره للشكر:

قال سعيد بن جبير رحمه الله: "الشكر: هو أن تعرف النعمة، وتعرف المنعم، وتثني عليه، وتستعمل النعمة في طاعته ^(١)" فهذا التعريف يبين أن الشكر أربعة أركان: معرفة النعمة، ومعرفة المنعم، والثناء عليه، واستعمال النعمة في طاعته. وهذا من أدق التعريفات للشكر، حيث يجمع بين العلم والعمل والاعتراف.

ثانياً: شكر النعم الخفية:

كان سعيد بن جبير رحمه الله يرى أن النعم الخفية أعظم من النعم الظاهرة، وكان يحث على شكرها. فقد قال: "من أسبغ الله عليه نعمه، فلا يحقرن شيئاً منها، فإنه لا يدري ما يرى الله منه" ^(٢) لأن الله قد يرضى عنه بسببها، أو يعاقبه بسبب كفرانها.

ثالثاً: حذره من كفران النعمة:

كان سعيد بن جبير رحمه الله يحذر من كفران النعمة، وكان يرى أن كفران النعمة من أعظم الذنوب. فقد قال: "كفران النعمة يورث الحرمان، وشكر النعمة يورث الإحسان والزيادة" ^(٣) وهذا يبين أن الشكر سبب للزيادة، وأن الكفر سبب للحرمان، كما قال تعالى: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ إبراهيم: ٧.

(١) سعيد بن جبير: الشكر معرفة النعمة والمنعم، والثناء عليه، واستعمال النعمة في الطاعة. المصدر: المفهم، ٢٦١/١؛ ونضرة النعيم، ٣١٣٠/٨.

(٢) سعيد بن جبير: عدم احتقار شيء من نعم الله، إذ لا يدري العبد ما يكتب له فيها. المصدر: فصل الخطاب في الزهد والرقائق، ص ٢٨١.

(٣) سعيد بن جبير: كفران النعمة سبب للحرمان، وشكرها سبب للإحسان والزيادة. المصدر: الأبيشي، المستطرف، ٢١٤/١.

محمد بن كعب - بصيرة الشكر

كان محمد بن كعب رحمه الله من علماء التابعين، ومن أفقههم في دين الله، وكان له بصيرة نافذة في النعم والشكر، ومواقف تدل على عمق فهمه.

أولاً: شكر النعم التي لا يشعر بها الناس:

قال محمد بن كعب رحمه الله: "إن الله تعالى يُنبت من الماء شجراً، ويُخرج من الشجر ثمرًا، ويجعل في الثمر حلاوة، ويجعل في الحلاوة لذة، ثم يجعل الإنسان يأكل ويشرب، ويجعل له من ذلك قوة، ويجعل القوة سببًا للحياة. فمن يتأمل هذا يعلم أن نعم الله لا تُحصى، وأن شكرها واجب^(١). فهذا الكلام يبين أن النعم متصلة بعضها ببعض، وأن العبد ينبغي له أن يتأمل في هذه السلسلة المتصلة من النعم، ليعلم عظمة المنعم، ووجوب شكره.

ثانيًا: شكر النعمة بالعمل الصالح:

قال محمد بن كعب القرظي رحمه الله: "من أعطي نعمة من الله، فليشكر الله عليها، وليستعملها في طاعته، فإن النعمة إن شكرت زادت، وإن كفرت نقصت"^(٢). وهذا يبين أن الشكر هو استعمال النعمة في طاعة الله، وأنه سبب في زيادتها، وأن كفرها سبب في نقصانها وزوالها.

أولاً: تعريف ابن تيمية:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "الشكر: هو الاعتراف بالنعمة، والثناء بها، واستعمالها في طاعة المنعم، وعدم التعرض لسخطه بها"^(٣). وهذا التعريف الجامع يبين أن للشكر أربعة أركان: الاعتراف بالنعمة في القلب، والثناء بها على اللسان، واستعمالها في طاعة الله، وعدم استعمالها في معصيته.

ثانيًا: مراتب الشكر عند ابن تيمية:

قال ابن تيمية رحمه الله: "الشكر ثلاث مراتب: شكر القلب وهو المعرفة والاعتراف، وشكر اللسان وهو الثناء والحمد، وشكر الجوارح وهو الطاعة

(١) محمد بن كعب: التأمل في تسلسل النعم يدل على كثرتها ويوجب شكرها. المصدر: نضرة النعيم، ٣١٣٠/٨.

(٢) محمد بن كعب القرظي: استعمال النعمة في الطاعة، فالشكر سبب لزيادتها والكفران سبب لنقصها. المصدر: الطيار، حياة السلف بين القول والعمل، ص ٢٨٣.

(٣) ابن تيمية: بيان حقيقة الشكر وأساسه. المصدر: مجموع الفتاوى، ١/١٤٨؛ وجامع الرسائل، ١/٢٤٥.

والامثال "(١)". وهذه المراتب الثلاث هي التي بينها في هذا الكتاب، وهي التي أجمع عليها السلف.

ثالثاً: تعريف ابن القيم للشكر:

قال ابن القيم رحمه الله: "الشكر: ظهور أثر نعمة الله على لسان عبده: ثناءً واعترافاً، وعلى قلبه: شهوداً ومحبة، وعلى جوارحه: انقياداً وطاعة" (٢). فهذا التعريف يجمع بين اللسان والقلب والجوارح، ويبين أن الشكر عبادة متكاملة، لا تقتصر على أحد هذه الأركان.

رابعاً: الشكر والصبر عند ابن القيم:

قال ابن القيم رحمه الله: "الشكر والصبر جناحا المؤمن، لا يقوم إلا بهما، فبالشكر يرتقي إلى الله في النعم، وبالصبر يثبت في البلاء" (٣). وهذا يبين أن المؤمن يحتاج إلى الشكر مع النعم، والصبر مع البلاء، وهما جناحاه اللذان يطير بهما إلى الله.

خامساً: الشكر والمحبة عند ابن القيم:

قال ابن القيم رحمه الله: "الشكر ثمرة المحبة، والمحبة ثمرة المعرفة، فمن عرف الله أحبه، ومن أحبه شكره، ومن شكره زاده الله من فضله" (٤). وهذا يبين أن الشكر مرتبط بالمعرفة والمحبة، فمن عرف الله أحبه، ومن أحبه شكره، ومن شكره زاده الله من فضله.

الفقه المستنبط من نموذج الشكر عند التابعين:

يتبين من نماذج التابعين أن الشكر عندهم عبادة تقوم على معرفة النعمة والمنعم، والثناء عليه، واستعمال النعمة في طاعته واجتناب معصيته، ويكون بالقلب واللسان والجوارح. ويُستحب استحضار نعم الله الظاهرة والخفية، وتأمل ترابطها؛ لما في ذلك من تعظيم المنعم واستدامة شكره. والشكر سبب لزيادة النعم وحفظها، كما أن كفرانها سبب لنقصها وزوالها. ويشعر للمؤمنين الجمع بين الشكر والصبر، ولا سيما عند البلاء، لما لهما من أثر في كمال الإيمان.

(١) ابن تيمية: بيان مراتب الشكر. المصدر: مجموع الفتاوى، ١٤٩/١؛ وابن القيم، مدارج السالكين، ١٣٥/٢.

(٢) ابن القيم: بيان منزلة الشكر وفضلها في سير العبد إلى الله. المصدر: مدارج السالكين، ١٣٨/٢.

(٣) ابن القيم: الشكر من منازل العبودية التي يتحقق بها كمال العبد. المصدر: مدارج السالكين، ١٣٥/٢؛ وعدة الصابرين، ص ١٤٢.

(٤) ابن القيم: بيان منزلة الشكر وآثارها في حياة العبد. المصدر: مدارج السالكين، ١٤٥/٢؛ ومفتاح دار السعادة، ٣٤٨/١.

أقوال السلف في الشكر

أولاً: الشكر عند وجود النعمة:

قال بعض السلف: "إذا أنعم الله على عبد بنعمة، فليشكر الله عليها، فإن الشكر يزيد النعمة، ويمنع زوالها" ^(١). وقال آخرون: "الشكر هو الحافظ للنعم" ^(٢) أي أن الشكر يحفظ النعم من الزوال.

ثانياً: الشكر عند فقد النعمة:

قال بعض السلف: "إذا فقدت نعمة، فاشكر الله على ما بقي، ولا تشغل قلبك بما فقد، فإن الله لم يأخذ إلا وهو قادر على العوض، وإنما ابتلاك ليعلم صبرك وشكرك" ^(٣) فهذا يدل على أن الشكر على ما بقي من النعم، واجب عند فقد بعضها، ولا ينبغي للعبد أن ينشغل بما فقد، بل يشكر على ما بقي.

ثالثاً: الشكر على العافية:

"العافية نعمة لا يشعر بها إلا من فقدتها. 206 "وقال آخرون": من عافاه الله في بدنه، وأمنه في سربه، وآتاه قوت يومه، فكأنما حيزت له الدنيا" ^(٤).

رابعاً: الشكر على الطاعة:

قال بعض السلف: "من أنعم الله عليه بطاعة، فليشكر الله عليها، فإن الطاعة نعمة من الله، والشكر عليها واجب" ^(٥) وهذا يبين أن الطاعة نفسها نعمة، يجب أن يشكر العبد الله عليها، فالتوفيق للطاعة من أعظم النعم.

خامساً: الشكر على التوبة:

قال بعض السلف: "التوبة نعمة عظيمة، يجب شكر الله عليها، فإنها سبب في مغفرة الذنوب، ودخول الجنة" ^(٦). وهذا يبين أن التوبة نعمة من الله، يجب أن يشكر العبد الله عليها، لأنها سبب في الفوز بالجنة والنجاة من النار.

سادساً: الشكر على دفع البلاء:

(١) بعض السلف: الشكر يزيد النعمة ويحفظها من الزوال. المصدر: نضرة النعيم، ٣١٣/٨.
(٢) بعض السلف: «الشكر هو الحافظ للنعم». المصدر: ابن القيم، عدة الصابرين، ص ١٤٣.
(٣) بعض السلف: شكر الله على النعم الباقية عند فقد بعضها، مع الصبر والاحتساب. المصدر: نضرة النعيم، ٣١٣/٨.
(٤) بعض السلف: العافية نعمة لا يدرك قدرها إلا من فقدتها. المصدر: ابن الجوزي، زاد المسير، عند تفسير آية النعم.
(٥) حديث: «من أصبح منكم آمناً في سربه، معافى في جسده، عنده قوت يومه...» في بيان عظم نعمة العافية والأمن. المصدر: الترمذي، السنن، ح (٢٣٤٦)؛ وابن ماجه، السنن، ح (٤١٤١)؛ والألباني، صحيح الجامع، ح (٥٩٦٤).
(٦) بعض السلف: الطاعة نعمة من الله، وشكرها يكون بحمده عليها. المصدر: نضرة النعيم، ٣١٣/٨.

قال بعض السلف: "من نجا من بلاء، أو دُفع عنه مكروه، فليشكر الله على ذلك، فإن السلامة من البلاء نعمة عظيمة" ^(١) وهذا يبين أن دفع البلاء نعمة من الله، يجب أن يشكر العبد الله عليها.

(١) بعض السلف: التوبة نعمة عظيمة تستوجب الشكر، لما تنمّره من مغفرة الذنوب ودخول الجنة. المصدر: فصل الخطاب في الزهد والرفائق، ص ٢٨٢.

مراتب الشكر عند السلف

قسم بعض السلف الشكر إلى مراتب، كل مرتبة أعلى من التي قبلها، ليبينوا أن الشكر ليس درجة واحدة، بل هو مدارج يرتقي فيها العبد، كلما زاد إيمانه، واشتدت معرفته بالله.

المرتبة الأولى: شكر النعمة بلسانه:

وهذه أدنى مراتب الشكر، وهي أن يشكر العبد الله بلسانه، فيقول: "الحمد لله"، و"الشكر لله". وهذه المرتبة لا تكفي وحدها، لأنها قد تكون خالية من عمل القلب والجوارح.

المرتبة الثانية: شكر النعمة بقلبه ولسانه:

وهذه أعلى من الأولى، حيث يقرن العبد الشكر بلسانه بالاعتراف بقلبه، فيشعر بعظمة المنعم، ويتذلل له، ويعترف بأن النعمة من الله وحده.

المرتبة الثالثة: شكر النعمة بقلبه ولسانه وجوارحه:

وهذه أعلى المراتب، حيث يستعمل العبد نعمة الله في طاعته، ويجتنب معاصيه، ويجعل كل جارحة من جوارحه عاملة بطاعة الله.

المرتبة الرابعة: شكر المنعم لا مجرد النعمة:

وهذه أعلى المراتب وأرفعها، حيث لا يرى العبد إلا المنعم، ويشغله عن النعمة نفسها، فيكون همه كله لله، وسعيه كله لله، وحبه كله لله. وهذه مرتبة العارفين والمحبين، كما قال بعض السلف: "شكر النعمة أن تشغله النعمة عن نفسها، وتشغله بالمنعم"^(١)

(١) بعض السلف: النجاة من البلاء ودفع المكروه نعمة عظيمة تستوجب الشكر. المصدر: نضرة النعيم، ٣١٣٢/٨.

ماذا نتعلم من حياة الشاكرين؟

لنسأل أنفسنا سؤالاً جوهرياً: ما الذي نتعلمه حقاً من حياة هؤلاء الشاكرين؟ كيف ننقل هذا الفقه العظيم من صفحات السير والتواريخ إلى واقعنا المعاصر، ومن أروقة العلم إلى نبض القلب؟

إننا حين ننظر في سيرهم، لا نجد شخصية واحدة متكررة، بل نجد مدارس متنوعة للشكر، كل مدرسة تتناسب مع ظرف صاحبها ونوع نعمته. ومع هذا التنوع، تظل هناك قواعد ثابتة وجوامع كلية، هي بمثابة الروح التي حركتهم جميعاً، وهي التي إن تمسكنا بها، استطعنا أن نكون من الشاكرين في زماننا، رغم كثرة الملهيات وانتشار الغفلة.

الشكر هو جوهر العبودية^(١)

أول ما نتعلمه من حياتهم، أن الشكر ليس مجرد فرع من فروع الدين، بل هو جوهر العبودية وروحها. لقد كان الأنبياء والصحابة والتابعون يرون أن العبودية لله لا تقوم إلا بالشكر، وأن من لم يشكر فقد انتقضت عبوديته. وقد رأينا النبي ﷺ وهو يقوم الليل حتى تتفطر قدماه، فيسأل: "أتفعل هذا وقد غفر الله لك؟" فيجيب: "أفلا أكون عبداً شكوراً؟"^(٢)

وهذا يعلمنا أن العبادة الحقة تنبع من الشكر، فمن شكر الله على نعمه، أحب أن يزيد من عبادته، ومن أحب العبادة، زاد شكره، وهكذا في دائرة متصلة من الحب والشكر والقرب. وقد قال الله تعالى في الحديث القدسي: "مَنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ، ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَمَنْ ذَكَرَنِي فِي مَلٍّ، ذَكَرْتُهُ فِي مَلٍّ خَيْرٍ مِنْهُمْ"^(٣) فالذكر والشكر هما الطريق إلى ذكر الله للعبد، وهو أعلى مراتب القرب.

الوعي بالنعم سر دوامها

ثاني ما نتعلمه، أن هؤلاء الشاكرين كانوا أوعى الناس بنعم الله، لا تمر عليهم نعمة إلا ويتأملونها، ولا يشعرون بفضل الله إلا ويقرون به. كانوا يعرفون

(١) على وزن الدعاء مخ العبادة

(٢) قيام النبي ﷺ الليل شكراً لله على نعمه وفضله. المصدر: البخاري، الصحيح، ح (١١٣٠)؛ ومسلم، الصحيح، ح (٢٨١٩).

(٣) حديث قدسي في فضل ذكر الله والتقرب إليه. المصدر: البخاري، الصحيح، ح (٧٤٠٥)؛ ومسلم، الصحيح، ح (٢٦٧٥).

أن النعم كالأمانات، إن شكرتها بقيت، وإن كفرتها زالت. وقد قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "النعم وحشية قيدوها بالشكر"^(١) وفي زماننا، نعيش في بحر زاخر من النعم: الأمن، الصحة، المال، التقنية، وسائل التواصل، ولكن قلّ من يتأملها، وقلّ من يشكر عليها. بل إن بعض هذه النعم - كوسائل التواصل - تحولت عند كثير من الناس إلى نقم، بسبب المقارنات البصرية، وثقافة الشكوى، والاستعراض الرقمي. إننا بحاجة إلى استعادة وعي السلف بالنعم، وأن ننظر إلى كل ما حولنا بعين البصيرة، لا بعين الغفلة.

التواضع ثمرة الشكر في النعم

تعلمنا من حياة أبي بكر الصديق رضي الله عنه، أن التواضع هو التاج الذي يكلل رأس الشاكر. فكلما زادت النعم، زاد التواضع، ولا يغتر العبد بمنصبه أو ماله أو جاهه. قال أبو بكر في خطبته: "أما بعد، أيها الناس، إني قد وُلِّيتُ عليكم، ولست بخيركم، فإن أحسنتُ فأعينوني، وإن أسأتُ فقوّموني"^(٢) فالتواضع هو الذي يمنع الغرور، ويحفظ النعمة من الكبر الذي يمحّقها. وهذا الدرس مهم جدًا لكل صاحب منصب أو مال أو علم في عصرنا، حيث يغرق الكثيرون في بحر العجب، وينسبون الفضل لأنفسهم، فيستحقون بذلك زوال النعمة.

الشكر بالإنفاق والعمل الصالح

تعلمنا من حياة عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهما، أن شكر المال هو إنفاقه في سبيل الله، وأنه لا يكفي أن يقول الإنسان: "الحمد لله" وهو يمسك ماله عن الفقراء والمحتاجين. لقد كان هذان الصحابيَّان يريان أن المال نعمة واختبار، وأن شكرها يكون بإخراج زكاتها، والصدقة بها، والنفقة على الأهل، واجتناب الإسراف والحرام^(٣).

(١) عمر بن الخطاب: «النعم وحشية فقيدوها بالشكر». المصدر: ابن أبي الدنيا، كتاب الشكر؛ وزروق، شرح الحكم العطانية؛ ونصرة النعيم، ٣١٢٩/٨.

(٢) أبو بكر: طلب إعانة الناس له على الخير وتقويمه عند الخطأ. المصدر: ابن كثير، البداية والنهاية، ٣٠٦/٦؛ والذهبي، سير أعلام النبلاء، ١٩٥/١.

(٣) عثمان وعبد الرحمن بن عوف: شكر نعمة المال يكون بالإنفاق وإعانة المحتاجين. المصدر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ١٢٠/٣؛ والذهبي، سير أعلام النبلاء، ٨٥/١.

وهذا يعلمنا أن الشكر العملي هو أبلغ من الشكر القولي، وأن القول بلا عمل كالشجرة بلا ثمر، لا تنفع صاحبها ولا تغني عنه شيئاً.

البصيرة في البلاء والشكر عليه

تعلمنا من حياة أيوب عليه السلام، وعلي بن أبي طالب، وأبو الدرداء رضي الله عنهم، أن أعلى مراتب الشكر هي الشكر على البلاء، وأن المؤمن يرى في المصيبة نعمة خفية: تكفيراً للذنوب، أو رفعاً للدرجات، أو تذكيراً بالآخرة. قال أبو الدرداء: "ما أمسيت ليلة وأصبحت لم يرمني الناس فيها بداهية إلا رأيته نعمة من الله عليّ عظيمة" (١)

طلب العون على الشكر من الله

تعلمنا من وصية النبي ﷺ لمعاذ بن جبل رضي الله عنه، أن الشكر يحتاج إلى معونة من الله، وأن العبد مهما اجتهد لا يبلغ شكر الله حق شكره. وقد علمه النبي ﷺ دعاء: "اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك" (٢) وهذا يعلمنا التواضع أمام الله، والاعتراف بالعجز عن أداء حق الشكر، وطلب المعونة منه، فهو الذي يوفق للشكر، وهو الذي يثبت عليه. ومن ظن أنه يشكر بقوته، فقد وقع في الغرور، واستحق زوال النعمة.

تطبيقات عملية من حياة الشاكرين

مما نتعلمه من حياتهم أيضاً، تطبيقات عملية يمكننا أن نقتدي بها في حياتنا اليومية:

١. الورد اليومي للشكر: كان السلف يحرصون على أذكار الصباح والمساء، ومنها دعاء الاعتراف بالنعمة: "اللهم ما أصبح بي من نعمة فمنك وحدك لا شريك لك، فلك الحمد ولك الشكر" (٣) وهذا الورد اليومي يجعل العبد دائم الاتصال بالله، دائم الاعتراف بفضله.
٢. دفتر النعم: كان السلف يتفكرون في نعم الله، ويتأملونها، ويذكرونها، وهذا يعين على شكرها. وقد كان بعضهم يعدّ النعم بالقلب واللسان، فكان ذلك سبباً في دوامها وزيادتها.

(١) أبو الدرداء: السلامة من مصائب الناس نعمة عظيمة تستوجب الشكر. المصدر: ابن عساکر؛ والكاهلوي، حياة الصحابة، ٣٩٦/٣.

(٢) الدعاء بالاستعاذة من العجز والكسل وسؤال الله العون. المصدر: أبو داود، السنن، ح (١٥٢٢)؛ والنسائي، السنن، ح (١٣٠٣).

(٣) دعاء الصباح المتضمن الاعتراف بنعم الله وشكره عليها. المصدر: أبو داود، السنن، ح (٥٠٧٣)؛ وابن حبان، الصحيح، ح (٨٦١).

٣. المحاسبة اليومية : كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يحاسب نفسه، ويتفقد نعم الله عليه، ويخاف من زوالها. وهذا يذكرنا بأهمية المراجعة اليومية، والتأمل في النعم، والشكر عليها، والاستغفار من تقصير الشكر.

٤. التحدث بالنعم : كان السلف يتحدثون بنعم الله، لا على سبيل الفخر، بل اعتراف بفضل الله. وقد قال تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾^(١). والتحدث بالنعم من تمام الشكر، وهو يزيدها بركة.

الخاتمة - كيف نكون من الشاكرين في عصرنا؟

إن السؤال الذي يطرح نفسه بقوة : كيف نكون من الشاكرين في عصرنا، مع كل هذه الملهيات؟

إن خير ما نتعلمه من حياة الشاكرين، هو أن الشكر ليس محطة نصل إليها، بل هو طريق نسير فيه، كلما ازددنا نعمًا، ازددنا شكرًا، وكلما ازددنا شكرًا، ازددنا نعمًا، حتى نلقى الله وهو راضٍ عنا. هذا هو فقه الشكر كما فهمه النبي ﷺ وأصحابه والتابعون، وهذا هو المنهج الذي نحتاج إليه في كل زمان ومكان.

(١) الأمر بالتحدث بنعمة الله: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾. المصدر: سورة الضحى، الآية (١١).

أنواع النعم وكيفية شكرها

نعمة الإيمان والإسلام - أعظم النعم

إن نعمة الإيمان ليست كسائر النعم، فهي أصل النعم كلها، وهي القاعدة التي يقوم عليها كل خير، وهي الوسيلة التي بها ينال العبد كل نعمة في الدنيا والآخرة. فمن آمن بالله ورسوله، فقد نال أعظم ما يمكن أن يناله إنسان، ومن حُرِمَ الإيمان، فقد خسر الدنيا والآخرة، حتى لو أُوتِيَ من نعم الدنيا ما أُوتِيَ. وقد قال الله تعالى: ﴿أَمَّنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾^(١) وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ﴾^(٢)

الإيمان أعظم النعم

لقد جاءت نصوص الوحيين لتبين لنا أن الإيمان هو أعظم نعمة أنعمها الله على عباده، وأنه الأصل الذي تبنى عليه سائر النعم. فما من نعمة دنيوية تساوي نعمة الإيمان، وما من متعة في الدنيا تعدل لذة اليقين بالله.

أولاً: الإيمان هو النعمة التي بها يُقبل العمل:

قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْشَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّه حَيَاةً طَيِّبَةً﴾^(٣) فهذه الآية تبين أن الإيمان شرط لقبول العمل، وأن العمل لا ينفع صاحبه إلا إذا كان مصحوباً بالإيمان. فمن حُرِمَ الإيمان، ضاع عمله، وخاب سعيه، حتى لو كان في ظاهره خيراً. قال تعالى: ﴿وَقَدْ مَنَّا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾^(٤)

ثانياً: الإيمان هو النعمة التي توجب دخول الجنة:

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾^(٥) فالجنة ليست لمن كثر ماله، أو قويت صحته، أو طال عمره،

(١) انشراح الصدر للإسلام علامة على الهداية. المصدر: سورة الزمر، الآية (٢٢).

(٢) من يرد الله إضلاله يجعل صدره ضيقاً حرجاً. المصدر: سورة الأنعام، الآية (١٢٥).

(٣) جزاء المؤمنين في الدنيا والآخرة، مع الحياة الطيبة لمن عمل صالحاً. المصدر: سورة النحل، الآية (٩٧).

(٤) بطلان الأعمال التي لا تقوم على الإيمان والإخلاص. المصدر: سورة الفرقان، الآية (٢٣).

(٥) دخول الجنة لمن آمن وعمل الصالحات. سورة البقرة، الآية (٨٢).

بل هي لمن آمن بالله وعمل صالحًا. فالإيمان هو المفتاح لدخول الجنة،
والوسيلة للفوز برضوان الله.

ثالثاً: الإيمان هو النعمة التي توجب محبة الله:

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ ^(١)
فالله يضع للمؤمنين محبة في قلوب الناس، ويحبهم هو أيضاً، وهذا من أعظم
النعم. فمن آمن بالله، أحبه الله، وأحبه الناس.

رابعاً: الإيمان هو النعمة التي توجب النصر في الدنيا:

قال تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾
^(٢) فالله ينصر المؤمنين في الدنيا والآخرة، وهذا من أعظم النعم، حيث يشعر
المؤمن بأن الله معه، وناصره، ومؤيده.

(١) جعل الله للمؤمنين محبة وقبولاً. سورة مريم، الآية (٩٦).
(٢) نصر الله للرسل والمؤمنين وثباتهم. سورة غافر، الآية (٥١).

كيف نشكر نعمة الإيمان؟

إذا كان الإيمان هو أعظم النعم، فكيف يكون شكر نعمة الإيمان؟

أولاً: شكر الإيمان بالثبات عليه:

أول واجب على من أنعم الله عليه بالإيمان، هو أن يثبت عليه، وأن يحافظ عليه، ولا يفرط فيه. وقد كان النبي ﷺ يكثر من الدعاء بالثبات "اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الثَّبَاتَ فِي الْأَمْرِ، وَالْعَزِيمَةَ عَلَى الرَّشْدِ" (١).

فالثبات على الإيمان هو أعظم صور شكره، لأن من ثبت على الإيمان، فقد اعترف بأن هذه النعمة تستحق المحافظة عليها، وأنه لا يرضى بغيرها بديلاً.

ثانياً: شكر الإيمان بالعمل به:

الإيمان ليس مجرد قول باللسان، بل هو عمل بالجوارح، وتصديق بالقلب فشكر الإيمان يكون بإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصيام رمضان، وحج البيت، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والجهاد في سبيل الله.

ثالثاً: شكر الإيمان بالدعوة إليه:

من أعظم صور شكر نعمة الإيمان، أن يدعو الناس إليه، وأن يبذل جهده في هداية الخلق إلى هذا الخير العظيم. فالدعوة إلى الله هي من تمام الشكر، لأنها تعني أن المؤمن يشكر الله على نعمة الإيمان، فيريد أن يشاركه فيها غيره.

رابعاً: شكر الإيمان بالتحدث به:

كان النبي ﷺ يحرص على إظهار نعمة الإسلام، والتحدث بها، وإعلانها بين الناس. قال تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ (٢). فمن شكر نعمة الإيمان، تحدث بها، وأظهرها، واعتز بها، ولم يستحي منها، ولم يخاف من إظهارها.

خامساً: شكر الإيمان بالاستغفار من التقصير:

لا يخلو مؤمن من تقصير في شكر هذه النعمة العظيمة، ولذلك كان من شكرها أن يستغفر الله من تقصيره، ويسأله أن يعينه على أداء حقها.

(١) دعاء النبي ﷺ الجامع في سؤال الله الخير والاستعاذة من الشر. الترمذي، السنن، ح (٣٤٨٩)؛ والنسائي، السنن، ح (١٠٣٣) حقيقة الإيمان: الإيمان بالله ورسوله وعدم الشك والجهاد بالمال والنفس. سورة الحجرات، الآية (١٥).

(٢) التحدث بنعمة الله وشكرها. سورة الضحى، الآية (١١).

الثبات على الدين - شكر النعمة الأكبر

إن من أعظم ما يهدد نعمة الإيمان، هو الفتن والزلازل التي تحيط بالمؤمن من كل جانب، والتي قد تسلب منه إيمانه في لحظة غفلة. ولذلك كان السلف يخافون على إيمانهم، ويحرصون على الثبات عليه، ويشكرون الله على كل لحظة يعيشونها في ظل الإيمان.

أولاً: الخوف من زوال الإيمان:

كان الصحابة والتابعون يخافون على إيمانهم، وكانوا يشعرون بأن الإيمان نعمة عظيمة، قد تزول بغتة. قال حنظلة الكاتب رضي الله عنه: "نَافَقَ حَنْظَلَةُ"، فقال له النبي ﷺ: "وَيَحَكَ يَا حَنْظَلَةُ، كَيْفَ نَافَقْتَ؟" قال: "إِذَا كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ذَكَرْنَا بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ حَتَّى كَأَنَّا رَأَيْ عَيْنٍ، فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَافَسْنَا الْأَزْوَاجَ وَالْأَوْلَادَ وَالضَّيِّعَاتِ، نَسِينَا كَثِيرًا"، قال رسول الله ﷺ: "وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنْ تَدُومُونَ عَلَى مَا تَكُونُونَ عِنْدِي، وَلَفِي الذِّكْرِ، لَصَافَحْتَكُمْ الْمَلَائِكَةُ عَلَى فُرُشِكُمْ، وَلَكِنْ سَاعَةً وَسَاعَةً" (١).

ثانياً: وسائل الثبات على الإيمان:

١. القرآن الكريم: تلاوته وتدبره والعمل به، قال تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ (٢)
٢. الصلاة: وهي الصلة بين العبد وربّه، قال تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ (٣)
٣. الذكر والدعاء: قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ (٤)
٤. صحبة الصالحين: قال تعالى: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ (٥)

(١) ملازمة ذكر الله ومراقبة الآخرة. مسلم، الصحيح، ح (٢٧٥٠).

(٢) القرآن يهدي إلى الطريق الأقوم. سورة الإسراء، الآية (٩).

(٣) إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، والنهي عن الفحشاء والمنكر. سورة العنكبوت، الآية (٤٥).

(٤) طمأنينة القلوب بذكر الله. سورة الرعد، الآية (٢٨).

(٥) الصبر مع الذين يدعون ربهم، وعدم الغفلة عن ذكره. سورة الكهف، الآية (٢٨).

الدعوة إلى الله - شكر النعمة بالبذل

من أعظم صور شكر نعمة الإيمان، أن يبذل المؤمن جهده في دعوة الناس إلى هذا الخير العظيم. فمن شكر النعمة، أن يشارك فيها غيره، وأن يسعى في هداية الخلق، وأن يكون سبباً في دخول الناس إلى الإسلام.

أولاً: الدعوة إلى الله من تمام الشكر:

قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾^(١) فهذه الآية تبين أن الدعوة إلى الله هي أحسن قول، وأنها من صميم العمل الصالح، وأنها من علامات الإسلام الصادق.

ثانياً: الدعوة تكون بالقول والعمل:

الدعوة إلى الله ليست مجرد كلام، بل هي قدوة حسنة، وعمل صالح، وسلوك قويم. فالمؤمن يدعو الناس إلى الإسلام بلسانه، ويدعوهم أيضاً بخلقه، وسلوكه، وتعاملاته. قال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾^(٢)

ثالثاً: الدعوة إلى الله تكون بالصبر:

الدعوة إلى الله تحتاج إلى صبر، لأن الناس متفاوتون في استجابتهم، وقد يواجه الداعية الرفض والأذى. قال تعالى: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعِزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾^(٣)

(١) الدعوة إلى الله بالقول الحسن والعمل الصالح. سورة فصلت، الآية (٣٣).

(٢) الدعوة إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن. سورة النحل، الآية (١٢٥).

(٣) الصبر على أذى المكذبين والافتداء بأولي العزم من الرسل. سورة الأحقاف، الآية (٣٥).

عدم الاغترار بالنفس - شكر الإيمان بالتواضع

من أخطر ما يهدد نعمة الإيمان، هو أن يغتر العبد بإيمانه، ويرى نفسه فوق الآخرين، ويظن أنه أفضل منهم، وأنه ناج من عذاب الله. وهذا الغرور قد يكون سبباً في زوال الإيمان، أو نقصانه، أو حبوط العمل.

أولاً: الخوف من الاغتراب:

كان السلف يخافون من الاغترار بالإيمان، وكانوا يخشون أن يكونوا ممن قال الله فيهم: ﴿أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا﴾^(١) وكانوا يخافون من سوء الخاتمة، ومن أن يُسلبوا الإيمان في آخر لحظة من حياتهم.

ثانياً: علاج الاغترار:

١. كثرة الاستغفار: قال الله تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ﴾^(٢)

٢. الخوف من مكر الله: قال تعالى: ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾^(٣).

٣. النظر إلى النفس بعين النقص: كان السلف يرون أنفسهم مقصرين، ولا يرون لأنفسهم فضلاً على غيرهم.

٤. الدعاء بحسن الخاتمة: كان النبي ﷺ يقول: "اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ حُسْنَ الْخَاتِمَةِ"^(٤).

(١) عدم التسوية بين من زُيِّنَ له سوء عمله ومن اهتدى. سورة فاطر، الآية (٨).

(٢) الاستغفار والتوحيد وطلب المغفرة. سورة محمد، الآية (١٩).

(٣) الأمان من مكر الله ليس من صفات المؤمنين. سورة الأعراف، الآية (٩٩).

(٤) دعاء أنس في الصباح المتضمن سؤال العافية والاعتراف بنعم الله. النسائي، السنن، ح (١٠٣٤)؛ والألباني، صحيح الترغيب، ح (٦٥٦).

شكر الإيمان في واقع العصر

في واقعنا المعاصر، تتعرض نعمة الإيمان لهجمات شرسة من كل جانب: شبهات تثير الشكوك، وشهوات تلهي القلوب، وفتن تزلزل اليقين، ووسائل إعلام تروج للإلحاد والانحلال. ولذلك، فإن شكر نعمة الإيمان في عصرنا يحتاج إلى جهد مضاعف، وصبر عظيم، ويقين راسخ.

أولاً: التحديات المعاصرة:

١. الشبهات الفكرية: انتشار الإلحاد والشك، وتقديم الإسلام بصورة مشوهة.

٢. الفتن الشهوانية: انتشار المحرمات، وتيسير الوصول إليها عبر وسائل التواصل.

٣. الضغوط الاجتماعية: الضغوط على المسلمين في بعض المجتمعات، ومحاولة إبعادهم عن دينهم.

٤. الانشغال بالدنيا: الانغماس في زخرف الدنيا، والانشغال عن الآخرة.

ثانياً: وسائل الثبات في عصر الفتن:

١. العودة إلى القرآن والسنة: التمسك بالكتاب والسنة، والعودة إليهما في كل مسألة.

٢. طلب العلم الشرعي: الالتحاق بحلقات العلم، وحضور مجالس الذكر.

٣. البعد عن مواقع الشبهات: الابتعاد عن المواقع التي تثير الشبهات، أو تروج للشهوات.

٤. صحبة الأخيار: اختيار الأصدقاء الصالحين، الذين يعينون على الطاعة، ويذكرون بالله.

٥. الدعاء بالثبات: الإكثار من الدعاء بالثبات على الإيمان، كما كان النبي ﷺ يفعل.

نعمة الجسد والصحة والعافية

ما قيمة المال مع مرضٍ يُعجز عن التصرف فيه؟ وما قيمة العلم مع عاهةٍ تحجب البصيرة؟ وما قيمة الأهل مع ألم يمنع اللذة؟ إن الصحة هي تاج على رؤوس الأصحاء، لا يراه إلا المرضى، كما قال الحكماء.

وقد أشار القرآن الكريم إلى هذه النعمة في مواضع شتى، وأمر بشكرها، وحذر من كفرانها. قال تعالى: ﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾^(١) وقد فسرها كثير من السلف بأن النعيم المقصود هو الصحة والأمن والطعام والشراب^(٢) وقال رسول الله ﷺ في الحديث الصحيح: "مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمِنًا فِي سِرْبِهِ، مُعَافًى فِي جَسَدِهِ، عِنْدَهُ قُوَّةٌ يَوْمِهِ، فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا"^(٣) فجعل ﷺ العافية في الجسد من أعظم ثلاث نعم، لو اجتمعت للإنسان، فكأنما ملك الدنيا بحذافيرها.

وإن من أعظم ما يثلج الصدر، ويحرك القلوب الساهية، أن نتأمل كيف كان السلف يقدّرون هذه النعمة حق قدرها، ويشكرون الله عليها، ويخافون من زوالها، ويستعملونها في طاعة الله قبل أن تفوتهم. كانوا يعلمون أن الصحة تاج، يلبسه الأصحاء ولا يشعرون بقيمته، وأن كل يوم يعيشونه في عافية هو غنيمة يجب استثمارها في العمل للآخرة.

(١) القرآن الكريم، سورة التكاثر، الآية (٨).

(٢) روي عن ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ أنه قال: «الأمن والصحة». ينظر: الطبري، تفسير الطبري، ج ٣٠، ص ١٨٨؛ ابن كثير، تفسير ابن كثير، ج ٤، ص ٥٣٢.

(٣) أخرجه الترمذي، سنن الترمذي، كتاب الزهد، باب ما جاء في القناعة، حديث رقم (٢٣٤٦)، وقال: «حديث حسن صحيح». وأخرجه ابن ماجه، سنن ابن ماجه، كتاب الزهد، حديث رقم (٤١٤١)، عن عبيد الله بن محسن، واللفظ له. وصححه الألباني في صحيح الجامع، حديث رقم (٥٩٦٤).

الصحة نعمة مغبون فيها كثير من الناس

لقد حذر النبي ﷺ من الغفلة عن نعمة الصحة، ويبيّن أن أكثر الناس يغبون فيها، أي يخسرونها ولا يقدّرون قيمتها إلا بعد فواتها. قال ﷺ: "نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ: الصَّحَّةُ وَالْفَرَاغُ" ^(١) فالصحة والفراغ هما نعمتان عظيمتان، يغفل عنهما كثير من الناس، فينفقون صحتهم في معاصي الله، ويضيعون أوقاتهم في غير طاعة، ثم يندمون حين لا ينفع الندم. وقال ﷺ: "اغْتَنِمِ خَمْسًا قَبْلَ خَمْسٍ: شَبَابَكَ قَبْلَ هَرَمِكَ، وَصِحَّتَكَ قَبْلَ سَقَمِكَ، وَغِنَاكَ قَبْلَ فَقْرِكَ، وَفَرَاغَكَ قَبْلَ شُغْلِكَ، وَحَيَاتَكَ قَبْلَ مَوْتِكَ" ^(٢) فهذه الوصية النبوية العظيمة توجّه المؤمن إلى استغلال نعمة الصحة قبل أن تفوته، والعمل الصالح في زمن الشباب والعافية، فإن المرض والهزم قد يمنعان عن كثير من الطاعات.

كيف نشكر نعمة الجسد؟

إذا كانت الصحة والعافية من أعظم النعم، فإن شكرها يكون بأمر متعددة، تجمع بين القلب واللسان والجوارح:
أولاً: استعمال الجسد في طاعة الله:

هذا هو أعظم صور شكر نعمة الجسد، أن يستعمله العبد في عبادة ربه، ولا يستعمله في معصيته. فاليد تشكر الله بالإففاق والكف عن الحرام، والعين تشكره بالنظر إلى الحلال وغيض البصر عن الحرام، والأذن تشكره بسماع الذكر والقرآن، والرجل تشكره بالمشي إلى المساجد وقضاء حوائج الناس. قال تعالى: ﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا﴾ ^(٣) فجعل العمل بطاعة الله هو عين الشكر. وقد كان السلف إذا سمعوا هذه الآية بكوا، وقالوا: "كيف نعمل شكرًا لله على نعمه؟" ^(٤) وكانوا يستعملون جوارحهم في طاعة الله، ويحاسبونها على كل حركة، فلا يتركونها تتحرك في معصية.

(١) أخرجه البخاري، صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب في الصحة والفراغ، حديث رقم (٦٤١٢)، عن ابن عباس رضي الله عنهما، واللفظ له.

(٢) أخرجه الحاكم، المستدرک على الصحيحين، كتاب الرقاق، حديث رقم (٧٨٤٠)، عن ابن عباس رضي الله عنهما، وقال: «صحيح الإسناد». وحسنه الألباني في صحيح الجامع، حديث رقم (١٠٧٧).

(٣) القرآن الكريم، سورة سبأ، الآية (١٣).

(٤) رُوي عن الحسن البصري رحمه الله أنه قال: «كيف نعمل شكرًا لله على نعمه؟». يُنظر: زهد الحسن البصري، ص ٥٤؛ نضرة النعيم، ج ٨، ص ٣١٣.

ثانياً: حفظ الجسد من الضرر:

من شكر نعمة الجسد، أن يحفظه مما يؤذيه، ولا يتعرض للأسباب التي تضره. قال تعالى: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾^(١). فالمؤمن يحافظ على صحته، ويجتنب ما يضرها، ولا يعرض نفسه للخطر، ولا يستهين بجسده الذي هو أمانة عنده.

ثالثاً: الوقاية قبل العلاج:

من شكر نعمة الجسد، أن يبذل الأسباب التي تحفظ الصحة، ويبقي نفسه من الأمراض قبل أن تحل به. قال ﷺ: "مَنْ تَصَبَّحَ كُلَّ يَوْمٍ بِسَبْعِ تَمَرَاتٍ عَجْوَةً، لَمْ يَضُرَّهُ ذَلِكَ الْيَوْمَ سُوءٌ وَلَا سِحْرٌ"^(٢). فهذا الحديث يبين مشروعية اتخاذ الأسباب الوقائية، مع التوكل على الله، وأن هذا من تمام الشكر على نعمة الصحة.

رابعاً: الدعاء بالعافية:

كان من هدي النبي ﷺ الإكثار من الدعاء بالعافية، لأن العافية هي أعظم ما يسأله العبد بعد الإيمان. فقد كان ﷺ يقول: "اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ فِي دِينِي وَدُنْيَايَ وَأَهْلِي وَمَالِي"^(٣) وكان يقول: "اللَّهُمَّ عَافِنِي فِي بَدَنِي، اللَّهُمَّ عَافِنِي فِي سَمْعِي، اللَّهُمَّ عَافِنِي فِي بَصَرِي"^(٤).

خامساً: الحمد على العافية عند رؤية المبتلين:

كان النبي ﷺ يعلم أصحابه أن يشكروا الله على العافية، وأن يحمده إذا رأوا من ابتلي ببلاء. فقد قال ﷺ: "مَنْ رَأَى مُبْتَلًى فَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَافَانِي مِمَّا ابْتَلَاكَ بِهِ، وَفَضَّلَنِي عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقَ تَفْضِيلاً، لَمْ يُصِبْهُ ذَلِكَ

(١) القرآن الكريم، سورة البقرة، الآية (١٩٥).
(٢) أخرجه البخاري، صحيح البخاري، كتاب الأطعمة، باب التمر، حديث رقم (٥٤٤٥)، ومسلم، صحيح مسلم، كتاب الأشربة، باب فضل تمر العجوة، حديث رقم (٢٠٤٧)، عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، واللفظ للبخاري.
(٣) أخرجه أبو داود، سنن أبي داود، كتاب الأدب، باب في الدعاء، حديث رقم (٥٠٧٤)، عن عثمان بن عفان رضي الله عنه، وصححه الألباني في صحيح أبي داود.
(٤) أخرجه أحمد، مسند أحمد، حديث رقم (١٩٠٠٦)، عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، حديث رقم (٦٥٦).

الْبَلَاءُ" ^(١) فهذا من شكر نعمة العافية، والاعتراف بفضل الله، والابتعاد عن التكبر على المبتلين.

(١) أخرجه الترمذي، سنن الترمذي، كتاب الزهد، باب ما جاء فيمن رأى مبتلى، حديث رقم (٣٤٣٠)، عن أبي هريرة رضي الله عنه، وقال: «حديث حسن غريب». وحسنه الألباني في صحيح الترمذي.

هدي السلف في شكر الصحة

كان السلف رضي الله عنهم أحرص الناس على شكر نعمة الصحة، وكانوا يدركون أن الصحة نعمة عظيمة تستوجب شكرًا عظيمًا.

أولاً: الصحابة والصحة:

كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه إذا أصبح، قال لأهله: "أَصْبَحْنَا فِي نِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ، لَا نَذْرِي مَا يَحْدُثُ، فَاشْكُرُوا اللَّهَ عَلَى الْعَافِيَةِ". وكان يبكي إذا رأى مريضاً، ويقول: "اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ زَوَالِ نِعْمَتِكَ، وَتَحَوُّلِ عَافِيَتِكَ" (١).

ثانياً: التابعون والصحة:

كان الحسن البصري رحمه الله إذا رأى مريضاً، قال: "الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَافَانِي، وَلَمْ يَبْتَلِنِي، وَفَضَّلَنِي عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقَ تَفْضِيلًا". وكان يبكي إذا ذكر المرض، ويقول: "كم من نعمة لله في عرق ساكن" (٢).

ثالثاً: استعمال الصحة في العبادة:

كان السلف يستعملون صحتهم في العبادة، ويستغلون كل لحظة من لحظات عافيتهم في طاعة الله. فقد كانوا يقومون الليل، ويصومون النهار، ويذكرون الله في كل وقت، ويبذلون جهودهم في نشر العلم والدعوة إلى الله. وكانوا يرون أن المرض قد يمنعهم عن كثير من الطاعات، فيغتفون الصحة قبل فواتها.

خطر الغفلة عن نعمة الصحة في عصر الرفاهية

في عصرنا الحالي، نعيش في بحر من النعم الصحية: الأدوية المتطورة، والخدمات الطبية المتقدمة، والوعي الصحي المتزايد. ولكن مع كل هذه النعم، نجد أن الغفلة عن شكر الصحة هي السمة الغالبة، بل إن كثيراً من الناس يستعملون صحتهم في معصية الله، ويضيعون أوقاتهم فيما لا ينفع، وينسون أن هذه الصحة ستُسأل عنها يوم القيامة.

(١) رُوي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه كان إذا أصبح قال لأهله: «أصبحنا في نعمة من الله، لا نذري ما يحدث، فاشكروا الله على العافية». ويُنظر أيضاً دعاؤه: «اللهم إني أعوذ بك من زوال نعمتك، وتحول عافيتك». أخرجه مسلم، صحيح مسلم، كتاب الذكر والدعاء، باب التعوذ من شرور النفس وسينات الأعمال، حديث رقم (٢٧٣٨)، عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

(٢) رُوي عن الحسن البصري رحمه الله أنه قال: «كم من نعمة لله في عرق ساكن». رواه أبو نعيم في حلية الأولياء. يُنظر: الطيار، حياة السلف بين القول والعمل، ص ٢٨٢.

أولاً: مظاهر الغفلة عن شكر الصحة:

١. الانشغال بالدنيا عن الآخرة : صرف الصحة في جمع المال، والانشغال بالمتع، وتضييع الوقت في اللهو والترفيه.
٢. استعمال الجوارح في المعاصي : النظر إلى المحرمات، والاستماع إلى المحرمات، والمشي إلى المعاصي، واستعمال اليد في البطش والظلم.
٣. الإسراف في المأكّل والمشرب : الإفراط في الأكل والشرب، وإيذاء الجسد بما يضره، وعدم مراعاة حدود الصحة.
٤. الغفلة عن شكر النعمة : نسيان فضل الله، واعتبار الصحة أمراً عادياً، وعدم الالتفات إلى قيمتها الحقيقية.

ثانياً: خطورة هذه الغفلة:

إن الغفلة عن شكر الصحة قد تكون سبباً في زوالها، كما قال بعض السلف " : من لم يشكر النعم فقد تعرّض لزوالها " ^(١). وقد ابتلي كثير من الناس بالأمراض المزمنة، والعاهات المستديمة، بعد أن كانوا في صحة وعافية، ونسوا شكر الله عليها. قال تعالى : ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ ^(٢).

(١) رُوي عن بعض السلف أنهم قالوا: «من لم يشكر النعم فقد تعرّض لزوالها». ينظر: نضرة النعيم، ج ٨، ص ٣١١.

(٢) القرآن الكريم، سورة النحل، الآية (١١٢).

تطبيقات عملية لشكر نعمة الصحة

لنحرص على أن نجعل شكر نعمة الصحة جزءاً من حياتنا اليومية، من خلال تطبيقات عملية:

أولاً: الورد اليومي للشكر على الصحة:

أن نقول في كل صباح ومساءً: "اللَّهُمَّ مَا أَصْبَحَ بِي مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنْكَ وَحَدِّكَ، لَا شَرِيكَ لَكَ، فَלَكَ الْحَمْدُ وَلَكَ الشُّكْرُ" (١). وأن نخص بالذكر نعمة الصحة والعافية، ونحمد الله عليها.

ثانياً: استغلال الصحة في الطاعة:

أن نضع لأنفسنا أهدافاً عبادة، نستغلها في زمن الصحة، قبل أن يفوتنا المرض. كقيام الليل، وصيام التطوع، وقراءة القرآن، وحلقات العلم، والدعوة إلى الله.

ثالثاً: الحذر من استعمال الصحة في المعصية:

أن نحاسب جوارحنا، ولا نتركها تتحرك في معصية الله، وأن نغض أبصارنا، ونحفظ أسماعنا، ونكف أيدينا عن الظلم، ونحبس أقدامنا عن المشي إلى الحرام.

رابعاً: الدعاء بالعافية والثبات:

أن نكثر من الدعاء بالعافية، كما كان النبي ﷺ يفعل، وأن نسأل الله الثبات على الصحة، وحسن استعمالها في طاعته.

خامساً: تذكر نعمة الصحة عند رؤية المرضى:

أن نشكر الله على عافيتنا، وندعو للمرضى بالشفاء، وأن نحسب الأجر في ذلك، ونشعر بقيمة نعمة الله علينا.

(١) أخرجه أبو داود، سنن أبي داود، كتاب الأدب، باب ما يقول إذا أصبح، حديث رقم (٥٠٧٣)، وابن حبان، صحيح ابن حبان، حديث رقم (٨٦١)، واللفظ لأبي داود. وحسنه ابن القيم في زاد المعاد، ج ٢، ص ٣٧٣، والنووي في الأذكار، ص ٧٤، والحافظ ابن حجر في تعليقه على صحيح ابن حبان.

نعمة المال والرزق

نعمة المال والرزق نعمة عظيمة، بها يقوم معاش الناس، وتُقضى الحاجات، وتُقام المصالح، وتُنصر بها الحقوق. ولكنها في الوقت نفسه فتنة عظيمة واختبار شديد، قد تكون سبباً في سعادة صاحبها أو شقائه، حسب كيفية تعامله معها، وحسب شكره لله عليها.

لقد أكثر القرآن من الحديث عن المال، وبيّن أنه زينة الحياة الدنيا، وأنه متاع، وأنه فتنة، وأنه اختبار وجعل الله المال سبباً لقيام المصالح، ووسيلة للتقرب إليه بالإِنفاق في سبيله. وقال: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾

وإن من أعظم ما يثلج الصدر، أن نتأمل كيف كان السلف يتعاملون مع المال، وكيف كانوا يشكرون الله عليه، وكيف كانوا يخافون من أن يكون فتنة لهم، وكيف كانوا يبذلونه في سبيل الله. كانوا يعلمون أن المال نعمة واختبار، وأن شكره يكون بالإِنفاق في وجوه الخير، واجتناب الإسراف والحرام، وأن كفرانه يكون بالبخل والمنع والحرص والطغيان.

المال نعمة واختبار

لقد جعل الله المال نعمة عظيمة، لكنه جعله في الوقت نفسه اختباراً وابتلاءً، ليرى كيف يتصرف العبد فيه، أيشكر أم يكفر، أيدل أم يمسك، أيستعمله في طاعته أم في معصيته.

أولاً: المال نعمة من الله:

المال من أعظم النعم التي أنعم الله بها على عباده، فهو سبب في قضاء الحوائج، ودفع الضرورات، وإقامة المصالح. قال تعالى: ﴿وَأَتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾^(١). وقال: ﴿وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ﴾^(٢) فالمال نعمة، والتفاوت في الرزق سنة من سنن الله، وكلُّ يُعطى بحسب ما علم الله من مصلحته.

ثانياً: المال اختبار وفتنة:

المال وإن كان نعمة، فهو في الوقت نفسه اختبار وفتنة، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾^(٣). فهو يفتن صاحبه، فقد يلهيه عن ذكر الله، وقد يغره فيتكبر، وقد يمنعه من الإنفاق في سبيل الله، وقد يجعله يبخل ويمسك. وقد قال رسول الله ﷺ: "إِنَّ لِكُلِّ أُمَّةٍ فِتْنَةً، وَفِتْنَةُ أُمَّتِي الْمَالُ"^(٤). فهذا الحديث يبين أن المال هو أعظم فتنة تصيب هذه الأمة، لأنه يلهي القلوب، ويشغل عن الآخرة، ويوقع في البخل والحرص.

كيف نشكر نعمة المال؟

إذا كان المال نعمة واختباراً، فإن شكره يكون بأمر متعددة، تجمع بين القلب واللسان والجوارح:

أولاً: شكر المال بإخراج الزكاة:

الزكاة هي الركن الثالث من أركان الإسلام، وهي من أعظم صور شكر المال. قال تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾^(٥). فالزكاة حق لله في المال، وهي

(١) القرآن الكريم، سورة إبراهيم (٣٤).

(٢) القرآن الكريم، سورة التوبة (٣٤).

(٣) القرآن الكريم، سورة النحل (٧١).

(٤) القرآن الكريم، سورة التغابن (١٥).

(٥) القرآن الكريم، سورة البقرة (٤٣).

طهرة للمال، وبركة له، وشكر لله عليه. قال ﷺ: "مَا مِنْ صَاحِبٍ كَنْزٍ لَا يُؤَدِّي زَكَاتَهُ إِلَّا جُعِلَ صَفَائِحَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ" ^(١).

ثانياً: شكر المال بالصدقة والنفقة:

من أعظم صور شكر المال، أن ينفقه العبد في وجوه الخير، ويتصدق به على الفقراء والمساكين، وينفق على أهله وولده، ويذله في سبيل الله. قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ ^(٢). وكان السلف يبادرون إلى الإنفاق في وجوه الخير، ويشكرون الله على ما آتاهم، وكانوا لا ينتظرون حتى يأتيهم السائل، بل كانوا يبحثون عن المحتاجين، ويبدلون لهم المال سرّاً وعلانية.

ثالثاً: شكر المال باجتنب الإسراف:

من شكر المال، أن يقتصد في إنفاقه، ولا يسرف فيه، ولا يبذر. قال تعالى: ﴿وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ ^(٣). فالإسراف من كفران النعمة، لأنه استعمال لها في غير ما خلقت له، وإهدار لها، وتعدُّ لحدود الله.

رابعاً: شكر المال باجتنب المال الحرام:

من أعظم صور شكر المال، أن يجتنب العبد المال الحرام، ولا يأكله بالباطل، ولا يطلبه من حرام. قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمُ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ﴾ ^(٤). فالحرص على المال الحرام من أعظم كفران النعمة، لأنه استعمال للنعمة في معصية الله.

خامساً: شكر المال بالاعتراف بأنه من الله:

من شكر المال، أن يعترف العبد بأن المال من الله، وأنه لا يملكه بقوته وحده، بل هو عطاء من الله. قال تعالى: ﴿وَمَا بِكُمْ مِّنْ نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾ ^(٥). فمن نسب المال إلى نفسه، أو إلى كسبه، أو إلى حيلته، فقد كفر نعمة الله.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الزكاة، باب ما قيل في أداء الزكاة، برقم (٤٠٢)، ومسلم في صحيحه، كتاب الزكاة، باب إثمان مانعي الزكاة وعقوبتهم، برقم (٩٨٧)، عن أبي هريرة رضي الله عنه، واللفظ للبخاري.

(٢) القرآن الكريم، سورة البقرة (٢٦٢).

(٣) القرآن الكريم، سورة الأنعام (١٤١).

(٤) القرآن الكريم، سورة النساء (٢٩).

(٥) القرآن الكريم، سورة النحل (٥٣).

هدي السلف في شكر المال

كان السلف رضي الله عنهم أحرص الناس على شكر المال، وكانوا يبذلونه في وجوه الخير، ويخافون من أن يكون فتنة لهم، ويحرصون على إخراج حق الله منه.

أولاً: الصحابة والمال:

كان الصحابة رضي الله عنهم يبذلون أموالهم في سبيل الله، ولا يبخلون بها. فقد أنفق أبو بكر الصديق رضي الله عنه جميع ماله في سبيل الله، وقال له النبي ﷺ: "مَا نَفَعَنِي مَالٌ قَطُّ مَا نَفَعَنِي مَالُ أَبِي بَكْرٍ"^(١). وأنفق عثمان بن عفان رضي الله عنه في جيش العسرة بألف دينار، وجَهَّز الجيش بمائتي بعير بأقتابها وأحلاسها، ومائتي أوقية من الذهب^(٢). وأنفق عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه أموالاً كثيرة في سبيل الله، وتصدق بشطر ماله، ثم بأربعين ألف دينار، ثم حمل على خمسمائة فرس في سبيل الله وخمسمائة راحلة^(٣).

ثانياً: التابعون والمال:

كان التابعون رحمهم الله يقتدون بالصحابة في شكر المال، وكانوا يبذلونه في وجوه الخير، ويخافون من أن يكون فتنة لهم. فقد كان الحسن البصري رحمه الله يقول: "المال نعمة، فمن شكر الله عليه، زاده الله، ومن كفر، سلبه الله"^(٤). وكان سعيد بن جبير رحمه الله يقول: "من أسبغ الله عليه نعمه، فلا يحقرن شيئاً منها، فإنه لا يدري ما يرى الله منه"^(٥).

ثالثاً: الخوف من فتنة المال:

كان السلف يخافون من فتنة المال، وكانوا يدركون أن المال قد يكون سبباً في شقاء صاحبه، إذا لم يشكر الله عليه. قال أبو بكر الصديق رضي الله

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الصحابة، باب مناقب أبي بكر الصديق رضي الله عنه، برقم (٣٦٦٢)، ومسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل أبي بكر الصديق رضي الله عنه، برقم (٢٣٨٢)، عن أبي هريرة رضي الله عنه، واللفظ للبخاري.
(٢) روي عن عثمان بن عفان رضي الله عنه أنه جاء بألف دينار في جيش العسرة، فنثرها في حجر النبي ﷺ، فقال النبي ﷺ: "ما ضر ابن عفان ما عمل بعد اليوم". أخرجه الترمذي في سننه، كتاب المناقب، باب مناقب عثمان بن عفان، برقم (٣٧٠٠)، وقال: "حديث حسن صحيح غريب". وابن ماجه في سننه، كتاب الجهاد، باب فضل النفقة في سبيل الله، برقم (٢٧٨٢)، واللفظ له.
(٣) روي عن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه أنه تصدق بشطر ماله، ثم بأربعين ألف دينار، ثم حمل على خمسمائة فرس في سبيل الله وخمسمائة راحلة. ينظر: الطبقات الكبرى لابن سعد، ج ٣، ص ١٢٠، وسير أعلام النبلاء للذهبي، ج ١، ص ٨٥.
(٤) روي عن الحسن البصري رحمه الله أنه قال: "المال نعمة، فمن شكر الله عليه، زاده الله، ومن كفر، سلبه الله". ينظر: حلية الأولياء لأبي نعيم، ج ١، ص ١٢٥.
(٥) روي عن سعيد بن جبير رحمه الله أنه قال: "من أسبغ الله عليه نعمه، فلا يحقرن شيئاً منها، فإنه لا يدري ما يرى الله منه". ينظر: فصل الخطاب في الزهد والرقائق، ص ٢٨١.

عنه " :إِنَّمَا نَحْنُ فِي الدُّنْيَا مَارٌّ عَلَى طَرِيقٍ، وَالْمَالُ حِمْلٌ عَلَى الظَّهْرِ، فَإِنَّمَا يَنْبَغِي لِلرَّجُلِ أَنْ يَخْتَارَ مِنْهُ مَا يُبْلَغُهُ إِلَى آخِرَتِهِ " ^(١) . وكانوا يرون أن المال نعمة واختبار، وأنه لا ينبغي للعبد أن يغتر به، أو يطمئن إليه، بل يجعله وسيلة للتقرب إلى الله.

خطر كفران نعمة المال

كفران نعمة المال من أعظم الذنوب، وهو سبب في زوال النعمة، وحلول العقوبة. وقد حذر الله من كفران النعمة في آيات كثيرة، وضرب الأمثال للأمم التي كفرت نعم الله، فحل بها العذاب.

أولاً: صور كفران نعمة المال:

١. البخل والمنع: قال تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ آل عمران: ١٨٠ ^(٢).

٢. الإسراف والتبذير: قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ﴾ الإسراء: ٢٧ ^(٣).

٣. استعمال المال في المعصية: كإنفاقه في المحرمات، أو في دعم الباطل، أو في إيذاء الناس.

٤. نسبة المال إلى النفس: قال تعالى عن قارون: ﴿إِنَّمَا أُوتِيْتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي﴾ ^(٤)، فنسب النعمة إلى نفسه، فكانت عاقبته الخسف.

ثانياً: عاقبة كفران نعمة المال:

١. زوال النعمة: قال تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ ^(٥).

(١) روي عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه قال: "إِنَّمَا نَحْنُ فِي الدُّنْيَا مَارٌّ عَلَى طَرِيقٍ، وَالْمَالُ حِمْلٌ عَلَى الظَّهْرِ، فَإِنَّمَا يَنْبَغِي لِلرَّجُلِ أَنْ يَخْتَارَ مِنْهُ مَا يُبْلَغُهُ إِلَى آخِرَتِهِ". ينظر: نضرة النعيم، ج ٨، ص ٣١٣.

(٢) القرآن الكريم، سورة آل عمران (١٨٠).

(٣) سورة الإسراء (٢٧).

(٤) سورة القصص (٧٨).

(٥) سورة النحل (١١٢).

٢. العذاب في الآخرة : قال تعالى : ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ (١)
٣. الخسف والهلاك : كما حدث لقارون ، قال تعالى : ﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ﴾ (٢)

(١) سورة التوبة (٣٤).
(٢) سورة القصص (٨١).

شكر المال في واقع العصر

في عصرنا الحالي، نعيش في بحر من النعم المادية، ولكن الغفلة عن شكر المال هي السمة الغالبة. بل إن كثيرًا من الناس يستعملون المال في معصية الله، وينفقونه في المحرمات، ويخلون عن الإنفاق في وجوه الخير، ويغترون به، وينسبون الفضل لأنفسهم.

أولاً: مظاهر كفران نعمته المال في عصرنا:

١. ثقافة الاستهلاك: الإسراف في الشراء، والتبذير في المأكل والمشرب، والتنافس في مظاهر الرفاهية.

٢. الاستعراض والرياء: إظهار الغنى، والتباهي بالمال، والتفاخر بالمناصب والممتلكات.

٣. البخل عن الإنفاق في وجوه الخير: الإمساك عن الزكاة والصدقات، وعدم الاهتمام بالفقراء والمحتاجين.

٤. الانشغال بالمال عن الآخرة: صرف الوقت والجهد في جمع المال، والانشغال به عن ذكر الله، وعن العبادة، وعن الدعوة إلى الله.

٥. نسبة المال إلى النفس: الادعاء بأن المال من كسب الشخص، ونسيان فضل الله، ونسيان أن الرزق من عنده.

ثانياً: كيفية شكر المال في عصرنا:

١. إخراج الزكاة والصدقات: أن نحرص على إخراج زكاة أموالنا، وأن نتصدق على الفقراء والمحتاجين، وأن ننفق في وجوه الخير.

٢. الاعتدال في الإنفاق: فلا نسرف، ولا نبخل، بل وسطاً بين ذلك.

٣. اجتناب المال الحرام: أن نحرص على طلب الحلال، واجتناب الحرام، وألا نأكل أموال الناس بالباطل.

٤. التحدث بنعمة المال: أن نعترف بأن المال من الله، ونشكره عليه، ونذكر فضله علينا.

٥. الدعاء بالبركة: أن ندعو الله أن يبارك لنا في أموالنا، وأن يجعلها سبباً للخير، لا سبباً للشر.

نعمتة العلم والفهم

هي النعمة التي بها يُعرف الله، وتُقام الشرائع، وتُفهم الأحكام، وتُدرك الحقائق، وتُستنبط الحكم. وهي نعمة الأنبياء والمرسلين، وميراثهم في الأرض. قال رسول الله ﷺ: "إِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ، إِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا، إِنَّمَا وَرَّثُوا الْعِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحِطِّ وَافِرٍ" (١).

إن العلم ليس مجرد معلومات تُحفظ، أو معارف تُكتسب، بل هو نور يقذفه الله في قلب من يشاء من عباده، به يهتدي إلى الحق، ويميز بين الحلال والحرام، ويعرف طريق الجنة، ويتجنب طريق النار. وقد قال الله تعالى: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ (٢) وقال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ (٣).

وإن من أعظم ما يثلج الصدر، أن نتأمل كيف كان السلف يتعاملون مع هذه النعمة العظيمة، وكيف كانوا يشكرون الله عليها، وكيف كانوا يحرصون على طلبها، والعمل بها، وتعليمها للناس، وكيف كانوا يخافون من أن تكون فتنة لهم، أو أن يضيعوها بالرياء والكسل.

(١) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب العلم، باب في فضل العلم، برقم (٣٦٤١)، والترمذي في سننه، كتاب العلم، باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة، برقم (٢٦٨٢)، وقال: "حديث حسن صحيح"، وابن ماجه في سننه، كتاب السنة، باب فضل العلماء، برقم (٢٢٦)، عن أبي الدرداء رضي الله عنه، واللفظ لأبي داود.

(٢) سورة المجادلة (١١).

(٣) سورة الزمر (٩).

العلم نعمة ومسؤولية

العلم وإن كان نعمة عظيمة، فهو في الوقت نفسه مسؤولية عظيمة، يحاسب الله عليها العبد يوم القيامة. فمن أوتي علماً، سُئِلَ عنه: هل عمل به؟ هل علمه للناس؟ هل استعمله في طاعة الله؟ أم استعمله في معصيته؟ قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ (١)

أولاً: العلم نعمة من الله:

العلم من أعظم النعم التي أنعم الله بها على عباده، فهو سبب في معرفة الله، وفهم دينه، والتمييز بين الحق والباطل. قال تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ (٢) فهذا أول علم تعلمه الإنسان، وكان سبباً في تكريمه على الملائكة، ورفع درجته.

ثانياً: العلم مسؤولية عظيمة:

من أوتي علماً، فقد حمل أمانة عظيمة، ومسؤولية كبيرة. قال رسول الله ﷺ: "مَنْ سُئِلَ عَنْ عِلْمٍ فَكْتَمَهُ، أُلْجِمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ" (٣). وقال: "مَنْ تَعَلَّمَ عِلْماً مِمَّا يُبْتَغَى بِهِ وَجْهُ اللَّهِ، لَا يَتَعَلَّمُهُ إِلَّا لِيُصِيبَ بِهِ عَرَضًا مِنَ الدُّنْيَا، لَمْ يَجِدْ عَرْفَ الْجَنَّةِ" (٤). فهذا يبين أن العلم مسؤولية، وأن من تعلمه للدنيا، فقد خسر الآخرة.

(١) سورة الإسراء (٣٦).

(٢) سورة البقرة (٣١).

(٣) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب العلم، باب في كتمان العلم، برقم (٣٦٥٨)، والترمذي في سننه، كتاب العلم، باب ما جاء في كتمان العلم، برقم (٢٦٤٩)، وقال: "حديث حسن"، عن أبي هريرة رضي الله عنه، واللفظ لأبي داود.

(٤) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب العلم، باب في طلب العلم للدنيا، برقم (٣٦٦٤)، عن أبي هريرة رضي الله عنه، وحسنه الألباني في صحيح أبي داود.

كيف نشكر نعمة العلم؟

إذا كان العلم نعمة ومسؤولية، فإن شكره يكون بأمر متعددة، تجمع بين القلب واللسان والجوارح:

أولاً: العمل بالعلم:

هذا هو أعظم صور شكر نعمة العلم، أن يعمل العبد بما علم، ويطبق ما تعلمه في حياته العملية. قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ * كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾^(١). وكان السلف يخافون من أن يكون علمهم حجة عليهم، لا لهم، وكانوا ييكون إذا تذكروا هذه الآية. قال الحسن البصري رحمه الله: "كَانَ الرَّجُلُ يَطْلُبُ الْعِلْمَ، فَمَا يَزَالُ يَطْلُبُهُ حَتَّى يَرَى ذَلِكَ فِي عَمَلِهِ وَفِي لِسَانِهِ وَفِي هَدْيِهِ وَفِي سَمْتِهِ"^(٢).

ثانياً: تعليم العلم للآخرين:

من شكر نعمة العلم، أن يعلمه للناس، وينشره بينهم، ولا يكتنزه لنفسه. قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾^(٣). وقال رسول الله ﷺ: "بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً"^(٤). وكان السلف يحرصون على تعليم العلم، ونشره بين الناس، وكانوا يرون أن كتمانهم من أعظم الذنوب.

ثالثاً: التواضع وعدم الاغترار بالعلم:

من شكر العلم، أن يتواضع صاحبه، ولا يغتر به، ولا يرى نفسه فوق الآخرين. كان السلف إذا تعلموا العلم، ازدادوا تواضعاً، وخشوعاً، وخوفاً من الله. قال ابن مسعود رضي الله عنه: "إِنَّ مِمَّا يُورِثُ الْإِنْسَانَ الْكِبَرَ: أَنْ يَتَعَلَّمَ الْعِلْمَ، وَلَا يَعْمَلَ بِهِ"^(٥). وكانوا يقولون: "مَنْ طَلَبَ الْعِلْمَ لِيُبَاهِيَ بِهِ، فَلَا حَظَّ لَهُ فِي الْآخِرَةِ"^(٦).

(١) سورة الصف (٢-٣).

(٢) روي عن الحسن البصري رحمه الله أنه قال: "كَانَ الرَّجُلُ يَطْلُبُ الْعِلْمَ، فَمَا يَزَالُ يَطْلُبُهُ حَتَّى يَرَى ذَلِكَ فِي عَمَلِهِ وَفِي لِسَانِهِ وَفِي هَدْيِهِ وَفِي سَمْتِهِ". انظر جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر، ج ١، ص ١٢٥.

(٣) سورة آل عمران (١٨٧).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب أحاديث الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل، برقم (٣٤٦١)، عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، واللفظ له.

(٥) روي عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: "إِنَّ مِمَّا يُورِثُ الْإِنْسَانَ الْكِبَرَ: أَنْ يَتَعَلَّمَ الْعِلْمَ، وَلَا يَعْمَلَ بِهِ". انظر جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر، ج ١، ص ١٢٦.

(٦) روي عن بعض السلف أنهم قالوا: "مَنْ طَلَبَ الْعِلْمَ لِيُبَاهِيَ بِهِ، فَلَا حَظَّ لَهُ فِي الْآخِرَةِ". انظر جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر، ج ١، ص ١٢٧.

رابعاً: نسبت العلم إلى الله: من شكر العلم، أن يعترف العبد بأن العلم من الله، وأنه فضل منه، وليس من كسبه وحده. قال تعالى: ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾^(١).

خامساً: الدعاء بالزيادة في العلم: كان النبي ﷺ يكثر من الدعاء بالزيادة في العلم، كما في قوله: "اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ عِلْمًا نَافِعًا، وَرِزْقًا طَيِّبًا، وَعَمَلًا مُتَقَبَّلًا"^(٢) وقال تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾

(١) سورة الإسراء (٨٥).
(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، برقم (٢٧٢٢)، عن أم سلمة رضي الله عنها، واللفظ له.

خطر الرياء بالعلم

من أخطر ما يهدد نعمة العلم، هو الرياء، أي أن يتعلم العبد العلم ليُرى ويُسمع، وليس لوجه الله. وهذا من أعظم مفسدات الأعمال، وقد حذر منه النبي ﷺ، وبيّن أنه أول من تسعر بهم النار يوم القيامة.

أولاً: الرياء بالعلم يمحق بركته:

قال رسول الله ﷺ: "إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ الشَّرْكَ الْأَصْغَرُ". قالوا: وما الشرك الأصغر يا رسول الله؟ قال: "الرِّيَاءُ"^(١). وقال: "مَنْ تَعَلَّمَ عِلْمًا مِمَّا يُبْتَغَى بِهِ وَجْهُ اللَّهِ، لَا يَتَعَلَّمُهُ إِلَّا لِيُصِيبَ بِهِ عَرَضًا مِنَ الدُّنْيَا، لَمْ يَجِدْ عَرَفَ الْجَنَّةِ"^(٢) **ثانياً: علامات الرياء بالعلم:**

١. التفاخر بالعلم: أن يتباهى الإنسان بعلمه، ويذكر أنه عالم، وأن الناس بحاجة إليه.

٢. طلب المال والجاه بالعلم: أن يتعلم العلم ليحصل به منصباً أو مالاً أو شهرة.

٣. الغضب إذا لم يُعترف بعلمه: أن يغضب الإنسان إذا لم يُعترف بعلمه، أو إذا لم يُقدر قدره.

ثالثاً: علاج الرياء بالعلم:

١. إخلاص النية لله: أن يتعلم العبد العلم لوجه الله، لا لشيء آخر.
٢. كثرة الاستغفار: أن يستغفر الله من تقصيره، ويسأله أن يخلص نيته.
٣. تذكر عذاب النار: أن يتذكر أن الرياء من الذنوب التي تسعر بها النار.
٤. مخالفة النفس: أن يجبر نفسه على التواضع، وعدم إظهار العلم إلا لله.

(١) أخرجه أحمد في مسنده، برقم (٢٣١٥٣)، عن محمود بن لبيد رضي الله عنه، وصححه الألباني في صحيح الجامع، برقم (١١٣٢).
(٢) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب العلم، باب في طلب العلم للدنيا، برقم (٣٦٦٤)، عن أبي هريرة رضي الله عنه، وحسنه الألباني في صحيح أبي داود.

نعمة الفهم والحفظ

من أعظم النعم التي أنعم الله بها على عباده، نعمة الفهم والحفظ، فهي التي تمكن الإنسان من استيعاب العلم، والاحتفاظ به، واستخدامه في حياته. وقد كان السلف يحرصون على شكر هذه النعمة، ويخافون من زوالها.

أولاً: الحفظ نعمة عظيمة:

الحفظ من أعظم النعم، فهو الذي يمكن الإنسان من الاحتفاظ بالعلم، واستخدامه عند الحاجة. قال تعالى: ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾^(١). فقد جعل الله العلم في صدور العلماء، حفظاً لهم، ورفعاً لهم.

ثانياً: شكر نعمة الفهم:

من شكر نعمة الفهم، أن يستعمل العبد عقله في تدبر آيات الله، وفهم دينه، والتفكير في خلقه. قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾^(٢). وكان السلف يتدبرون القرآن، ويتفكرون في آيات الله، ويستنبطون منها الأحكام والحكم.

ثالثاً: شكر نعمة الحفظ:

من شكر نعمة الحفظ، أن يحافظ العبد على ما حفظه، ولا يضيّعه، وأن يستعمله في طاعة الله، ولا ينساه. وكان السلف يحرصون على حفظ القرآن والسنة، وكانوا يراجعون ما حفظوه، ويخشون أن ينسوه. قال رسول الله ﷺ: "تَعَاهَدُوا الْقُرْآنَ، فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، إِنَّهُ لَأَشَدُّ تَفَلُّتًا مِنَ الْإِبِلِ فِي عُقْلِهَا"^(٣).

(١) سورة العنكبوت (٤٩).

(٢) سورة الرعد (٣).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل القرآن، باب تعاهد القرآن، برقم (٥٠٣٣)، ومسلم في صحيحه، كتاب صلاة المسافرين، باب بيان أن حفظ القرآن ونسيانه، برقم (٧٩١)، عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، واللفظ للبخاري.

شكر نعمته العلم في عصر المعلومات

في عصرنا الحالي، نعيش في بحر زاخر من المعلومات، والمعارف، والعلوم. ولكن مع هذه الوفرة المعرفية، نجد أن الغفلة عن شكر العلم هي السمة الغالبة، بل إن كثيراً من الناس يستعملون العلم في معصية الله، أو يطلبونه لغير وجه الله، أو يكتنزونهم ولا ينفعون به الناس.

أولاً: مظاهر الغفلة عن شكر العلم في عصرنا:

١. طلب العلم للدنيا: تعلم العلوم من أجل الحصول على شهادات، أو مناصب، أو مال، وليس لوجه الله.
٢. الانشغال بالعلوم الدنيوية عن الشرعية: الانشغال بالطب، والهندسة، والتكنولوجيا، عن تعلم القرآن والسنة والفقه.
٣. استعمال العلم في المعصية: استخدام المعرفة في تطوير وسائل الإفساد، والأسلحة، والمحرمات.
٤. الرياء بالعلم: التفاخر بالشهادات، والتحدث بالعلم لإظهار الذات، وليس لنفع الناس.
٥. كتمان العلم: حبس العلم عن الناس، وعدم نشره، وعدم تعليم الجاهلين.

ثانياً: كيفية شكر العلم في عصرنا:

١. طلب العلم الشرعي: أن نحصر على تعلم القرآن والسنة والفقه، وأن نجعل العلم الشرعي هو الأساس الذي نبني عليه سائر العلوم.
٢. العمل بالعلم: أن نطبق ما نتعلمه، وألا يكون علمنا حجة علينا.
٣. نشر العلم: أن نعلم الناس ما نتعلمه، وننشره، وندعوهم إلى الخير.
٤. الإخلاص في طلب العلم: أن نتعلم العلم لوجه الله، لا للدنيا، وأن نحصر على إخلاص النية.
٥. التواضع: ألا نغتر، فوق الآخرين، بل نتواضع لله وللناس.
٦. الدعاء بالزيادة في العلم: أن نكثر من الدعاء بالزيادة في العلم النافع، والعمل الصالح.

نعمة الوقت والعمر

نعمة مغمور بها كثير من الناس وهي رأس مال الإنسان في هذه الدنيا، وهي التي إذا ضاعت، ضاع معها كل شيء، وإن استُغلت، كانت سببًا في كل خير: إنها نعمة الوقت والعمر .

فهي النعمة التي بها يُدرك الإنسان سائر النعم، وبها يعمل الصالحات، ويتقرب إلى الله، ويبلغ مراتب العلى في الدنيا والآخرة. وهي النعمة التي إذا انقضت، انقضى الأمل، وحُرم العبد من التوبة والعمل.

لقد أقسم الله بالعصر في سورة كاملة، فقال: ﴿وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالحَقِّ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ﴾ . فهذه السورة القصيرة العظيمة تبين أن الإنسان في خسارة، إلا إذا استغل عمره في الإيمان والعمل الصالح والتواصي بالحق والصبر. وقد قال الشافعي رحمه الله: "لو تدبّر الناس هذه السورة، لوسّعَتْهُمْ" فهي تشتمل على جماع الخير، وتحذير من الخسران.

وقال رسول الله ﷺ في الحديث الصحيح: "نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ: الصَّحَّةُ وَالْفَرَاغُ" فجعل الفراغ - وهو الوقت الذي لا شغل فيه - نعمة عظيمة، يغبن فيها كثير من الناس، أي يخسرونها ولا يقدّرون قيمتها. وقال ﷺ: "اغْتَنِمْ خَمْسًا قَبْلَ خَمْسٍ: شَبَابَكَ قَبْلَ هَرَمِكَ، وَصِحَّتَكَ قَبْلَ سَقَمِكَ، وَغِنَاكَ قَبْلَ فَقْرِكَ، وَفَرَاغَكَ قَبْلَ شُغْلِكَ، وَحَيَاتَكَ قَبْلَ مَوْتِكَ"

وإن من أعظم ما يثلج الصدر، أن نتأمل كيف كان السلف يتعاملون مع هذه النعمة العظيمة، وكيف كانوا يقدّرون قيمة الوقت، ويستغلون كل لحظة في طاعة الله، ويخافون من إضاعته، ويحاسبون أنفسهم على كل ساعة تمضي. كانوا يعلمون أن العمر هو رأس المال، وأن كل يوم يمضي، فإنه جزء من هذا العمر يذهب ولا يعود.

قيمة العمر - رأس مال الإنسان

العمر هو أغلى ما يملكه الإنسان، وهو رأس ماله في هذه الدنيا، به يعمل للآخرة، وبه يكتسب الحسنات، وبه يتقرب إلى الله. فإذا ضاع العمر، ضاع معه كل شيء، وإذا استُغل، كان سبباً في كل خير.

أولاً: العمر نعمة عظيمة:

العمر من أعظم النعم التي أنعم الله بها على عباده، فهو المدة التي يكتسب فيها الإنسان الحسنات، ويتوب من ذنوبه، ويتقرب إلى ربه. فالعمر هو فرصة للعمل للآخرة، وكل لحظة تمر هي فرصة للتوبة والعمل الصالح.

ثانياً: العمر مسؤولية عظيمة:

العمر وإن كان نعمة، فهو في الوقت نفسه مسؤولية عظيمة، يحاسب الله عليها العبد يوم القيامة. قال رسول الله ﷺ: "لَا تَزُولُ قَدَمَا ابْنِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ خَمْسٍ: عَنْ عُمْرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ، وَعَنْ شَبَابِهِ فِيمَا أَبْلَاهُ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَا أَنْفَقَهُ، وَعَنْ عِلْمِهِ مَاذَا عَمِلَ بِهِ". فالسؤال عن العمر من أول ما يسأل عنه العبد يوم القيامة، وهذا يدل على عظم هذه النعمة، ووجوب شكرها.

كيف نشكر نعمة الوقت؟

إذا كان الوقت والعمر من أعظم النعم، فإن شكرهما يكون بأمر متعددة، تجمع بين القلب واللسان والجوارح:

أولاً: اغتنام الوقت في طاعة الله:

هذا هو أعظم صور شكر نعمة الوقت، أن يستغله العبد في طاعة الله، ويصرفه في ما ينفعه في دينه ودنياه. قال تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾ ^(١) وقال: ﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾ ^(٢) فالمسابقة إلى الخير، والتنافس في الطاعات، من أعظم صور شكر الوقت.

وكان السلف يغتنمون أوقاتهم في طاعة الله، ولا يضيعون منها لحظة. كانوا يقومون الليل، ويصومون النهار، ويذكرون الله في كل وقت، ويتعلمون العلم

(١) سورة آل عمران (٣: ١٣٣).

(٢) سورة المطففين (٨٣: ٢٦).

ويعلمونه، ويدعون إلى الله. قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "حَاسِبُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُحَاسَبُوا، وَزِنُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُوزَنُوا" ^(١)

ثانياً: اغتنام الفراغ قبل الشغل:

من شكر نعمة الوقت، أن يغتنم العبد أوقات فراغه في طاعة الله، قبل أن يشغله عنها شاغل. قال رسول الله ﷺ: "اغْتَنِمْ خَمْسًا قَبْلَ خَمْسٍ: فَرَاغَكَ قَبْلَ شُغْلِكَ" ^(٢). فالفراغ نعمة عظيمة، يغفل عنها كثير من الناس، فيضيعونها في اللهو والترفيه، ولا يستغلونها في العمل للآخرة.

ثالثاً: المحاسبة اليومية:

من شكر الوقت، أن يحاسب العبد نفسه على كل يوم يمضي، ويراجع ما فعله في هذا اليوم من خير وشر. قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "حَاسِبُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُحَاسَبُوا" ^(٣). وكان السلف يحاسبون أنفسهم في كل يوم، فيسألون أنفسهم: ماذا عملنا اليوم؟ هل تقربنا إلى الله؟ هل ازددنا إيماناً؟ هل عملنا صالحاً؟ هل دعونا إلى الخير؟

رابعاً: تنظيم الوقت:

من شكر الوقت، أن ينظم العبد وقته، ويقسمه بين العبادة والعمل والراحة، ولا يتركه يضيع هدرًا. كان السلف يحرصون على تنظيم أوقاتهم، ويجعلون لكل وقت عمله \ لأنه يضمن استغلال كل لحظة فيما ينفع.

خامساً: الحذر من إضاعة الوقت:

من شكر الوقت، أن يحذر العبد من إضاعته، ويعلم أن كل لحظة تضيع، فإنها خسارة لا تعوض. قال ابن مسعود رضي الله عنه: "مَا نَدِمْتُ عَلَى شَيْءٍ نَدَامَتِي عَلَى يَوْمٍ غَرَبَتْ شَمْسُهُ، نَقَصَ فِيهِ أَجَلِي، وَلَمْ يَزِدْ فِيهِ عَمَلِي" ^(٤) وكان بعض السلف إذا رأى رجلاً يضيع وقته، قال له: "إِنَّ هَذَا الْوَقْتَ لَا يَعُودُ، فَاعْتَنِمَهُ قَبْلَ أَنْ تَنْدَمَ" ^(٥).

(١) روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: "حَاسِبُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُحَاسَبُوا، وَزِنُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُوزَنُوا". أخرجه الترمذي في سننه، كتاب صفة القيامة، باب في الحساب، برقم (٢٤٤٩)، وقال: "حديث حسن"، وابن أبي الدنيا في كتاب المحاسبة.
(٢) أخرجه الحاكم في المستدرک، برقم (٧٨٤٠)، عن ابن عباس رضي الله عنهما، وحسنه الألباني في صحيح الجامع، برقم (١٠٧٧).
(٣) روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: "حَاسِبُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُحَاسَبُوا". أخرجه الترمذي في سننه، كتاب صفة القيامة، باب في الحساب، برقم (٢٤٤٩).
(٤) روي عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: "مَا نَدِمْتُ عَلَى شَيْءٍ نَدَامَتِي عَلَى يَوْمٍ غَرَبَتْ شَمْسُهُ، نَقَصَ فِيهِ أَجَلِي، وَلَمْ يَزِدْ فِيهِ عَمَلِي". انظر نضرة النعيم، ج ٨، ص ٣١٣٢.
(٥) انظر حياة السلف بين القول والعمل للطيار، ص ٢٨٤.

هدي السلف في استغلال الوقت

كان السلف رضي الله عنهم أحرص الناس على استغلال الوقت، وكانوا يدركون أن العمر قصير، وأن كل لحظة تمر هي فرصة للعمل للآخرة. وكانوا يضربون أروع الأمثلة في استغلال الوقت.

أولاً: الصحابة والوقت:

كان الصحابة رضي الله عنهم يغتنمون أوقاتهم في طاعة الله، ولا يضيعون منها لحظة. كانوا يصلون، ويصومون، ويقرؤون القرآن، ويتعلمون العلم ويعلمونه، ويجاهدون في سبيل الله، ويدعون إلى الله. فهذا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: كان شديد الحسرة على فوات الوقت، وقال: ما ندمت على شيء ندمي على يوم غربت شمس، نقص فيه أجلي ولم يزد فيه عملي^(١).

- عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: عُرف عنه شدة حرصه على طلب العلم؛ فكان يذهب إلى بيوت الصحابة ليسألهم عن حديث رسول الله ﷺ، وينتظر عند باب أحدهم حتى يخرج، ولو كان نائماً^(٢).
- أبو هريرة رضي الله عنه كان من أكثر الصحابة رواية للحديث، وكان ملازماً للنبي ﷺ، وقد صرح بأنه كان يحفظ ما لا يحفظه غيره بسبب ملازمته للنبي ﷺ وحرصه على العلم^(٣).
- معاذ بن جبل رضي الله عنه: كان حريصاً على العلم والعمل، ومن أقواله: اجلس بنا نؤمن ساعة. أي نتذاكر ونتعاهد بالإيمان^(٤).

ثانياً: التابعون والوقت:

كان التابعون رحمهم الله يقتدون بالصحابة في استغلال الوقت، وكانوا يحرصون على ملء أوقاتهم بالطاعات. قال الحسن البصري رحمه الله: "أَدْرَكْتُ أَقْوَامًا، كَانَ أَحَدُهُمْ أَشَحَّ عَلَى عُمْرِهِ مِنْكُمْ عَلَى دَرَاهِمِكُمْ

(١) رواه ابن المبارك في الزهد، وذكره أبو نعيم في حلية الأولياء

(٢) ابن عباس نفسه يروي قصة طلبه للعلم، وقد أوردها البخاري في الأدب المفرد، والذهبي في سير أعلام النبلاء

(٣) صحيح البخاري، حديث أبي هريرة في فضل ملازمته للنبي ﷺ.

(٤) رواه البخاري في الأدب المفرد، وذكره أهل العلم في باب المذاكرة.

وَدَنَائِرِكُمْ" ^(١). وكانوا ينهون عن إضاعة الوقت، ويوصون باستغلاله. قال سعيد بن جبير رحمه الله: "اغْتَنِمُوا اللَّيَالِي وَالنَّهَارَ، فَإِنَّهَا تَذْهَبُ الْأَعْمَارَ، وَتُقَرِّبُ الْأَجَالَ" ^(٢).

(١) روي عن الحسن البصري رحمه الله أنه قال: "أَنْزَلْتُ أَقْوَامًا، كَانَ أَحَدُهُمْ أَشَحَّ عَلَى عُمْرِهِ مِنْكُمْ عَلَى دَرَاهِمِكُمْ وَدَنَائِرِكُمْ". انظر مختصر منهاج القاصدين، ص ١٨٦.

(٢) روي عن سعيد بن جبير رحمه الله أنه قال: "اغْتَنِمُوا اللَّيَالِي وَالنَّهَارَ، فَإِنَّهَا تَذْهَبُ الْأَعْمَارَ، وَتُقَرِّبُ الْأَجَالَ". انظر نضرة النعيم، ج ٨، ص ٣١٣٣.

خطر إضاعة الوقت

إضاعة الوقت من أعظم الذنوب، وهي سبب في الخسارة في الدنيا والآخرة. وقد حذر الله من إضاعة الوقت، وأمر باستغلاله في الطاعات.

أولاً: صور إضاعة الوقت:

١. الانشغال باللهو والترفيه: قضاء الوقت في اللعب واللهو، والألعاب الإلكترونية، ومشاهدة المحرمات.

٢. النوم الكثير: الإفراط في النوم، وتضييع أوقات النهار في النوم.

٣. الجلوس في المجالس الفارغة: الجلوس في المجالس التي لا فائدة فيها، ولا ذكر لله فيها.

٤. الكلام الكثير: الإكثار من الكلام فيما لا ينفع، كالغيبة والنميمة والكلام الفارغ.

٥. الانشغال بالدنيا عن الآخرة: صرف الوقت في جمع المال، والتجارة، والانشغال بالدنيا، ونسيان الآخرة.

ثانياً: عاقبة إضاعة الوقت:

١. الحسرة والندم يوم القيامة: قال تعالى: ﴿يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ﴾^(١). وقال: ﴿رَبِّ ارْجِعُونِ * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ﴾^(٢) ولكن حينها لا ينفع الندم.

٢. ضياع العمر: العمر يمضي ولا يعود، وكل لحظة تضيع، فهي خسارة لا تعوض.

٣. الخسران في الآخرة: من ضاع عمره في غير طاعة الله، خسر الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾^(٣)

(١) سورة يس (٣٦ : ٣٠).

(٢) سورة المؤمنون (٢٣ : ٩٩-١٠٠).

(٣) سورة العصر (١٠٣ : ١-٢).

شكر الوقت في واقع العصر

في عصرنا الحالي، نعيش في بحر من وسائل الترفيه واللهو، التي تستهلك أوقاتنا، وتضيع أعمارنا. فوسائل التواصل الاجتماعي، والألعاب الإلكترونية، والمسلسلات، والأفلام، كلها تصرفنا عن ذكر الله، وتضيع أوقاتنا، وتجعلنا نندم يوم القيامة.

أولاً: مظاهر إضاعة الوقت في عصرنا:

١. وسائل التواصل الاجتماعي: قضاء ساعات طويلة في تصفح وسائل التواصل، ومشاهدة المحتوى التافه، والمقارنات البصرية.
٢. الألعاب الإلكترونية: الانشغال بالألعاب الإلكترونية، وإضاعة الساعات الطوال فيها.
٣. المسلسلات والأفلام: مشاهدة المسلسلات والأفلام، التي تملأ الأوقات، وتشغل عن ذكر الله.
٤. النوم الكثير: الإفراط في النوم، خاصة في أوقات النهار، التي هي أوقات العبادة والعمل.
٥. الانشغال بالدنيا: الانشغال بجمع المال، والتجارة، والانشغال بالدنيا، ونسيان الآخرة.

ثانياً: كيفية شكر الوقت في عصرنا:

١. تحديد الأولويات: أن نحدد أولوياتنا في الحياة، ونجعل طاعة الله هي الأولوية القصوى.
٢. تنظيم الوقت: أن ننظم أوقاتنا، ونقسمها بين العبادة والعمل والراحة، ولا نتركها تضيع هدرًا.
٣. الابتعاد عن وسائل الإضاعة: أن نبتعد عن وسائل التواصل الاجتماعي التي تضيع الوقت، ونحدد وقتًا محددًا لاستخدامها.
٤. اغتنام أوقات الفراغ: أن نغتنم أوقات الفراغ في طاعة الله، في قراءة القرآن، والذكر، والدعاء، وحلقات العلم.

نعمة الأسرة - الزوج والأولاد

نعمة الأسرة - الزوج والأولاد. هي النعمة التي بها يستقر القلب، وتطمئن النفس، وتتحقق السكنى والمودة والرحمة. وهي النعمة التي جعلها الله آية من آياته الكبرى، ودليلاً على قدرته وعظمته، فقال سبحانه: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ﴾^(١). فهذه الآية تذكرنا بأن الزوج والأولاد والحفدة من نعم الله العظيمة، وأن كفران هذه النعمة من أعظم الذنوب.

وإن من أعظم ما يثلج الصدر، أن نتأمل كيف كان النبي ﷺ يتعامل مع أهله، وكيف كان يوصي بهم، وكيف كان يعاملهم بالرفق والرحمة، وكيف كان يرى فيهم نعمة يجب شكرها. فقد قال ﷺ: "خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ، وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي"^(٢) وكان يقول: "كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فَالْإِمَامُ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ عَلَى بَيْتِ زَوْجِهَا وَهِيَ مَسْئُولَةٌ عَنْهُ"^(٣)

(١) سورة النحل (٧٢).

(٢) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب المناقب، باب مناقب النبي ﷺ، برقم (٣٨٩٥)، وابن ماجه في سننه، كتاب النكاح، باب حسن العشرة، برقم (١٩٧٧)، عن عائشة رضي الله عنها، واللفظ للترمذي، وقال: "حديث حسن صحيح".

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجمعة، باب الجمعة في القرى والمدن، برقم (٨٩٣)، ومسلم في صحيحه، كتاب الإمامة، باب فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر، برقم (١٨٢٩)، عن ابن عمر رضي الله عنهما، واللفظ للبخاري.

الأسرة - نعمة وسكينة

الأسرة هي اللبنة الأولى في بناء المجتمع، وهي النعمة التي بها يستقر الإنسان، وتطمئن نفسه، وتحقق السعادة في الدنيا. وقد جعل الله الزوج والأولاد سبباً للسكينة والمودة والرحمة، فقال: ﴿لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾

أولاً: نعمة الزواج:

الزواج من أعظم النعم التي أنعم الله بها على عباده، فهو سبب في العفة، والاستقرار، والسكينة، وإنجاب الذرية الصالحة. وقال رسول الله ﷺ: "يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ، مَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ، فَإِنَّهُ أَغْضُ لِلْبَصَرِ، وَأَخْصَنُ لِلْفَرْجِ" (١)

ثانياً: نعمة الأولاد:

الأولاد هم زينة الحياة الدنيا، وهم قرة العين، وبهجة القلب، وسبب في استمرار الذرية، ودعاء الوالدين بعد الممات. قال تعالى: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ (٢). وقال: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ (٣). وقال رسول الله ﷺ: "مَنْ رَزَقَهُ اللَّهُ ابْنَةً فَلَمْ يُؤْتِذْهَا وَلَمْ يُهِنْهَا وَلَمْ يُؤْثِرْ وَلَدَهُ عَلَيْهَا، أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ" (٤)

كيف نشكر نعمة الأسرة؟

إذا كانت الأسرة من أعظم النعم، فإن شكرها يكون بأمور متعددة، تجمع بين القلب واللسان والجوارح:

أولاً: شكر نعمة الأسرة بحسن المعاشرة:

من شكر نعمة الأسرة، أن يحسن العبد معاشرة أهله، ويعاملهم بالرفق واللين، ويصبر على أذاهم، ويقضي حوائجهم، ويؤدي حقوقهم. قال رسول الله ﷺ: "خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ، وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي". "وكان من هديه ﷺ أنه

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجمعة، باب الجمعة في القرى والمدن، برقم (٨٩٣)، ومسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر، برقم (١٨٢٩)، عن ابن عمر رضي الله عنهما، واللفظ للبخاري.

(٢) سورة الكهف (٤٦).

(٣) سورة الفرقان (٧٤).

(٤) أخرجه ابن حبان في صحيحه، برقم (٤٠٤٥)، عن أنس بن مالك رضي الله عنه، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب، برقم (١٩٨٩).

كان يخدم أهله، ويعينهم في أعمال المنزل، ويلطفهم، ويداعبهم، ويقضي معهم أوقاتاً طيبة.

ثانياً: شكر نعمة الأسرة بالإنفاق عليهم:

من شكر نعمة الأسرة، أن ينفق العبد على أهله، ويكفيهم مؤنة العيش، ويطعمهم ويكسوهم، ويؤدي حقوقهم المادية. قال تعالى: ﴿وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾^(١). وقال رسول الله ﷺ: "إِنَّ لَكَ عَلَى نَفْسِكَ حَقًّا، وَلِأَهْلِكَ عَلَيْكَ حَقًّا"^(٢) وقال: "مَا مِنْ دِينَارٍ تُنْفِقُهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ إِلَّا يُضَاعَفُ، وَلَا دِينَارٍ تُنْفِقُهُ عَلَى عِيَالِكَ إِلَّا يُضَاعَفُ"^(٣)

ثالثاً: شكر نعمة الأسرة بتربية الأولاد على الدين:

من شكر نعمة الأسرة، أن يربي العبد أولاده على الدين، ويعلمهم كتاب الله وسنة نبيه، ويأمرهم بالمعروف، وينهاهم عن المنكر، ويغرس في قلوبهم حب الله ورسوله. قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾^(٤). وقال رسول الله ﷺ: "مُرُوا أَوْلَادَكُمْ بِالصَّلَاةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ، وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرِ"^(٥)

رابعاً: شكر نعمة الأسرة بالدعاء لهم:

من شكر نعمة الأسرة، أن يدعو العبد لأهله بالخير، ويطلب لهم من الله الهداية والصلاح والعافية. قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾ الفرقان: ٧٤. وكان النبي ﷺ يدعو لأهله، ويعلمهم الدعاء، ويوصيهم بالتقوى.

خامساً: شكر نعمة الأسرة بالصبر على أذاهم:

من شكر نعمة الأسرة، أن يصبر العبد على ما قد يصدر من أهله من أذى، أو تقصير، أو سوء خلق، وأن يعاملهم بالإحسان، ويحلم على جهلهم. قال تعالى: ﴿وَإِنْ تَصَبَّرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾^(٦)

(١) سورة البقرة (٢٣٣).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الصوم، باب من دعي إلى طعام وهو صائم، برقم (١٩٧٣)، ومسلم في صحيحه، كتاب الصيام، باب بيان تحريم صوم يومين، برقم (١١٥٩)، عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، واللفظ للبخاري.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الزكاة، باب فضل النفقة والصدقة، برقم (٩٩٥)، عن أبي هريرة رضي الله عنه، واللفظ له.

(٤) سورة التحريم (٦).

(٥) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الصلاة، باب متى يؤمر الغلام بالصلاة، برقم (٤٩٥)، وأحمد في مسنده، برقم (٦٦٨٩)، عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، وحسنه الألباني في صحيح أبي داود.

(٦) سورة آل عمران (١٨٦).

التربية باعتبارها شكراً

إن تربية الأولاد على الدين والأخلاق هي من أعظم صور شكر نعمة الأسرة، لأنها تعني أن العبد لا يكتفي بالتمتع بالأولاد، بل يسعى في صلاحهم، ويجعلهم نافعين لأنفسهم وللمجتمع، وسبباً في دخوله الجنة. أولاً: تربية الأولاد على التوحيد:

من شكر نعمة الأولاد، أن يربي العبد أولاده على التوحيد، والاسلام، ويغرس في قلوبهم حب الله، وخشيته، ورجاء رحمته. قال لقمان مريياً لابنه: ﴿يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾^(١)

ثانياً: تربية الأولاد على الأخلاق الحسنة:

من شكر نعمة الأولاد، أن يربيهم على الأخلاق الحسنة، كالصدق، والأمانة، والبر، وحسن الجوار، والعفة، والكرم، والتواضع. قال رسول الله ﷺ: "إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ"^(٢)

ثالثاً: تعليم الأولاد العلم النافع:

من شكر نعمة الأولاد، أن يعلمهم العبد ما ينفعهم في دينهم ودنياهم، وأن يحثهم على طلب العلم، والقراءة، والتفقه في الدين. قال رسول الله ﷺ: "مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا، سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ"^(٣)

رابعاً: العدل بين الأولاد:

من شكر نعمة الأولاد، أن يعدل العبد بينهم في العطية والمعاملة، ولا يفضل واحداً على آخر، ولا يظلم أحداً منهم. قال رسول الله ﷺ: "اتَّقُوا اللَّهَ وَاعْدِلُوا بَيْنَ أَوْلَادِكُمْ"^(٤)

(١) سورة لقمان (١٣).

(٢) أخرجه أحمد في مسنده، برقم (٨٩٥٢)، والبخاري في الأدب المفرد، برقم (٢٧٣)، عن أبي هريرة رضي الله عنه، وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن والذكر، برقم (٢٦٩٩)، عن أبي هريرة رضي الله عنه، واللفظ له.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب ما يكره من تفضيل بعض الأولاد، برقم (٢٥٨٧)، ومسلم في صحيحه، كتاب الهبات، باب كراهة تفضيل بعض الأولاد، برقم (١٦٢٣)، عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما، واللفظ للبخاري.

خطورة تحويل النعمة إلى فتنة

الأسرة نعمة عظيمة، ولكنها في الوقت نفسه اختبار وفتنة، فقد تكون سبباً في شقاء العبد، إذا لم يشكر الله عليها، أو إذا استعملها في معصيته، أو إذا انشغل بها عن طاعته. قال تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾^(١)

أولاً: صور تحويل الأسرة إلى فتنة:

١. الانشغال بالأهل عن ذكر الله: أن يلهي الإنسان زوجته وأولاده عن طاعة الله، أو ينشغل بهم عن العبادة والدعوة إلى الله.
٢. الظلم والتعدي على الأسرة: أن يظلم الرجل زوجته، أو يضرب أولاده بغير حق، أو يمنعهم حقوقهم.
٣. الإسراف في النفقة على الأسرة: أن ينفق العبد على أهله إسرافاً، أو يخل عليهم، أو ينفق في المحرمات.
٤. التفاخر بالأولاد: أن يتباهى الإنسان بأولاده، ويغتر بهم، وينسب فضلهم إلى نفسه، وينسى أنهم هبة من الله.

ثانياً: عاقبة تحويل الأسرة إلى فتنة:

١. الشقاء في الدنيا: كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً﴾^(٢)
٢. الحسرة يوم القيامة: كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ * وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ * وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ * لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾^(٣)
٣. عذاب الآخرة: إذا كان سبباً في ضلالهم، أو في إضاعتهم، أو في حرمانهم من حقوقهم.

(١) سورة التغابن (١٥).

(٢) سورة طه (١٢٤).

(٣) سورة عبس (٣٤-٣٧).

شكر الأسرة في واقع العصر

في عصرنا الحالي، تواجه الأسرة تحديات كبيرة، تهدد استقرارها، وتضعف تماسكها، وتجعلها عرضة للتفكك والضياع. ومن أعظم هذه التحديات :وسائل التواصل الاجتماعي، التي تشغل الأفراد عن بعضهم البعض، وتضعف التواصل الأسري، وتثير المشاكل والخلافات.

أولاً: مظاهر التحديات المعاصرة للأسرة:

١. ضعف التواصل الأسري :انشغال كل فرد بهاتفه، وعدم الجلوس مع الأسرة، وعدم الحوار والمناقشة.
٢. تأثير وسائل التواصل :المقارنات غير الواقعية، والغيرة، والشكوك، والمشاكل الزوجية التي تسببها مواقع التواصل.
٣. ضعف التربية الدينية :الانشغال بالدنيا عن تعليم الأولاد الدين، وتركهم يتعلمون من وسائل التواصل ما قد يضرهم.
٤. الانشغال بالعمل عن الأسرة :الإفراط في العمل، وقلة الوقت المخصص للأسرة، مما يؤدي إلى ضعف العلاقات.
٥. الطلاق وانتشار المشاكل الأسرية :بسبب ضعف الصبر، وسوء المعاشرة، وعدم تحمل المسؤولية.

ثانياً: كيفية شكر الأسرة في عصرنا:

١. تخصيص وقت للأسرة :أن يخصص العبد وقتاً يومياً للجلوس مع أهله، والحوار معهم، والاستماع إليهم، وقضاء حوائجهم.
٢. تعليم الأولاد الدين :أن يحرص العبد على تعليم أولاده القرآن والسنة، وإرسالهم إلى حلقات التحفيظ، وتعليمهم أحكام الدين.
٣. حماية الأسرة من وسائل التواصل :أن يحدد العبد استخدام وسائل التواصل، ويحمي أهله من آثارها السلبية، ويوجههم إلى ما ينفع.
٤. الدعاء للأسرة :أن يكثر العبد من الدعاء لأهله بالصلاح والعافية والهداية.

٥. الصبر وحسن المعاشرة : أن يصبر العبد على أذى أهله، ويعاملهم بالإحسان، ويحلم على جهلهم، ويتجاوز عن زلاتهم.

نعمة الأمن والاستقرار

نعمة هي أساس كل نعمة في الدنيا، وهي التي إذا فقدت، فقد الإنسان كل شيء، وإذا وجدت، وجد كل شيء: إنها نعمة الأمن والاستقرار. فهي النعمة التي بها يستقر الإنسان في وطنه، ويأمن على نفسه وماله وأهله، ويتمكن من العبادة والعمل والسعي في الأرض. وهي النعمة التي جعلها الله من أعظم النعم، وجعل شكرها من أعظم الواجبات.

لقد جاءت نصوص الوحيين لتؤكد على عظم نعمة الأمن، قال تعالى: ﴿الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾^(١). فجعل الأمن مقروناً بالإطعام، وهما أعظم ما يحتاجه الإنسان في حياته. وقال تعالى في دعاء إبراهيم عليه السلام: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾^(٢). فجعل الأمن من أعظم ما يسأله الأنبياء لبلادهم.

وقال رسول الله ﷺ في الحديث الصحيح: "مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمِنًا فِي سِرْبِهِ، مُعَافًى فِي جَسَدِهِ، عِنْدَهُ قُوَّةٌ يَوْمِهِ، فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا"^(٣) فجعل الأمن من أعظم ثلاث نعم، إذا اجتمعت للإنسان، فكأنما ملك الدنيا بحذافيرها. وقال ﷺ في حديث آخر: "مَنْ سَأَلَ اللَّهَ الْعَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، فَقَدْ سَأَلَ اللَّهَ الْعَافِيَةَ"^(٤).

الأمن - أعظم نعم الدنيا

إن نعمة الأمن هي أساس كل نعمة، فهي التي تتيح للإنسان أن يعيش في سلام، وأن يمارس حياته الطبيعية، وأن يعبد ربه، ويكسب رزقه، ويؤدي حقوقه. فما قيمة المال مع الخوف؟ وما قيمة الصحة مع القلق؟ وما قيمة الأسرة مع التهديد؟ إن الأمن هو الذي يمنح الإنسان الاستقرار النفسي، والطمأنينة القلبية، والقدرة على العيش بكرامة.

(١) سورة قريش (٤).

(٢) سورة إبراهيم (٣٥).

(٣) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب الزهد، باب ما جاء في القناعة، برقم (٢٣٤٦)، وقال: "حديث حسن صحيح"، وابن ماجه في سننه، كتاب الزهد، برقم (٤١٤١)، عن عبيد الله بن محصن، واللفظ لابن ماجه، وصححه الألباني في صحيح الجامع، برقم (٥٩٦٤).

(٤) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب الدعوات، باب في دعاء النبي ﷺ، برقم (٣٥١٠)، عن أنس بن مالك رضي الله عنه، وقال: "حديث حسن غريب". وصححه الألباني في صحيح الجامع، برقم (٤٠٠٣).

أولاً: الأمن نعمة عظيمة:

الأمن من أعظم النعم التي أنعم الله بها على عباده، وهو سبب في استقرار المجتمعات، وازدهار الحضارات، وانتشار الخير. قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ * وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنْزِلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾^(١). وقال تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾^(٢). فهذه الآية تبين أن الأمن نعمة عظيمة، وأن كفرها سبب في زوالها، وحلول الجوع والخوف مكانها.

ثانياً: الأمن نعمة نادرة ما يشعر بها الناس:

كثير من الناس يغفلون عن نعمة الأمن، ولا يشعرون بقيمتها إلا عندما يفقدونها. فالإنسان الذي يعيش في بلد آمن، لا يشعر بقيمة الأمن، حتى يسمع أخبار البلدان التي تعاني من الحروب والاضطرابات. وقد قال بعض السلف: "الأمن نعمة لا يشعر بها إلا من فقدها"^(٣)

كيف نشكر نعمة الأمن؟

إذا كان الأمن من أعظم النعم، فإن شكره يكون بأمر متعددة، تجمع بين القلب واللسان والجوارح:

أولاً: شكر الأمن بطاعة الله والابتعاد عن المعاصي:

من شكر نعمة الأمن، أن يطيع العبد الله، ويجتنب معاصيه، فإن المعاصي هي سبب زوال الأمن، والطاعات هي سبب بقاءه. قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾^(٤) وقال: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾^(٥)

ثانياً: شكر الأمن بالدعاء للولادة والقادة:

من شكر نعمة الأمن، أن يدعو العبد للولادة والقادة الذين يحفظ الله بهم الأمن، ويسوسون الأمور بالعدل، ويحمون البلاد والعباد. قال رسول الله ﷺ: "الدين النصيحة"، قالوا: لمن؟ قال: "لله، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة

(١) سورة الحجر (٢٠-٢١).

(٢) سورة النحل (١١٢).

(٣) روي عن بعض السلف أنهم قالوا: "الأمن نعمة لا يشعر بها إلا من فقدها". انظر نضرة النعيم، ج ٨، ص ٣١٣.

(٤) سورة الأعراف (٩٦).

(٥) سورة الأنفال (٥٣).

الْمُسْلِمِينَ، وَعَامَّتِهِمْ" (١) وكان النبي ﷺ يدعو للولاء، ويوصي بطاعتهم، ويحث على الدعاء لهم بالصلاح.

ثالثاً: شكر الأمن بحفظ الجماعة واجتناب التفرق:

من شكر نعمة الأمن، أن يحافظ العبد على جماعة المسلمين، ويجتنب التفرق والاختلاف، ويوحد كلمته، ويجتمع على الحق. قال تعالى: ﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا﴾ (٢). وقال رسول الله ﷺ: "عَلَيْكُمْ بِالْجَمَاعَةِ، وَإِيَّاكُمْ وَالْفُرْقَةَ" (٣)

رابعاً: شكر الأمن بإصلاح ذات البين:

من شكر نعمة الأمن، أن يسعى العبد في إصلاح ذات البين، وإطفاء الفتن، ونشر المحبة والألفة بين الناس. قال تعالى: ﴿وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾ (٤). وقال رسول الله ﷺ: "أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَفْضَلِ مِنْ دَرَجَةِ الصَّيَامِ وَالصَّلَاةِ وَالصَّدَقَةِ؟" قالوا: بلى، قال: "إِصْلَاحُ ذَاتِ الْبَيْنِ، فَإِنَّ فَسَادَ ذَاتِ الْبَيْنِ هِيَ الْحَالِقَةُ" (٥)

خامساً: شكر الأمن بالاعتزاز بالوطن والانتماء إليه:

من شكر نعمة الأمن، أن يعتز العبد بوطنه، وينتمي إليه، ويحافظ على مكتسباته، ويساهم في بنائه وتطويره، ويدود عنه ضد أعدائه. قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ﴾ (٦)

سادساً: شكر الأمن بالحفاظ على الأمن الفكري والأخلاقي:

من شكر نعمة الأمن، أن يحافظ العبد على الأمن الفكري والأخلاقي في المجتمع، ويجتنب نشر الشبهات، والإشاعات، والأفكار الهدامة، والأخلاق السيئة. قال تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ﴾ (٧)

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب بيان أن الدين النصيحة، برقم (٥٥)، عن تميم الداري رضي الله عنه، واللفظ له.

(٢) سورة آل عمران (١٠٣).

(٣) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب الفتن، باب ما جاء في لزوم الجماعة، برقم (٢١٦٥)، وأحمد في مسنده، برقم (١٨٩٦٨)، عن ابن عباس رضي الله عنهما، واللفظ للترمذي، وقال: "حديث حسن صحيح".

(٤) سورة الأنفال (١).

(٥) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في إصلاح ذات البين، برقم (٢٥٠٩)، وأبو داود في سننه، كتاب الأدب،

باب في الإصلاح بين الناس، برقم (٤٩١٩)، عن أبي الدرداء رضي الله عنه، واللفظ للترمذي، وقال: "حديث حسن صحيح".

(٦) سورة الحشر (٩).

(٧) سورة النساء (٨٣).

هدي السلف في شكر الأمن

كان السلف رضي الله عنهم أحرص الناس على شكر نعمة الأمن، وكانوا يدركون أن الأمن نعمة عظيمة، وأن شكرها من أعظم الواجبات. وكانوا يضربون أروع الأمثلة في الحفاظ على الأمن، وفي الدعاء له، وفي شكر الله عليه.

أولاً: الصحابة والأمن:

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "إِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ قَبْلَكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا كَانَ فِيهِمُ الْعَامِلُ، اتَّقُوا اللَّهَ فِيهِ، وَإِذَا كَانَ فِيهِمُ الْمُفْسِدُ، عَصَوْا اللَّهَ فِيهِ، فَاتَّقُوا اللَّهَ فِي وِلَاةِ أُمُورِكُمْ، وَأَطِيعُوهُمْ" ^(١) وكان يدعو للولاة بالصلاح، ويحث الناس على طاعتهم، ويحذر من الفتن.

ثانياً: التابعون والأمن:

كان التابعون رحمهم الله يقتدون بالصحابة في شكر نعمة الأمن، وكانوا يحرصون على حفظ الجماعة، واجتناب الفتن، والدعاء للولاة. قال الحسن البصري رحمه الله: "مَا أُعْطِيَ عَبْدٌ عَطَاءً خَيْرًا مِنَ الْعَافِيَةِ" ^(٢) وكان يقول: "أَمِنُوا فِي دِيَارِكُمْ، فَمَا بَعْدَ الْأَمْنِ إِلَّا الْخَوْفُ، وَمَا بَعْدَ الْخَوْفِ إِلَّا الْأَمْنُ" ^(٣)

ثالثاً: شكر الأمن سبب في بقاءه:

كان السلف يعلمون أن شكر الأمن سبب في بقاءه، وأن كفرانه سبب في زواله. وكانوا يحثون الناس على شكر الله على هذه النعمة، ويذكرونهم بأن الله قال: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ ^(٤)

(١) روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: "إِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ قَبْلَكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا كَانَ فِيهِمُ الْعَامِلُ، اتَّقُوا اللَّهَ فِيهِ، وَإِذَا كَانَ فِيهِمُ الْمُفْسِدُ، عَصَوْا اللَّهَ فِيهِ، فَاتَّقُوا اللَّهَ فِي وِلَاةِ أُمُورِكُمْ، وَأَطِيعُوهُمْ". انظر نضرة النعيم، ج ٨، ص ٣١٣٤.

(٢) روي عن الحسن البصري رحمه الله أنه قال: "مَا أُعْطِيَ عَبْدٌ عَطَاءً خَيْرًا مِنَ الْعَافِيَةِ". انظر نضرة النعيم، ج ٨، ص ٣١٣٤.

(٣) روي عن الحسن البصري رحمه الله أنه قال: "أَمِنُوا فِي دِيَارِكُمْ، فَمَا بَعْدَ الْأَمْنِ إِلَّا الْخَوْفُ، وَمَا بَعْدَ الْخَوْفِ إِلَّا الْأَمْنُ". انظر نضرة النعيم، ج ٨، ص ٣١٣٥.

(٤) سورة إبراهيم (٧).

خطر كفران نعمة الأمن

كفران نعمة الأمن من أعظم الذنوب، وهو سبب في زوال الأمن، وحلول الخوف والفوضى. وقد حذر الله من كفران النعمة، وضرب الأمثال للأمم التي كفرت نعم الله، فحل بها العذاب.

أولاً: صور كفران نعمة الأمن:

١. نشر الفتن والاضطرابات: التسبب في الفتن، ونشر الفوضى، وتخريب الممتلكات، وإثارة النعرات الطائفية والعرقية.
٢. التمرد على الولاية: الخروج على ولاية الأمر، ونبد الطاعة، والتمرد على القوانين والأنظمة.
٣. نشر الشائعات والأكاذيب التي تثير الذعر والخوف بين الناس.
٤. تكفير المسلمين والدعوة إلى العنف والتطرف والإرهاب.
٥. الانشغال بالدنيا عن الآخرة: ونسيان شكر الله على نعمة الأمن.

ثانياً: عاقبة كفران نعمة الأمن:

١. زوال الأمن: كما قال تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ (١)
٢. حلول الخوف والفوضى: كما قال تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (٢)
٣. العذاب في الدنيا والآخرة: كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (٣)

(١) سورة النحل (١١٢).

(٢) سورة الأنفال (٢٦).

(٣) سورة الأعراف (٩٦).

الشكر في تقلبات الأحوال وموانعه

الشكر في الرخاء والسعة

الشكر في تقلبات الأحوال وموانعه . وهو باب يمس واقعنا المعاصر بجلاء، ويعالج إشكالية كبرى: كيف يبقى العبد شاكرًا لله في السراء والضراء، في الرخاء والشدة، في الغنى والفقر، في النجاح والفشل؟ وكيف يتغلب على موانع الشكر التي تحول بينه وبين هذه العبادة العظيمة؟

نبدأ هنا بأولى محطاته: الشكر في الرخاء والسعة . وهي محطة قد تكون أخطر من غيرها، لأن الإنسان في الرخاء قد يغتر بنفسه، وينسى فضل ربه، ويظن أن ما به من نعم هو من كسبه وحده. وقد قال بعض السلف: "ابتلينا بالضراء فصبرنا، وابتلينا بالسراء فلم نصبر"^(١) فهذه الكلمة العظيمة تبين أن الصبر على البلاء قد يكون أيسر من الصبر على النعمة، لأن النعمة قد تفتن العبد، وتُغريه، وتُنسيه فضل ربه.

وإن من أعظم ما يثلج الصدر، أن نتأمل كيف كان السلف يتعاملون مع الرخاء، وكيف كانوا يشكرون الله عليه، وكيف كانوا يخافون من أن يكون فتنة لهم. كانوا يدركون أن الرخاء نعمة عظيمة، ولكنها في الوقت نفسه اختبار وامتحان، كما قال تعالى: ﴿وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾^(٢). فالخير - وهو الرخاء - فتنة كما أن الشر فتنة، وكلاهما اختبار من الله لعباده، ليرى كيف يتصرفون، أيشكرون أم يكفرون، أيصبرون أم يجزعون.

(١) قول عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه: "ابتلينا بالضراء فصبرنا، وابتلينا بالسراء فلم نصبر". رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الشكر، وابن عساكر في تاريخ دمشق. انظر حياة الصحابة للكاتب دهلوي، ج ٣، ص ٢٤٥.

(٢) سورة الأنبياء (٣٥).

لماذا يغفل الإنسان عند النعمة؟

إن من أعجب ما في نفس الإنسان، أنه قد يغفل عن النعم في أوقات الرخاء، وينسى فضل ربه، ويظن أن ما به من خير هو من كسبه وحده. وقد بين القرآن الكريم هذه الظاهرة في مواضع شتى، وحذّر منها، وبيّن أنها من طبيعة الإنسان الضعيفة.

أولاً: نسيان النعمة عند حصولها:

قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ﴾^(١). فهذه الآية تبين أن الإنسان إذا أصابه ضرر، لجأ إلى الله، وأخلص له الدعاء، فإذا كشف الله عنه الضر، وأنعم عليه، نسي ما كان عليه من ضعف، ونسي فضل ربه، وكأنه لم يكن في ضرر قط. وهذه من أبرز مظاهر الغفلة عن النعم.

ثانياً: نسبية النعمة إلى النفس:

من أخطر ما يقع فيه الإنسان في الرخاء، أن ينسب النعمة إلى نفسه، ويظن أنها من كسبه واجتهاده، وينسى أن الله هو الموفق والمعطي. قال تعالى عن قارون: ﴿إِنَّمَا أُوتِيْتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي﴾^(٢). فنسب النعمة إلى نفسه، فكانت عاقبته الخسف. وقال تعالى: ﴿وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَىٰ بِجَانِبِهِ﴾^(٣)

ثالثاً: الأنس بالنعمة والاعتدال بها:

الإنسان في الرخاء قد يأنس بالنعمة، ويغتر بها، ويظن أنها دائمة، ولا يخاف من زوالها. قال تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِيَطْغَىٰ * أَن رَّاهُ اسْتَغْنَىٰ﴾^(٤). فالاستغناء قد يطغى بالإنسان، ويجعله يتجاوز حدود الله، وينسى فضل ربه.

(١) سورة الزمر (٨).

(٢) سورة القصص (٧٨).

(٣) سورة الإسراء (٨٣).

(٤) سورة العلق (٦-٧).

البطر بعد السعة

البطر هو الطغيان والاستكبار عند حصول النعمة، وهو من أخطر ما يقع فيه الإنسان في الرخاء. وقد حذر الله من البطر، وبيّن أنه سبب في زوال النعم وحلول العقوبات.

أولاً: البطر في القرآن الكريم:

قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْقُرَىٰ أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا﴾^(١). وقال عن قوم عاد: ﴿فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً﴾^(٢). فكان بطرهم واستكبارهم سبباً في هلاكهم.

ثانياً: صور البطر:

١. التكبر على الناس: أن يرى الإنسان نفسه فوق الآخرين بسبب نعمته، ويتعالى عليهم، ويستصغرهم.
٢. النسيان: أن ينسى الإنسان فضل ربه، وينسى ما كان عليه من ضعف وفقر.

٣. الطغيان: أن يتجاوز الإنسان حدود الله، ويستعمل النعمة في معصيته.
٤. الاستهتار: أن يستهتر الإنسان بالنعم، ولا يقدر قيمتها، ويعتادها حتى تصبح أمراً عادياً.

ثالثاً: عاقبة البطر:

١. زوال النعمة: قال تعالى: ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ﴾^(٣)
٢. حلول العقوبة: قال تعالى: ﴿فَأَخَذْنَاهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ﴾^(٤)
٣. الخسران في الآخرة: قال تعالى: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا﴾^(٥)

(١) سورة الكهف (٥٩).

(٢) سورة فصلت (١٥).

(٣) سورة العنكبوت (٤٠).

(٤) سورة سبأ (١٩).

(٥) سورة الإسراء (٣٧).

كيف يشكر المؤمن في الرخاء؟

أولاً: شكر الرخاء بالتواضع:

من شكر الرخاء، أن يتواضع العبد لله وللناس، ولا يغتر بنفسه، ولا يرى نفسه فوق أحد. قال تعالى: ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾^(١). وقال رسول الله ﷺ: "مَنْ تَوَاضَعَ لِلَّهِ رَفَعَهُ اللَّهُ"^(٢) وكان السلف إذا أوتوا نعمة، ازدادوا تواضعاً وخشوعاً لله.

ثانياً: شكر الرخاء بالاستعمال في طاعة الله:

من شكر الرخاء، أن يستعمل العبد النعمة في طاعة الله، ولا يستعملها في معصيته. قال تعالى: ﴿وَأَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ﴾^(٣)

ثالثاً: شكر الرخاء بالخوف من زواله:

من شكر الرخاء، أن يخاف العبد من زوال النعمة، ويستعيذ بالله من تحول العافية. قال رسول الله ﷺ: "اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ زَوَالِ نِعْمَتِكَ، وَتَحَوُّلِ عَافِيَتِكَ، وَفُجَاءَةِ نِقْمَتِكَ، وَجَمِيعِ سَخَطِكَ"^(٤) وكان السلف يخافون من زوال النعم، ويشكرون الله عليها في كل لحظة.

رابعاً: شكر الرخاء بالاعتراف بأن النعمة من الله:

من شكر الرخاء، أن يعترف العبد بأن النعمة من الله، ولا ينسبها إلى نفسه، ولا إلى كسبه. قال تعالى: ﴿وَمَا بِكُمْ مِّنْ نُّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾^(٥) وكان سليمان عليه السلام يقول: ﴿هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ﴾^(٦)

خامساً: شكر الرخاء بالدعاء بالثبات: من شكر الرخاء، أن يكثر العبد من الدعاء بالثبات، وألا يغتر بالنعمة. كان النبي ﷺ يكثر من الدعاء: "يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ، ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ"^(٧) وكان يقول: "اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الثَّبَاتَ فِي الْأَمْرِ، وَالْعَزِيمَةَ عَلَى الرُّشْدِ"^(٨)

(١) سورة الحجر (٨٨).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب التواضع وفضله، برقم (٢٥٨٨)،

(٣) سورة المنافقون (١٠).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه، برقم (٢٧٣٨)، عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، واللفظ له.

(٥) سورة النحل (٥٣).

(٦) سورة النمل (٤٠).

(٧) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب الدعوات، باب في دعاء النبي ﷺ، برقم (٣٥٢٠)، وأحمد في مسنده، برقم (١٦٥٤١)، عن أنس بن مالك رضي الله عنه، وقال الترمذي: "حديث حسن صحيح".

(٨) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب الدعوات، باب جامع الدعاء، برقم (٣٤٨٩)، والنسائي في سننه، كتاب عمل اليوم والليلة، برقم (١٠٣٣)، عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، وحسنه الألباني في صحيح الترمذي.

المحافظة على القلب عند الرفاهية

إن من أعظم ما يحتاجه المؤمن في أوقات الرخاء، أن يحافظ على قلبه، وألا تلهيه النعم عن ذكر الله، وألا تغرّه الرفاهية عن طاعة ربه.

أولاً: الخوف من فتنة الرخاء:

كان السلف يخافون من فتنة الرخاء، كما يخافون من فتنة البلاء، بل كانوا أشد خوفاً من الرخاء، لأنه قد يأتي العبد وليس عنده استعداد له. قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "مَا خِفْتُ شَيْئًا مَخَافَتِي مِنَ الْغِنَى وَالْفَقْرِ، لَا أَدْرِي أَيُّهُمَا أَشَدُّ عَلَيَّ، وَلَكِنِّي أَخَافُ مِنَ الْغِنَى أَنْ يَفْتِنَنِي" ^(١)

ثانياً: علامات المحافظة على القلب في الرخاء:

١. دوام الذكر: أن يظل العبد ذاكراً لله في الرخاء، كما كان في الشدة، وألا ينساه بسبب النعم.
٢. دوام الشكر: أن يظل العبد شاكراً لله على نعمه، ولا يغفل عن فضله.
٣. دوام الخوف: أن يظل العبد خائفاً من زوال النعم، ومتقرباً إلى الله بالطاعات.

٤. دوام التواضع: أن يظل العبد متواضعاً لله وللناس، ولا يغتر بنفسه.

ثالثاً: وسائل المحافظة على القلب في الرخاء:

١. كثرة التفكير في نعم الله: أن يتفكر العبد في نعم الله عليه، ويشكره عليها، ويعلم أنها من الله.
٢. كثرة الاستغفار: أن يكثر العبد من الاستغفار، ويستغفر الله من تقصيره في شكر النعم.
٣. مخالفة النفس: أن يجبر العبد نفسه على الطاعة، ولا يتركها تتبع هواها في الرخاء.
٤. صحبة الصالحين: أن يصاحب العبد الصالحين الذين يذكرونه بالله، ويعينونه على الطاعة.

(١) روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: "مَا خِفْتُ شَيْئًا مَخَافَتِي مِنَ الْغِنَى وَالْفَقْرِ، لَا أَدْرِي أَيُّهُمَا أَشَدُّ عَلَيَّ، وَلَكِنِّي أَخَافُ مِنَ الْغِنَى أَنْ يَفْتِنَنِي". انظر نضرة النعيم، ج ٨، ص ٣١٣٥.

الشكر في الرخاء في واقع العصر

في عصرنا الحالي، نعيش في بحر من النعم والرفاهية، لم تعرفها البشرية من قبل. ولذلك، فإن الغفلة عن شكر الرخاء أصبحت هي السمة الغالبة، وانتشر البطر والاستكبار، وكثرت مظاهر الطغيان والغرور.

أولاً: مظاهر الغفلة عن شكر الرخاء في عصرنا:

١. الانشغال بالدنيا عن الآخرة: الانشغال بجمع المال، والمتعة، والترف، ونسيان الآخرة.

٢. الاستعراض والرياء: إظهار النعم، والتفاخر بها، والتباهي بالامتلاكات والمناصب.

٣. نسبة النعم إلى النفس: ادعاء أن النعم من كسب الشخص، ونسيان فضل الله.

٤. الإسراف والتبذير: الإفراط في الإنفاق، وإهدار النعم، وعدم تقدير قيمتها.

٥. الانتقاد الدائم: أن يظل الإنسان ناقدًا للأوضاع، غير شاكر على النعم، يرى العيوب ولا يرى المزايا.

ثانياً: كيفية شكر الرخاء في عصرنا:

١. التأمل في النعم: أن نتأمل في نعم الله علينا، ونشكره عليها، ولا نمر عليها مرور الغافلين.

٢. استعمال النعم في طاعة الله: أن نستعمل ما أنعم الله به علينا في طاعته، لا في معصيته.

٣. التواضع: أن نتواضع لله وللناس، ولا نغتر بنعمنا.

٤. الخوف من زوال النعم: أن نخاف من زوال النعم، ونستعيد بالله من تحول العافية.

٥. الشكر العملي: أن نترجم شكرنا إلى أعمال صالحة، وإنفاق في سبيل الله، وإغاثة للملهوفين.

٦. الابتعاد عن الإسراف: أن نعتدل في الإنفاق، ولا نسرف، ولا نبخل.

الشكر عند البلاء والمحن

المحطة التي تميز بها الأنبياء والمرسلون، والصاديقون والشهداء، وأولي العزم من عباد الله. إنها الشكر عند البلاء والمحن المحطة التي تتجلى فيها حقيقة الإيمان، ويظهر فيها صدق العبودية، وتتحدد فيها منزلة العبد عند ربه. ولعل من أعظم ما يثير الدهشة في هذا المقام، أن السلف كانوا يشكرون الله على البلاء، كما يشكرونه على النعمة، بل كان بعضهم يرى في البلاء نعمة خفية، لا يعرف قدرها إلا من أوتي بصيرة نافذة. قال بعضهم: "لولا مصائب الدنيا، لفاتنا من الثواب ما لا يُحصى" ^(١) وقال آخرون: "ما رأيتُ نعمة إلا وبجنبها محنة، ولا محنة إلا وبجنبها نعمة" ^(٢)

وإن من أعظم ما يثلج الصدر، أن نتأمل كيف كان الأنبياء والمرسلون يتعاملون مع البلاء، وكيف كانوا يشكرون الله عليه، وكيف كانوا يرون فيه الخير والبركة. فقد ابتلي أيوب عليه السلام في جسده وماله وولده، فصبر صبراً عظيماً، ثم شكر الله على هذا البلاء، حتى قال الله فيه: ﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعَمَ الْعَبْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ ^(٣) وابتلي يعقوب عليه السلام بفقد ولده يوسف، فصبر وشكر، وقال: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾ ^(٤) وابتلي إبراهيم عليه السلام بالنار، فقال: ﴿حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ ^(٥)

هل يُشكر الله على البلاء؟

هذا سؤال قد يخطر ببال كثير من الناس: كيف يشكر العبد الله على البلاء، والبلاء ألم ومشقة؟ والجواب - كما فهمه السلف - أن الشكر على البلاء يكون من وجوه متعددة، لا من حيث الألم نفسه، بل من حيث ما في البلاء من خفايا النعم.

(١) قول بعض السلف: "لولا مصائب الدنيا، لفاتنا من الثواب ما لا يُحصى". انظر نضرة النعيم، ج ٨، ص ٣١٣٦.
(٢) قول بعض السلف: "ما رأيتُ نعمة إلا وبجنبها محنة، ولا محنة إلا وبجنبها نعمة". انظر نضرة النعيم، ج ٨، ص ٣١٣٦.
(٣) سورة ص (٤٤).
(٤) سورة يوسف (١٨).
(٥) سورة آل عمران (١٧٣).

أولاً: الشكر على البلاء من حيث حكمته:

المؤمن يشكر الله على البلاء، لأنه يعلم أن الله ما ابتلاه إلا لحكمة بالغة، قد لا يدركها في الحال، لكنه يوقن أنها خير له. قال تعالى: ﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ (١) وقد قال رسول الله ﷺ: "عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَاءٌ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَاءٌ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ" (٢) فهذا الحديث يبين أن المؤمن في كل حالاته خير، سواء في السراء أو الضراء.

ثانياً: الشكر على البلاء من حيث تكفير الذنوب:

من أعظم ما في البلاء من نعم، أنه يكفر الذنوب والخطايا، ويمحو السيئات، ويرفع الدرجات. قال رسول الله ﷺ: "مَا يُصِيبُ الْمُسْلِمَ مِنْ نَصَبٍ وَلَا وَصَبٍ وَلَا هَمٍّ وَلَا حُزْنٍ وَلَا أَذًى وَلَا غَمٍّ حَتَّى الشَّوْكَةُ يُشَاكُهَا، إِلَّا كَفَّرَ اللَّهُ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ" (٣) فالمؤمن يشكر الله على البلاء، لأنه سبب في تطهيره من ذنوبه، وتخليصه من أوزاره.

ثالثاً: الشكر على البلاء من حيث رفع الدرجات:

البلاء سبب في رفع درجات المؤمن عند الله، وزيادة منزلته في الجنة. قال رسول الله ﷺ: "إِنَّ الرَّجُلَ لَتَكُونُ لَهُ الْمَنْزِلَةُ عِنْدَ اللَّهِ، فَمَا يَبْلُغُهَا بِعَمَلٍ، فَمَا يَزَالُ يَبْتَلِيهِ بِمَا يَكْرَهُ حَتَّى يُبَلِّغَهُ ذَلِكَ" (٤) فالمؤمن يشكر الله على البلاء، لأنه سبب في رفعة درجته، وعلو منزلته.

رابعاً: الشكر على البلاء من حيث تذكير العبد بضعفه:

البلاء يذكر العبد بضعفه وفقره إلى الله، ويدفعه إلى التضرع والدعاء، وهذا من أعظم النعم. قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ﴾ (٥) فالمؤمن يشكر الله على البلاء، لأنه أذله وأفقره إليه، وأخرجه من الغرور والاستكبار.

(١) سورة البقرة (٢١٦).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الزهد والرقائق، باب المؤمن أمره كله خير، برقم (٢٩٩٩)، عن صهيب بن سنان الرومي رضي الله عنه، واللفظ له.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المرضى، باب ما جاء في كفارة المرض، برقم (٥٦٤١)، ومسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض أو حزن أو غيره، برقم (٢٥٧٣)، عن أبي هريرة رضي الله عنه، واللفظ للبخاري.

(٤) أخرجه ابن حبان في صحيحه، برقم (٢٨٩٧)، والحاكم في المستدرک، برقم (١٦٣٤)، عن أبي هريرة رضي الله عنه، وصححه الألباني في صحيح الترغيب، برقم (٣٤٣٥).

(٥) سورة الزمر (٨).

خامساً: الشكر على البلاء من حيث التعويض:

الله سبحانه إذا ابتلى عبده، فإنه يعوضه خيراً مما ابتلاه به، إما في الدنيا، وإما في الآخرة. قال تعالى: ﴿فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ﴾^(١). وكان أيوب عليه السلام بعد بلائه، آتاه الله أهله ومثلهم معهم، وردّ عليه صحته وماله.

(١) سورة الفرقان (٧٠).

الفرق بين الشكر والصبر عند البلاء

قد يختلط الأمر على بعض الناس، فيظنون أن الصبر عند البلاء هو المطلوب، وأن الشكر لا يكون إلا في النعم. ولكن الفقه العميق عند السلف يبين أن الشكر على البلاء أرفع من الصبر عليه، وأن المؤمن الكامل هو الذي يشكر الله على البلاء، كما يشكر على النعمة.

أولاً: الصبر عند البلاء:

الصبر هو حبس النفس عن الجزع والتسخط، وهو واجب على كل مؤمن. فالمؤمن إذا أصابه بلاء، صبر، ولم يجزع، ولم يتسخط، ولم يشك إلا إلى الله. قال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾^(١)

ثانياً: الشكر عند البلاء:

الشكر عند البلاء هو أن يرى العبد في البلاء نعمة خفية، فيشكر الله عليها، مع صبره على ألم البلاء. وهذا أرفع من مجرد الصبر، لأنه يجمع بين الصبر والشكر، ويرى العبد في المصيبة منحة، لا مجرد محنة. وقد قال رسول الله ﷺ: "إِنَّ عِظَمَ الْجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ الْبَلَاءِ، وَإِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ، فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا، وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السَّخَطُ"^(٢).

ثالثاً: التفاضل بين المقامين:

قال ابن القيم رحمه الله: "مقام الشكر أعلى من مقام الصبر، لأن الشاكر يشهد النعمة في البلية، فيشكر المبتلي عليها، والصابر يشهد المشقة في البلية، فيصبر عليها"^(٣) فالشاكر يرى في البلاء عطاءً خفياً، فيشكر الله عليه، أما الصابر فيرى المشقة، فيصبر عليها. وهذا التفاضل يجعل الشكر على البلاء من أعلى درجات العبودية.

الحكمة من الابتلاء

لقد ابتلى الله عباده في هذه الدنيا، وجعل الابتلاء سنة كونية، لا تختص بمؤمن دون كافر، ولا ببر دون فاجر. ولكن حكمة الابتلاء تختلف باختلاف حال العبد، ودرجة إيمانه.

(١) سورة البقرة (١٥٥).

(٢) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب الزهد، باب ما جاء في الصبر على البلاء، برقم (٢٣٩٦)

(٣) ابن القيم، مدارج السالكين، ج ٢، ص ١٤٠، في منزلة الشكر.

أولاً: الابتلاء لتمييز الصادق من الكاذب:
قال تعالى: ﴿الْم * أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ *
وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾ (١)
فالابتلاء يظهر حقيقة الإيمان، ويميز الصادق من الكاذب، والمخلص من المرائي.

ثانياً: الابتلاء لرفع الدرجات وتكفير السيئات:
كما تقدم، الابتلاء سبب في رفع الدرجات، وتكفير السيئات، وتطهير العبد من ذنوبه. قال رسول الله ﷺ: "إِنَّ الْبَلَاءَ لَا يَزَالُ بِالْمُؤْمِنِ وَالْمُؤْمِنَةِ فِي نَفْسِهِ وَوَلَدِهِ وَمَالِهِ حَتَّى يَلْقَى اللَّهَ وَمَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ" (٢)
ثالثاً: الابتلاء لتعليم العبد الصبر والشكر:

الابتلاء مدرسة تعليمية، يعلم الله فيها عباده الصبر، والشكر، والرضا، والتوكل، واليقين. فبالمحن يتعلم العبد كيف يلجأ إلى الله، وكيف يتوكل عليه، وكيف يرضى بحكمه، وكيف يشكره على نعمه الخفية.

رابعاً: الابتلاء لدفع العبد عن الكبر والغرور:
الابتلاء يذكر العبد بضعفه، ويفقره إلى الله، ويدفعه عن الكبر والغرور. قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ﴾ (٣)

(١) سورة العنكبوت (٣-١).
(٢) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب الزهد، باب ما جاء في الصبر على البلاء، برقم (٢٣٩٩)، عن أبي هريرة رضي الله عنه، وقال: "حديث حسن صحيح". وصححه الألباني في صحيح الجامع، برقم (١٤٧٥).
(٣) سورة المؤمنون (٧٦).

نماذج من الأنبياء والسلف في الشكر على البلاء

ضرب لنا الأنبياء والمرسلون، والصالحون من عباد الله، أروع الأمثلة في الشكر على البلاء، وقد تركوا لنا إرثاً عظيماً نذكر منهم:

أولاً: أيوب عليه السلام:

أيوب عليه السلام هو نموذج الشاكر على البلاء بامتياز. فقد ابتلي في جسده، فأصابه داء عُضال، وابتلي في ماله، فذهبت أمواله، وابتلي في ولده، فماتوا جميعاً. ومع هذا كله، لم يجزع، ولم يتسخط، بل صبر وشكر، وقال: ﴿أَنِّي مَسْنِيَ الضُّرِّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾^(١). فشكا إلى الله، لكنه لم يتسخط على قضائه، بل كان صابراً شاكراً. وقد قال الله فيه: ﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِراً نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ ص: ٤٤.

ثانياً: يعقوب عليه السلام:

ابتلي يعقوب عليه السلام بفقد ولده يوسف، ثم بفقد أخيه بنيامين، فصبر صبراً جميلاً، ولم يجزع، بل قال: ﴿فَصَبِرْ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾ يوسف: ١٨. وكان يشكو حزنه إلى الله، لكنه لم يتسخط على قضائه، بل كان صابراً شاكراً، حتى قال الله فيه: ﴿إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾^(٢).

ثالثاً: النبي ﷺ:

كان النبي ﷺ إذا أصابه بلاء، صبر وشكر، وكان يرى في البلاء خيراً. فقد قال ﷺ: "مَا يَزَالُ الْبَلَاءُ بِالْمُؤْمِنِ حَتَّى يَخْرُجَ نَقِيًّا مِنْ ذُنُوبِهِ"^(٣) وكان إذا رأى ما يكره، قال: "الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ"^(٤) وكان إذا أصابه أمر يسره، خرَّ ساجداً شاكراً لله.

(١) سورة الأنبياء (٨٣).

(٢) سورة يوسف (٨٦).

(٣) أخرجه ابن حبان في صحيحه، برقم (٢٨٩٧)، والحاكم في المستدرک، برقم (١٦٣٤)، عن أبي هريرة رضي الله عنه، وصححه الألباني في صحيح الترغيب، برقم (٣٤٣٥).

(٤) أخرجه ابن ماجه في سننه، كتاب الأدب، باب ما جاء في الحمد، برقم (٣٨٠٥)، عن عائشة رضي الله عنها.

رابعاً: علي بن أبي طالب رضي الله عنه: كان علي رضي الله عنه إذا أصابه بلاء، قال: "اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ عَلَى مَا أَصَابَنِي، وَلَكَ الْحَمْدُ عَلَى مَا أَنْعَمْتَ بِهِ عَلَيَّ" ^(١) وكان يرى في البلاء نعمة خفية، وكان يشكر الله عليها.

خامساً: عمر بن الخطاب رضي الله عنه:

كان عمر رضي الله عنه إذا ابتلي ببلاء، قال: "مَا ابْتَلَانِي اللَّهُ بِبَلَاءٍ إِلَّا وَكَانَ لِي فِيهِ أَرْبَعُ نِعَمٍ: إِذَا لَمْ يَكُنْ فِي دِينِي، وَإِذَا لَمْ يَكُنْ أَعْظَمَ مِمَّا أَنْزَلَ بِي، وَإِذَا لَمْ يُحَرِّمْ نِي الرِّضَا بِهِ، وَإِذَا أَرْجُو الثَّوَابَ عَلَيْهِ" ^(٢)

(١) انظر نضرة النعيم، ج ٨، ص ٣١٣٦.

(٢) انظر نضرة النعيم، ج ٨، ص ٣١٣٦.

الشكر على البلاء في واقع العصر

في عصرنا الحالي، نعيش في بحر من الابتلاءات: أمراض، ومشاكل اقتصادية، وفتن اجتماعية، واضطرابات نفسية. ولكن مع كثرة البلاء، نجد أن الصبر والشكر هما المفقودان، وانتشرت ثقافة التذمر والشكوى، حتى أصبح الناس يتذمرون من أدنى بلاء، وينسون أن الله لم يبتلهم إلا لخير.

أولاً: مظاهر الغفلة عن الشكر على البلاء في عصرنا:

١. التذمر والشكوى: أن يكثر الإنسان من الشكوى، ويتذمر من أدنى بلاء، وينسى فضل الله عليه.

٢. تضخيم البلاء: أن يضخم الإنسان البلاء، ويجعله أكبر مما هو عليه، وينسى النعم التي حوله.

٣. الجزع والتسخط: أن يجزع الإنسان من البلاء، ويتسخط على قضاء الله، ويعترض على حكمته.

٤. مقارنة النفس بالآخرين: أن يقارن الإنسان نفسه بمن هم في نعمة، وينسى من هم في بلاء أعظم منه.

٥. نسيان فضل الله: أن ينسى الإنسان فضل الله عليه، ويركز على البلاء وحده، وينسى النعم التي لا تعد ولا تحصى.

ثانياً: كيفية الشكر على البلاء في عصرنا:

١. تذكر حكمة البلاء: أن نتذكر أن الله ما ابتلانا إلا لحكمة، وأن البلاء خير لنا في الدنيا والآخرة.

٢. تذكر تكفير الذنوب: أن نتذكر أن البلاء يكفر الذنوب، ويمحو السيئات، ويطهرنا من خطايانا.

٣. تذكر رفع الدرجات: أن نتذكر أن البلاء يرفع درجاتنا عند الله، ويزيد منزلتنا في الجنة.

٤. الصبر والرضا: أن نصبر على البلاء، ونرضى بقضاء الله، ولا نتسخط ولا نجزع.

٥. الشكر على ما بقي: أن نشكر الله على ما بقي من نعم، ولا ننشغل بما فقد.

٦. الدعاء بالعافية: أن ندعو الله بالعافية، ونسأله أن يرفع عنا البلاء، ويعافينا في ديننا ودنيانا.

٧. النظر إلى من هو أشد بلاءً: أن ننظر إلى من هو أشد منا بلاءً، ونشكر الله على عافيتنا، كما قال رسول الله ﷺ: "انْظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ أَسْفَلَ مِنْكُمْ، وَلَا تَنْظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَكُمْ، فَهُوَ أَجْدَرُ أَنْ لَا تَزْدَرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ." (١)

(١) أخرجه مسلم (٢٩٦٣)، وابن ماجه (٤١٤٢)، وأحمد (٧٤٤٢)، واللفظ لهم.

الشكر بعد التوبة والنجاح

هي المحطة التي يجني فيها العبد ثمرة رجوعه إلى الله، وثمره صبره على البلاء، وثمره شكره على النعم. إنها المحطة التي يتجلى فيها فضل الله على عباده، حين يوفقهم للتوبة من ذنوبهم، أو يكتب لهم النجاح في مسعاهم، أو يفتح عليهم أبواب الخير.

وإن من أعظم ما يثلج الصدر، أن نعلم أن الله سبحانه يفرح بتوبة عبده، كما قال رسول الله ﷺ: "لَلَّهِ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ مِنْ أَحَدِكُمْ بِضَالَّتِهِ" ^(١). فالتوبة نعمة عظيمة، بل هي من أعظم النعم التي يتفضل الله بها على عباده، وهي سبب في محو الذنوب، وتكفير السيئات، وتغيير الحال من الضلال إلى الهدى، ومن المعصية إلى الطاعة. والنجاح في الدنيا والآخرة هو ثمرة هذه التوبة، وثمره الصبر والثبات على الطاعة.

وقد أمر الله عباده بشكره على نعمة التوبة، فقال: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ ^(٢). وقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ ^(٣) فالتوبة نعمة من الله، وشكرها واجب، وهو من أعظم ما يقرب العبد إلى ربه.

نعمة المغفرة - أعظم ما يمنحه الله لعبده

إن نعمة المغفرة هي أعظم ما يمكن أن يناله العبد في هذه الدنيا، فهي التي تمحو سيئاته، وتطهر ذنوبه، وتجعله كيوم ولدته أمه. وقد جعل الله المغفرة من أعظم نعمه، وأمر عباده بشكره عليها.

أولاً: المغفرة نعمة عظيمة:

قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ ^(٤) وقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ ^(٥) فالمغفرة نعمة لا يقدرها إلا من عرف عظم الذنب،

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الدعوات، باب الدعاء إلى الإسلام، برقم (٦٣٠٩)، ومسلم في صحيحه، كتاب التوبة، باب في الحث على التوبة والفرح بها، برقم (٢٦٧٤)، عن أنس بن مالك رضي الله عنه، واللفظ للبخاري.

(٢) سورة النور (٣١).

(٣) سورة البقرة (٢٢٢).

(٤) سورة آل عمران (١٣٥).

(٥) سورة الزمر (٥٣).

وجهل كيف يمحي. وهي سبب في دخول الجنة، والنجاة من النار، والفوز برضا الله.

ثانياً: المغفرة سبب في تغيير الحال:

من غفر الله له، تغيرت حاله، وتبدلت سيئاته حسنات، كما قال تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾^(١) فهذا التبديل من أعظم صور نعمة المغفرة، حيث يتحول العبد من حال المعصية إلى حال الطاعة، ومن حال البعد إلى حال القرب، ومن حال الشقاء إلى حال السعادة.

ثالثاً: المغفرة سبب في محبة الله:

من غفر الله له، أحبه، وأحبه الناس، وألقى له القبول في الأرض. قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾^(٢). فالمغفرة توجب محبة الله، ومحبة الناس، وهذا من أعظم النعم.

(١) سورة الفرقان (٧٠).

(٢) سورة مريم (٩٦).

نعمة الرجوع إلى الله

التوبة ليست مجرد ترك للذنوب، بل هي رجوع إلى الله، وقرب منه، واستقامة على دينه. وهذا الرجوع هو أعظم ما يحصل به العبد على سعادة الدنيا والآخرة.

أولاً: التوبة رجوع إلى الله:

قال تعالى: ﴿فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ﴾ ^(١) وقال: ﴿وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ﴾ ^(٢) فالتوبة هي الرجوع إلى الله، والإقبال عليه، والاستقامة على دينه، وهذا هو أعلى ما يصل إليه العبد في هذه الدنيا.

ثانياً: الرجوع إلى الله سبب في السعادة:

من رجع إلى الله، سعد في الدنيا والآخرة، ووجد في قلبه طمأنينة، وفي نفسه رضا، وفي حياته بركة. قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْشَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾ ^(٣) فهذه الحياة الطيبة هي ثمرة الرجوع إلى الله والإيمان به والعمل الصالح.

ثالثاً: الرجوع إلى الله سبب في القرب منه:

من رجع إلى الله، قرب به إليه، وأدخله في زمرة أوليائه، وأحبابه. قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ ^(٤) فهذه المحبة هي أعلى ما يصل إليه العبد في هذه الدنيا والآخرة.

(١) سورة فصلت (٦).

(٢) سورة الزمر (٥٤).

(٣) سورة النحل (٩٧).

(٤) سورة هود (١١٢).

كيف يحافظ التائب على نعمته؟

من أعظم ما يحتاجه التائب، أن يحافظ على نعمته، وألا يعود إلى الذنب، وألا يفرط في شكر الله على ما أنعم به عليه من التوبة والمغفرة. وقد كان السلف يحرصون على المحافظة على نعمة التوبة، ويخافون من زوالها، ويشكرون الله عليها في كل لحظة.

أولاً: الاستقامة على الطاعة:

من شكر نعمة التوبة، أن يستقيم العبد على طاعة الله، ويلتزم بالفرائض، ويجتنب المحرمات، ويسارع إلى الخيرات. قال تعالى: ﴿فَاسْتَقِمَّ كَمَا أُمِرْتَ﴾^(١) وقال رسول الله ﷺ: "قُلْ آمَنْتُ بِاللَّهِ، ثُمَّ اسْتَقِمَّ"^(٢) فالاستقامة هي ثمرة التوبة، وهي دليل على صدقها، وهي سبب في بقائها.

ثانياً: مجاهدة النفس على الطاعة:

من شكر نعمة التوبة، أن يجاهد العبد نفسه على الطاعة، ولا يتركها تعود إلى الذنب، ولا ييأس من رحمة الله. قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾^(٣). فالجهاد في طاعة الله من أعظم صور شكر نعمة التوبة.

ثالثاً: دوام الاستغفار والندم:

من شكر نعمة التوبة، أن يكثر العبد من الاستغفار، ويتذكر ذنبه، ويستغفر الله منه، ولا يعود إليه. قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرِ اللَّهُ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾^(٤).

رابعاً: شكر الله على نعمة التوبة:

من شكر نعمة التوبة، أن يحمد العبد الله عليها، ويعترف بأنها من فضله، ولا ينسبها إلى نفسه. قال الله تعالى: ﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾^(٥) فالتوفيق للتوبة من الله، والشكر عليها واجب.

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب بيان كون الإيمان بالله أفضل الأعمال، برقم (٣٨)، عن سفيان بن عبد الله الثقفي رضي الله عنه، واللفظ له.

(٢) سورة العنكبوت (٦٩).

(٣) سورة آل عمران (١٣٥).

(٤) سورة هود (٨٨).

(٥) سورة الكهف (٢٨).

الشكر عند النجاح

النجاح في الدنيا والآخرة هو ثمرة التوبة والاستقامة، وهو نعمة من الله يجب شكرها. فمن نجح في امتحان، أو فاز بمسابقة، أو توفّق في أي أمر من أمور الدنيا والآخرة، الخ فعليه أن يشكر الله على هذا النجاح.

أولاً: لا تنسب الفضل إلى نفسك:

من أعظم ما يقع فيه الإنسان عند النجاح، أن ينسب الفضل إلى نفسه، ويظن أن نجاحه من كسبه وحده، وينسى فضل الله عليه. قال تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ وقال تعالى عن قارون: ﴿إِنَّمَا أُوتِيْتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي﴾ ^(١)

ثانياً: "هذا من فضل ربي":

أروع ما قاله سليمان عليه السلام عند نجاحه: ﴿هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ﴾ ^(٢) فهذه الكلمة العظيمة هي دستور الشاكر عند النجاح، حيث ينسب العبد النجاح إلى فضل الله، ويعترف بأنه من عنده، ويشكره عليه، ويخاف من أن يكون سبباً في كفره. وأنه بلاء ليشكر المنعم أم يكفر.

ثالثاً: خطر العجب عند النجاح:

العجب من أخطر ما يهدد نعمة النجاح، وهو أن يرى الإنسان نفسه، ويعجب بقوته، وينسى فضل ربه. قال رسول الله ﷺ: "بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي فِي حُلَّةٍ، قَدْ أَعْجَبَتْهُ نَفْسُهُ، مُرَجَّلاً جُمَّتَهُ، إِذْ خَسَفَ اللَّهُ بِهِ" ^(٣) فالعجب سبب في زوال النعمة، وحلول العقوبة.

(١) سورة القصص (٧٨).

(٢) سورة النمل (٤٠).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الزكاة، باب لا يدخل الجنة منان ولا عاق ولا مدمن خمر، برقم (١٤٦٧)، ومسلم في صحيحه، كتاب اللباس والزينة، باب تحريم الخلاء، برقم (٢٠٨٨)، عن أبي هريرة رضي الله عنه، واللفظ للبخاري.

شكر التوبة والنجاح في واقع العصر

في عصرنا الحالي، يمر الناس بتجارب متعددة من التوبة والنجاح. فهناك من يتوب من ذنبه، ويرجع إلى الله، وهناك من ينجح في امتحان، أو يحصل على وظيفة، أو يتزوج، أو يرزق بولد. ولكن مع هذه النعم، نجد أن الغفلة عن شكرها هي السمة الغالبة.

أولاً: مظاهر الغفلة عن شكر التوبة والنجاح:

١. نسبة النجاح إلى النفس: أن يظن الإنسان أن نجاحه من كسبه، وينسى فضل الله.
٢. العجب والغرور: أن يعجب الإنسان بنفسه، ويغتر بقوته، ويتكبر على الناس.
٣. النسيان: أن ينسى الإنسان فضل الله، ويتناسى أنه كان في ضلال، ثم هداه الله.
٤. الانشغال بالدنيا: أن ينشغل الإنسان بالنجاح، وينسى شكر الله عليه، وينشغل بالدنيا عن الآخرة.
٥. العودة إلى الذنب: أن يعود الإنسان إلى الذنب بعد التوبة، ويستمر في المعصية، وينسى فضل الله عليه.

ثانياً: كيفية شكر التوبة والنجاح في عصرنا:

١. الاعتراف بفضل الله: أن نعترف بأن التوبة والنجاح من فضل الله، لا من كسبنا.
٢. استعمال النجاح في طاعة الله: أن نستعمل ما نجحنا فيه في طاعة الله، لا في معصيته.
٣. الحذر من العجب: أن نحذر من العجب والغرور، ونتواضع لله وللناس.
٤. دوام الاستغفار والمحافظة على الطاعة: أن نكثر من الاستغفار، ونستغفر الله من تقصيرنا في شكر نعمه.
٥. الدعاء بالثبات: أن ندعو الله بالثبات على التوبة، وعدم العودة إلى الذنب.

الشكر بين الفقر والغنى

هي المحطة التي تتجلى فيها حقيقة العبودية، ويظهر فيها صدق التعلق بالله، وتحدد فيها منزلة العبد عند ربه. فالمؤمن في حال الفقر يحتاج إلى صبر وقناعة، وفي حال الغنى يحتاج إلى شكر وتواضع، وكلاهما اختبار عظيم. ولعل من أعظم ما يثير التأمل في هذا المقام، أن الله سبحانه جعل الغنى والفقر من سننه الكونية، فليس كل الناس أغنياء، وليس كل الناس فقراء، بل هو ابتلاء واختبار. قال تعالى: ﴿وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾. فالفقر شر، والغنى خير، وكلاهما فتنة واختبار، يحتاج العبد إلى الصبر على الفقر، والشكر على الغنى. وقد ورد في الحديث القدسي أن الله تعالى يقول: "يَا ابْنَ آدَمَ، إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْيَاسِمِ، كُلَّمَا مَضَى يَوْمٌ مَضَى بَعْضُكَ، وَإِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْأَمْوَالِ، فَإِذَا أَخَذْتُ مَالَكَ فَلَا تَأْسَ عَلَيْهِ، وَإِذَا أُعْطَيْتُكَ مَالًا فَلَا تَتَكَبَّرَ عَلَيْهِ". وإن من أعظم ما يثلج الصدر، أن نتأمل كيف كان السلف يتعاملون مع الفقر والغنى، وكيف كانوا يشكرون الله في كلا الحالين، وكيف كانوا يرون أن الغنى الحقيقي ليس كثرة المال، بل غنى القلب. قال رسول الله ﷺ: "لَيْسَ الْغِنَى عَنْ كَثْرَةِ الْعَرَضِ، وَلَكِنَّ الْغِنَى غِنَى النَّفْسِ"^(١) فهذا الحديث يبين أن الغنى الحقيقي هو غنى النفس والقناعة، وليس كثرة المال.

شكر الغني

الغني هو الذي آتاه الله مالاً وفيراً، وأغناه عن سؤال الناس. وهذه نعمة عظيمة، يجب أن يشكر الله عليها. ولكن الغنى قد يكون فتنة، كما قال رسول الله ﷺ: "إِنَّ لِكُلِّ أُمَّةٍ فِتْنَةً، وَفِتْنَةُ أُمَّتِي الْمَالُ"^(٢) فالمال قد يلهي القلب، ويشغل عن الآخرة، ويوقع في البخل والحرص. ولذلك، فإن شكر الغني يكون بأمور متعددة.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، باب في الغنى، برقم (٦٤٤٦)، ومسلم في صحيحه، كتاب الزكاة، باب فضل القناعة، برقم (١٠٥٣)، عن أبي هريرة رضي الله عنه، واللفظ للبخاري.

(٢) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب الزهد، باب ما جاء في فتنة المال، برقم (٢٣٣٦)، عن كعب بن عياض رضي الله عنه، وقال: "حديث حسن صحيح". وصححه الألباني في صحيح الترمذي.

أولاً: شكر الغني بالإنفاق في سبيل الله:

من شكر الغنى، أن ينفق العبد ماله في سبيل الله، ويؤدي زكاته، ويتصدق على الفقراء والمساكين، وينفق على أهله وولده، ويبدل المال في وجوه الخير. قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾^(١). وكان السلف يبادرون إلى الإنفاق في وجوه الخير، ويشكرون الله على ما آتاهم، وكانوا لا ينتظرون حتى يأتيهم السائل، بل كانوا يبحثون عن المحتاجين، ويبدلون لهم المال سرّاً وعلانية.

ثانياً: شكر الغني بالتواضع وعدم الكبر:

من شكر الغنى، أن يتواضع العبد لله وللناس، ولا يغتر بماله، ولا يتكبر على الفقراء، ولا يرى نفسه فوق أحد. قال تعالى: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا﴾^(٢) وكان السلف إذا أوتوا مالاً، ازدادوا تواضعاً وخشوعاً لله، وكانوا يدركون أن المال نعمة من الله، وأنه عرض زائل.

ثالثاً: شكر الغني بالاعتدال في الإنفاق:

من شكر الغنى، أن يقتصد العبد في إنفاقه، ولا يسرف، ولا يبخل، بل يكون وسطاً بين ذلك. قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾^(٣) فالإسراف من كفران النعمة، والبخل أيضاً من كفرانها، والاعتدال هو شكر النعمة.

رابعاً: شكر الغني بالاعتراف بأن المال من الله:

من شكر الغنى، أن يعترف العبد بأن المال من الله، ولا ينسبه إلى نفسه، ولا إلى كسبه، ولا إلى حيلته. قال تعالى: ﴿وَمَا بِكُمْ مِّنْ نَّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾^(٤) وكان سليمان عليه السلام يقول: ﴿هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ﴾^(٥)

(١) سورة الإسراء (١٧: ٣٧).

(٢) سورة الزمر (٣٩: ١٠).

(٣) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب الزهد، باب في فضل الفقراء، برقم (٢٣٧٤)، عن عمران بن حصين رضي الله عنه، وقال: "حديث حسن". وضعفه الألباني، ولكن معناه صحيح.

(٤) روي عن بعض السلف أنهم قالوا: "إذا فقدت نعمة، فاشكر الله على ما بقي، ولا تشغل قلبك بما فقد". ينظر: نضرة النعيم، ج ٨، ص ٣١٣١.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الزكاة، باب ما يكره من المسألة للناس، برقم (١٤٧٤)، ومسلم في صحيحه، كتاب الزكاة، باب فضل العفاف، برقم (١٠٤٠)، عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، واللفظ للبخاري.

خامساً: شكر الغني بالخوف من زواله:

من شكر الغنى، أن يخاف العبد من زوال المال، ويستعيز بالله من تحول العافية، ويسأل الله الثبات على الشكر. قال رسول الله ﷺ: "اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ زَوَالِ نِعْمَتِكَ، وَتَحَوُّلِ عَافِيَتِكَ، وَفُجَاءَةِ نِقْمَتِكَ، وَجَمِيعِ سَخَطِكَ" (١).

صبر الفقير على الفقر

من صبر الفقير على فقره، ولم يشتك إلى الناس، ولم يتسخط على قضاء الله، فقد فاز بأجر عظيم. قال رسول الله ﷺ: "طُوبَى لِلْمُسْلِمِينَ، طُوبَى لِلْمُسْلِمِينَ، طُوبَى لِلْمُسْلِمِينَ، الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ وَهُمْ أَذَلَّةٌ، وَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَهُمْ جِيَاعٌ، وَيَنَامُونَ عَلَى الْفُرْشِ وَهُمْ عُرَاةٌ، أُولَئِكَ الَّذِينَ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ" (٢).

ثانياً: قناعة الفقير بما قسم الله له:

من شكر الفقير، أن يقنع بما قسمه الله له، ولا يطمع فيما في أيدي الناس، ولا يحسد الأغنياء على ما آتاهم الله. قال رسول الله ﷺ: "انظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ أَسْفَلَ مِنْكُمْ، وَلَا تَنْظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَكُمْ، فَهُوَ أَجْدَرُ أَنْ لَا تَزْدَرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ" (٣) وكان السلف يقتنعون بالقليل، ويشكرون الله عليه، ولا يطلبون الكثير.

ثالثاً: شكر الفقير على ما بقي:

من شكر الفقير، أن يشكر الله على ما بقي من نعم، ولا ينشغل بما فقد، ويعلم أن الله ما ابتلاه إلا لخير. قال بعض السلف: "إذا فقدت نعمة، فاشكر الله على ما بقي، ولا تشغل قلبك بما فقد."

رابعاً: الدعاء بالغنى الحلال:

من شكر الفقير، أن يدعو الله أن يرزقه من فضله، وأن يغنيه عن سؤال الناس، وأن يجعل له من حيث لا يحتسب. قال رسول الله ﷺ: "لَا تَرَالُ الْمَسْأَلَةُ بِأَحَدِكُمْ حَتَّى يَلْقَى اللَّهَ وَلَيْسَ فِي وَجْهِهِ مُزْعَةٌ لَحْمٍ". فالدعاء بالغنى الحلال من تمام الشكر، لأنه يعني أن العبد لا يرضى بالفقر، بل يطلب من الله العوض والخير.

(١) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب صفة الجنة، باب في صفة دخول الفقراء الجنة، برقم (٢٥٥٩)، عن أبي هريرة رضي الله عنه، وقال: "حديث صحيح". وحسنه الألباني في صحيح الجامع، برقم (٨٠٧٣).

(٢) سورة الرعد

(٣) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب الزهد، باب ما جاء في الزهد في الدنيا، برقم (٢٤٦٥)، عن أنس بن مالك رضي الله عنه، وقال: "حديث حسن صحيح". وابن ماجه في سننه، كتاب الزهد، برقم (٤١٠٥)، عن زيد بن ثابت رضي الله عنه، واللفظ للترمذي.

هل الفقر شر محض؟

هذا سؤال مهم، قد يخطر ببال كثير من الناس: هل الفقر شر محض، أم أنه قد يكون خيراً للإنسان في بعض الأحوال؟ والجواب - كما فهمه السلف - أن الفقر ليس شراً محضاً، بل قد يكون خيراً للإنسان في بعض الأحوال، بحسب حاله وإيمانه.

أولاً: الفقر قد يكون خيراً إذا كان سبباً في القرب من الله:

الفقر قد يكون سبباً في قرب العبد من الله، وتضرعه إليه، وعدم اغتراره بالدنيا. قال رسول الله ﷺ: "يَدْخُلُ فَقَرَاءُ الْمُسْلِمِينَ الْجَنَّةَ قَبْلَ أَغْنِيَائِهِمْ بِخَمْسِمِائَةِ عَامٍ". فهذا الحديث يبين أن الفقراء قد يسبقون الأغنياء إلى الجنة، لأن حسابهم أيسر، وهم أقل انشغالاً بالدنيا.

ثانياً: الفقر قد يكون شراً إذا كان سبباً في البعد عن الله:

الفقر قد يكون شراً إذا كان سبباً في شكوى العبد، وتسخطه على قضاء الله، أو في حمله على الحرام، أو في انشغاله عن طاعة الله بسبب هموم الدنيا. قال تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ﴾ التوبة: ٥٨. فالفقر الذي يتدمر ويشتكى، أو الذي يطلب المال من حرام، فإن فقره يكون شراً له.

ثالثاً: الخير في الرضا بما قسم الله:

الخير كله في الرضا بما قسم الله، سواء كان الفقر أو الغنى. فمن رضي بقضاء الله، كان خيراً له في دنياه وآخرته، ومن سخط، كان شراً له. قال رسول الله ﷺ: "إِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ، فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا، وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السَّخَطُ".

الغنى الحقيقي

الغنى الحقيقي ليس كثرة المال، بل هو غنى القلب والقناعة، وهو الذي يمنح الإنسان السعادة والطمأنينة في الدنيا والآخرة. وقد بين النبي ﷺ ذلك في حديثه المشهور: "لَيْسَ الْغِنَى عَنْ كَثْرَةِ الْعَرَضِ، وَلَكِنَّ الْغِنَى غِنَى النَّفْسِ".
أولاً: غنى النفس:

غنى النفس هو أن يرضى الإنسان بما قسمه الله له، ولا يطمع فيما في أيدي الناس، ولا يحسدهم على ما آتاهم الله. قال رسول الله ﷺ: "مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمِنًا فِي سِرِّهِ، مُعَافًى فِي جَسَدِهِ، عِنْدَهُ قُوَّةٌ يَوْمُهُ، فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا. فَالْقَنَاعَةُ وَالرِّضَا هُمَا سَبَبُ الْغِنَى الْحَقِيقِيِّ".

ثانياً: غنى القلب:

غنى القلب هو أن يمتلئ القلب بالإيمان واليقين والطمأنينة، ولا يلتفت إلى الدنيا، ولا يعلق قلبه بها. قال تعالى: ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ الرعد: ٢٨ فالقلب الذي يذكر الله، يطمئن، ويستغني عن كل شيء، حتى لو كان فقيراً في ظاهر الأمر.

ثالثاً: الغنى الحقيقي هو الغنى بالله:

أعلى درجات الغنى، هو أن يغنى العبد بالله، فلا يطلب غيره، ولا يرجو سواه، ولا يخاف أحداً إلا الله. قال رسول الله ﷺ: "مَنْ كَانَتْ الدُّنْيَا هَمَّهُ، فَرَّقَ اللَّهُ عَلَيْهِ أَمْرَهُ، وَجَعَلَ فَقْرُهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، وَلَمْ يَأْتِهِ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا مَا كُتِبَ لَهُ، وَمَنْ كَانَتْ الْآخِرَةُ هَمَّهُ، جَمَعَ اللَّهُ لَهُ أَمْرَهُ، وَجَعَلَ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ".

الشكر بين الفقر والغنى في واقع العصر

في عصرنا الحالي، نعيش في بحر من النعم المادية، ولكن مع هذه النعم، نجد أن الغفلة عن الشكر هي السمة الغالبة، سواء بين الأغنياء أو الفقراء. فالأغنياء يغفلون عن شكر الغنى، وينفقون أموالهم في المحرمات، ويتكبرون على الفقراء، وينسون فضل الله. والفقراء يتذمرون ويشتكون، ويحسدون الأغنياء، وينسون فضل الله عليهم.

أولاً: مظاهر الغفلة عن شكر الغنى والفقر:

١. ثقافة الاستهلاك والتبذير: انتشار الإسراف والتبذير بين الأغنياء، والإنفاق في المحرمات، ونسيان حق الله في المال.
٢. التفاخر والاستعراض: التباهي بالمال، وإظهار الغنى، والتفاخر بالامتلاكات، والرياء في الإنفاق.
٣. التذمر والشكوى: انتشار التذمر والشكوى بين الفقراء، ونسيان فضل الله، والجزع على ما فقد.
٤. الحسد والطمع: انتشار الحسد والطمع بين الفقراء، وتمني ما في أيدي الناس، وعدم القناعة بما قسم الله.
٥. نسبة النعم إلى النفس: ادعاء الأغنياء أن المال من كسبهم، ونسيان فضل الله، وادعاء الفقراء أنهم محرومون، ونسيان نعم الله عليهم.

ثانياً: كيفية شكر الغنى والفقر في عصرنا:

١. إخراج الزكاة والصدقات: أن يحرص الأغنياء على إخراج زكاة أموالهم، والتصدق على الفقراء والمساكين، والإنفاق في وجوه الخير.
٢. القناعة والرضا: أن يقنع الفقراء بما قسمه الله لهم، ويرضوا بحكمه، ولا يحسدوا الأغنياء.
٣. الاعتدال في الإنفاق: أن يقتصد الأغنياء في إنفاقهم، ولا يسرفوا، ولا ييخلوا، بل يكونوا وسطاً.
٤. التواضع: أن يتواضع الأغنياء للفقراء، ولا يتكبروا عليهم، وأن يشكروا الله على نعمهم.

٥. الشكر العملي : أن يترجم الأغنياء شكرهم إلى أعمال صالحة، وإنفاق في سبيل الله، وإغاثة للملهوفين.
٦. الدعاء بالغنى الحلال : أن يدعو الفقراء الله أن يرزقهم من فضله، وأن يغنيهم عن سؤال الناس، وأن يجعل لهم من حيث لا يحتسبون.
٧. النظر إلى من هو أسفل : أن ينظر الفقراء إلى من هو أقل منهم نعمة، ويشكروا الله على ما بقي لهم.

الموانع النفسية التقليدية للشكر

إن الموانع النفسية التقليدية للشكر تتمثل بالعقبات التي تحول بين العبد وبين شكر الله، وهي الأمراض التي تصيب القلب فتمنعه من رؤية النعم، وتجعله غارقاً في بحر الغفلة والجحود. وقد حذرنا الله منها، ونبّهنا إليها، وأمرنا باجتنابها، ويّين لنا طرق علاجها.

وإن من أعظم ما يثلج الصدر، أن نتأمل كيف كان السلف يتعاملون مع هذه الموانع، وكيف كانوا يحذرون منها، ويجاهدون أنفسهم على تذليلها، ويشكرون الله على توفيقهم لتجاوزها. كانوا يعلمون أن الشكر ليس مجرد كلمة تقال، بل هو جهاد ضد النفس والهوى والشيطان، وأن الطريق إلى الشكر محفوف بالموانع، ولكن من صدق مع الله، أعانه على تجاوزها.

الغفلة عن النعم

الغفلة هي أول الموانع وأعظمها، وهي أن ينسى الإنسان نعم الله عليه، وينشغل عنها بغيرها، ويعتادها حتى لا يشعر بقيمتها. قال تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾^(١) والأمر بالذكر يدل على أن النسيان والغفلة هما الأصل في الإنسان، وأنه يحتاج إلى تذكير دائم.

أولاً: أسباب الغفلة:

١. الانشغال بالدنيا: أن ينشغل الإنسان بجمع المال، والانغماس في المتع، والانشغال بالعمل، حتى ينسى فضل الله عليه.
٢. الاعتياد على النعم: فتصبح أمراً عادياً، ولا يشعر بقيمتها.
٣. كثرة الذنوب: على القلب، تغطيه، وتجعله غافلاً عن نعم الله.
٤. الانشغال بالهموم: تنسيك النعم التي حولك.

ثانياً: علاج الغفلة:

١. كثرة تذكّر النعم: أن يذكر الإنسان من تذكّر نعم الله عليه، ويعدّها، ويتأملها.

(١) سورة آل عمران (١٠٣).

٢. التفكير في خلق الله: أن يتفكر الإنسان في خلق الله، وفي بديع صنعه، وفي نعمه الظاهرة والباطنة.
٣. الذكر والدعاء: أن يكثر الإنسان من ذكر الله، ومن الدعاء، ومن الاستغفار.
٤. مجالسة الصالحين: أن يجالس الإنسان الصالحين الذين يذكرونه بالله، وينبهونه على نعمه.

مقارنة النفس بالآخرين

المقارنة هي آفة العصر، وهي أن يقارن الإنسان نفسه بمن هم في نعمة أكثر منه، فيحزن ويتذمر، وينسى فضل الله عليه. وقد حذرنا النبي ﷺ من ذلك، فقال: "انظروا إلى مَنْ هُوَ أَسْفَلَ مِنْكُمْ، وَلَا تَنْظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَكُمْ، فَهُوَ أَجْدَرُ أَنْ لَا تَزْدَرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ." (١)

أولاً: أسباب المقارنة:

١. النظرة السطحية: أن ينظر الإنسان إلى حياة الآخرين نظرة سطحية، ولا يرى ما وراءها من هموم ومشاكل.
٢. الحسد والطمع: أن يحسد الإنسان ما في أيدي الآخرين، ويطمع في مثله، وينسى فضل الله عليه.
٣. وسائل التواصل الاجتماعي: أن يرى الإنسان ما ينشره الآخرون من مظاهر الرفاهية، فيقارن نفسه بهم، وينسى نعمه.

ثانياً: علاج المقارنة:

١. النظر إلى مَنْ هُوَ أَسْفَلَ: أن ينظر الإنسان إلى مَنْ هُوَ أَقْلُ منه نعمة، ويشكر الله على ما بقي له.
٢. تذكر أن الله يعطي من يشاء: أن يتذكر الإنسان أن الله يوزع الأرزاق بحكمته، وليس كل الناس متساوين.
٣. تذكر الآخرة: أن يتذكر الإنسان أن الدنيا دار ابتلاء، وأن الآخرة هي دار الجزاء.
٤. الابتعاد عن وسائل التواصل: أن يقلل الإنسان من استخدام وسائل التواصل، التي تثير المقارنات.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، باب في القناعة، برقم (٦٤٣٦)، ومسلم في صحيحه، كتاب الزكاة، باب فضل القناعة، برقم (١٠٤٨)، عن أنس بن مالك رضي الله عنه، واللفظ للبخاري.

الاعتیاد على النعمة

الاعتیاد هو أن يعتاد الإنسان النعم، حتى لا يشعر بقيمتها، ويظن أنها أمر عادي، ولا يستحق الشكر. وهذا من أخطر الموانع، لأنه يقتل الشعور بالنعم، ويمنع القلب من التذلل لله.

أولاً: أسباب الاعتیاد:

١. طول العهد بالنعم: أن يعيش الإنسان في النعم فترة طويلة، حتى تصبح عادة، ولا يشعر بقيمتها.
٢. قلة التفكير: أن يقل تفكر الإنسان في نعم الله، ولا يتأملها، فيعتادها ولا يشعر بها.

٣. الانشغال بالمستقبل: أن ينشغل الإنسان بالمستقبل، ويخطط له، وينسى النعم الحالية.

ثانياً: علاج الاعتیاد:

١. تذكر أن النعم زائلة: أن يتذكر الإنسان أن النعم ليست دائمة، وقد تزول في أي لحظة.
٢. تذكر أن النعم من الله: أن يتذكر الإنسان أن النعم من الله، وأنه يستحق الشكر عليها.
٣. التفكير في النعم: أن يكثر الإنسان من التفكير في نعم الله، والتأمل فيها، وشكر الله عليها.
٤. تخيل فقد النعم: أن يتخيل الإنسان فقد النعم، ليشعر بقيمتها، فيشكر الله عليها.

الطمع وعدم القناعة

الطمع هو أن يطلب الإنسان ما ليس عنده، ولا يرضى بما قسمه الله له، وهذا يمنعه من الشعور بالنعم، ويجعله دائم التذمر والشكوى. قال رسول الله ﷺ: "لَوْ أَنَّ لِابْنِ آدَمَ وَادِيًا مِنْ ذَهَبٍ، لَأَحَبَّ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَادِيَانِ، وَلَنْ يَمْلَأَ فَاهُ إِلَّا التُّرَابَ، وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ تَابَ."

أولاً: أسباب الطمع:

١. حب الدنيا :أن يحب الإنسان الدنيا، ويطمع في جمع المال، ولا يكتفي بما قسمه الله له.
 ٢. مقارنة النفس بالآخرين :أن يقارن الإنسان نفسه بالأغنياء، ويطمع في مثل ما عندهم.
 ٣. النظرة المادية :أن ينظر الإنسان إلى الحياة نظرة مادية، ويرى أن السعادة في كثرة المال.
- ثانياً: علاج الطمع:**
١. القناعة :أن يقنع الإنسان بما قسمه الله له، ويرضى به، ويعلم أن الرزق من الله.
 ٢. تذكر الفقراء :أن يتذكر الإنسان الفقراء والمحتاجين، ويشكر الله على ما أعطاه.
 ٣. تذكر الآخرة :أن يتذكر الإنسان الآخرة، وأن السعادة الحقيقية فيها، لا في الدنيا.
 ٤. الدعاء بالقناعة :أن يدعو الإنسان الله أن يرزقه القناعة والرضا.

نسبة الفضل إلى النفس

نسبة الفضل إلى النفس هي أن ينسب الإنسان النعم إلى نفسه، ويظن أنها من كسبه واجتهاده، وينسى فضل الله عليه. وهذا من أخطر الموانع، لأنه يوقع الإنسان في الكبر والغرور، ويمنعه من شكر الله. قال تعالى عن قارون: ﴿إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي﴾ القصص: ٧٨.

أولاً: أسباب نسبة النعم إلى النفس:

١. الكبر والغرور: أن يغتر الإنسان بنفسه، ويرى أنه يستحق النعم بقوته واجتهاده.

٢. نسيان فضل الله: أن ينسى الإنسان فضل الله عليه، ويتناسى أنه كان في ضعف، ثم قواه الله.

٣. التعلق بالأسباب: أن يتعلق الإنسان بالأسباب، وينسى المسبب الحقيقي.

ثانياً: علاج نسبة النعم إلى النفس:

١. تذكر ضعف الإنسان: أن يتذكر الإنسان ضعفه، وأنه لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً إلا بإذن الله.

٢. تذكر فضل الله: أن يذكر الإنسان من تذكر فضل الله عليه، ويعترف بأن كل نعمة منه.

٣. قول "هذا من فضل ربي": أن يردد الإنسان قول سليمان عليه السلام: ﴿هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي﴾ النمل: ٤٠.

٤. الاستغفار: أن يذكر الإنسان من الاستغفار، ويستغفر الله من تقصيره في شكر النعم.

الحسد

الحسد هو تمنى زوال النعمة عن الآخرين، وهو من أخطر الأمراض القلبية، التي تفسد الدين والدنيا، وتمنع صاحبها من شكر الله على نعمه. قال رسول الله ﷺ: "إِيَّاكُمْ وَالْحَسَدَ، فَإِنَّ الْحَسَدَ يَأْكُلُ الْحَسَنَاتِ كَمَا تَأْكُلُ النَّارُ الْحَطَبَ" (١).

أولاً: أسباب الحسد:

١. حب الدنيا: أن يحب الإنسان الدنيا، ويغار من نعم الآخرين.
٢. الكراهية والبغض: أن يكره الإنسان الآخرين، ويبغضهم، فيحسدهم على نعمهم.
٣. الطمع: أن يطمع الإنسان فيما في أيدي الآخرين، ويتمنى زوال نعمهم.

ثانياً: علاج الحسد:

١. الرضا بقضاء الله: أن يرضى الإنسان بقضاء الله، ويعلم أن الله يوزع الأرزاق بحكمته.
٢. الدعاء للمحسود: أن يدعو الإنسان لمن حسده بالبركة والخير، فهذا يطفى نار الحسد.
٣. تذكر الآخرة: أن يتذكر الإنسان الآخرة، وأن الحسد يضيع الحسنات، ويسبب الخسارة.
٤. مجاهدة النفس: أن يجاهد الإنسان نفسه على ترك الحسد، ويصبر على ذلك.

(١) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الأدب، باب في الحسد، برقم (٤٩٠٣)، عن أبي هريرة رضي الله عنه، وحسنه الألباني في صحيح الجامع، برقم (٢٦٤٦).

الإسراف والتبذير

الإسراف هو تجاوز الحد في الإنفاق، والتبذير هو إنفاق المال في غير وجهه، وهما من موانع الشكر، لأنهما يدلان على عدم تقدير النعمة، واستعمالها في غير ما خلقت له. قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ﴾^(١)
أولاً: أسباب الإسراف:

١. حب الدنيا: أن يحب الإنسان الدنيا، وينفق الأموال في متعتها، دون اعتبار للحدود الشرعية.
٢. الاستعراض: أن ينفق الإنسان المال للاستعراض والرياء، وليس لحاجة حقيقية.

٣. اتباع الهوى: أن يتبع الإنسان هواه، وينفق المال في ما يحبه، دون نظر إلى الحلال والحرام.
ثانياً: علاج الإسراف:

١. الاعتدال في الإنفاق: أن يقتصد الإنسان في إنفاقه، ولا يسرف، ولا ييخل، بل يكون وسطاً.
٢. تذكر الفقراء: أن يتذكر الإنسان الفقراء والمحتاجين، ويشكر الله على ما أعطاه.
٣. تذكر الحساب: أن يتذكر الإنسان أن الله سيسأله عن ماله: من أين اكتسبه، وفيه أنفقه.
٤. تحديد الأولويات: أن يحدد الإنسان أولوياته، وينفق المال في ما ينفعه في دينه ودنياه.

(١) سورة الإسراء (٢٧).

استعمال النعمة في المعصية

استعمال النعمة في المعصية هو أن يستعمل الإنسان نعمة الله في معصيته، وهذا من أعظم كفران النعمة، لأنه تحويل لها عن وجهها الذي خلقت له. قال تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ (١) أولاً: صور استعمال النعمة في المعصية:

١. استعمال المال في الحرام: كالإنفاق في الخمر والقمار والمحرمات.
٢. استعمال الصحة في المعصية: كاستعمال الجوارح في النظر إلى المحرمات، والمشي إلى المعاصي.
٣. استعمال الوقت في المعصية: كإضاعة الوقت في اللهو والترفيه، والانشغال عن طاعة الله.
٤. استعمال العلم في المعصية: كاستخدام العلم في تبرير الباطل، أو في إيذاء الناس.

ثانياً: علاج استعمال النعمة في المعصية:

١. تذكر أن النعمة أمانة: أن يتذكر الإنسان أن النعم أمانة من الله، وسيسأل عنها يوم القيامة.
٢. تذكر أن المعصية تسلب النعمة: أن يتذكر الإنسان أن المعصية سبب في زوال النعمة، وحلول العقوبة.
٣. مجاهدة النفس: أن يجاهد الإنسان نفسه على ترك المعاصي، واستعمال النعم في طاعة الله.
٤. التوبة والاستغفار: أن يتوب الإنسان إلى الله، ويستغفره من ذنوبه، ويعزم على عدم العودة إليها.

(١) سورة البقرة (١٦٨).

الجحود ونسيان الماضي

الجحود هو إنكار النعم، ونسيان الماضي هو أن ينسى الإنسان ما كان عليه من ضعف وفقر، فيجحد فضل الله عليه، وينسب النعم إلى نفسه. قال تعالى: ﴿وَمَا بِكُمْ مِّنْ نُّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ * ثُمَّ إِذَا كُشِفَ الضُّرُّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ * لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ﴾ (١) أولاً: أسباب الجحود:

١. الكبر: أن يتكبر الإنسان، ولا يعترف بفضل الله عليه.
٢. النسيان: أن ينسى الإنسان ما كان عليه من ضعف وفقر، ولا يتذكر فضل الله.

٣. اتباع الهوى: أن يتبع الإنسان هواه، وينكر نعم الله، ولا يعترف بها.
ثانياً: علاج الجحود:

١. تذكر الماضي: أن يتذكر الإنسان ما كان عليه من ضعف وفقر، وكيف أنقذه الله.

٢. الاعتراف بفضل الله: أن يعترف الإنسان بفضل الله عليه، ويشكره على نعمه.

٣. التواضع: أن يتواضع الإنسان لله وللناس، ولا يتكبر على نعم الله.

٤. الدعاء بالثبات: أن يدعو الإنسان الله أن يثبتته على الشكر، وألا يجعله من الجاحدين.

(١) سورة النحل (٥٣-٥٥).

موانع العصر الرقمي الجديدة

بعد أن تعرضنا فيما مضى على الموانع النفسية التقليدية للشكر، وتعلمنا كيف نتغلب على الغفلة، والمقارنة، والاعتیاد، والطمع، والحسد، والإسراف، واستعمال النعمة في المعصية، والجحود، ننتقل اليوم إلى مواجهة تحدٍّ جديد وعاصف، لم تعرفه الأجيال السابقة، ولم يخطر ببال أحد من السلف: إنها موانع العصر الرقمي الجديدة.

إن الموانع التي ولدتها وسائل التواصل الاجتماعي، والتقنيات الحديثة، والانفتاح الرقمي الهائل، أصبحت تشكل خطرًا حقيقيًا على شكر النعم، بل على صحة الإيمان واليقين في قلوب الملايين.

إن من أعظم ما يثلج الصدر - رغم قسوة الواقع - أن نعلم أن ديننا الإسلامي صالح لكل زمان ومكان، وأن مبادئه وقواعده قادرة على مواجهة أي تحدٍّ، مهما كان جديدًا ومستحدثًا. فقد قال رسول الله ﷺ: "إِنَّ هَذَا الدِّينَ مَتِينٌ، فَأَوْغِلُوا فِيهِ بِرَفْقٍ" ^(١) فالدين متين، قوي، قادر على مواجهة كل التحديات، ولكننا نحتاج إلى فقه جديد في التعامل مع وسائل العصر، وفهم عميق لكيفية حفظ نعم الله في زمن كثرت فيه الملهيّات، وانتشرت فيه المغريات.

(١) أخرجه البزار في مسنده، عن أنس بن مالك رضي الله عنه، وحسنه الألباني في صحيح الجامع، برقم (٢٠٩٥).

المقارنة البصرية المباشرة

المقارنة البصرية المباشرة هي أخطر ما أتت به وسائل التواصل الاجتماعي، وهي أن يرى الإنسان صورًا وفيديوهات لحياة الآخرين، فيقارن نفسه بهم، ويحس بالنقص، وينسى نعمه. وقد تقدم أن النبي ﷺ نهى عن المقارنة بمن هو فوق، وأمر بالنظر إلى من هو أسفل، فقال: "انظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ أَسْفَلَ مِنْكُمْ، وَلَا تَنْظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَكُمْ، فَهُوَ أَجْدَرُ أَنْ لَا تَزْدَرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ." ولكن وسائل التواصل تفرض علينا النظر إلى من هو فوقنا باستمرار، بل وتصنع لنا صورًا وهمية للحياة المثالية، لا تعكس الواقع أبدًا.

أولاً: خطورة المقارنة البصرية:

١. توليد الشعور بالنقص: أن يشعر الإنسان أنه أقل من غيره، وأن حياته لا قيمة لها، وأن نعمه لا تساوي شيئًا.
٢. النسيان للنعم: أن ينسى الإنسان نعم الله عليه، وينشغل بما عند الآخرين، فيجحد فضل الله.
٣. الحسد والكراهية: أن يحسد الإنسان الآخرين، ويكرههم على ما آتاهم الله، وهذا من أعظم الذنوب.
٤. الضيق والقلق: أن يشعر الإنسان بالضيق والقلق، ويعيش في حالة من التوتر والاضطراب النفسي.

ثانياً: علاج المقارنة البصرية:

١. تذكر أن ما يُنشر ليس الحقيقة الكاملة: أن يتذكر الإنسان أن ما يراه على وسائل التواصل هو مجرد صور مختارة، لا تعكس الواقع كله، فلكل إنسان همومه ومشاكله.
٢. تذكر أن الله يعطي من يشاء بحكمته: أن يتذكر الإنسان أن الله يوزع الأرزاق بحكمته، وليس كل الناس متساوين، وأن ما عند الآخرين لا ينقص من رزقه.

٣. الابتعاد عن وسائل التواصل بقدر الإمكان : أن يقلل الإنسان من استخدام وسائل التواصل ، ويحدد وقتاً محدداً لها، ولا يسمح لها بسرقة وقته وقلبه.

٤. تذكر الآخرة : أن يتذكر الإنسان أن الدنيا دار ابتلاء، وأن الآخرة هي دار الجزاء، وأن ما عند الله خير وأبقى.

الاستعراض والرياء الرقمي

الاستعراض والرياء الرقمي هما أن يُظهر الإنسان نعمه على وسائل التواصل، ليراه الناس، ويُمدح، ويُعجب به، وهذا من أعظم موانع الشكر، لأنه يحول الشكر من عبادة لله إلى استعراض للناس. وقد قال رسول الله ﷺ: "إِنَّ أَخَوْفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ الشُّرْكَ الْأَصْغَرُ"، قالوا: وما الشرك الأصغر يا رسول الله؟ قال: "الرياء"^(١).

أولاً: خطورة الاستعراض الرقمي:

١. فساد النية: أن يفسد الإنسان نيته في شكر النعم، فيشكر ليُرى، لا لوجه الله، وهذا يبطّل الأجر.
٢. الغرور: أن يغتر الإنسان بنعمه، ويتكبر على الناس، ويرى نفسه فوقهم.
٣. الحسد: أن يثير حسد الآخرين، فيتمنون زوال نعمته، وهذا قد يكون سبباً في زوالها.
٤. الجحود: أن ينسى الإنسان أن النعم من الله، وينسبها إلى نفسه، فيجحد فضل الله.

ثانياً: علاج الاستعراض الرقمي:

١. إخلاص النية لله: أن يخلص الإنسان النية لله في كل عمل، ولا يريد إلا وجهه، ولا يطلب مدح الناس.
٢. إخفاء النعم: أن يخفي الإنسان نعم الله عليه، ولا يُظهرها للناس، إلا إذا كان في ذلك مصلحة شرعية، كتشجيع الآخرين على الخير.
٣. تذكر أن الله هو المعطي: أن يتذكر الإنسان أن الله هو المعطي، وأنه لا يملك نعمه لنفسه، بل هي أمانة عنده.
٤. الدعاء بالخلاص من الرياء: أن يدعو الإنسان الله أن يخلصه من الرياء، وأن يجعل عمله خالصاً لوجهه.

(١) أخرجه أحمد في مسنده، برقم (٢٣١٥٣)، عن محمود بن لبيد رضي الله عنه، وصححه الألباني في صحيح الجامع، برقم (١١٣٢).

ثقافة الشكوى

ثقافة الشكوى هي أن يشتكي الإنسان من نعم الله، ويتذمر من أحواله، وينشر شكواه على وسائل التواصل، بدلاً من أن يشكر الله على نعمه. وقد قال رسول الله ﷺ: "لَا يَشْكُرُ اللَّهُ مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ" ^(١). فالشكوى من النعم من أعظم كفرانها، وهي تنتشر بشكل كبير في عصرنا، حيث أصبح الناس يشكون من كل شيء: من المال، من الصحة، من العمل، من العلاقات، وينسون فضل الله عليهم.

أولاً: خطورة ثقافة الشكوى:

١. جحود النعم: أن يجحد الإنسان النعم، ويشتكي منها، وينسى فضل الله عليه.
٢. نشر السلبية: أن ينشر الإنسان السلبية بين الناس، ويؤثر عليهم سلباً، ويجعلهم يتذمرون أيضاً.
٣. النسيان لفضل الله: أن ينسى الإنسان فضل الله عليه، ولا يتذكر النعم التي أنعم بها عليه.
٤. الضيق والقلق: أن يشعر الإنسان بالضيق والقلق، ويعيش في حالة من التذمر الدائم.

ثانياً: علاج ثقافة الشكوى:

١. تذكر النعم: أن يكثر من تذكر النعم، ويعددها، ويشكر الله عليها.
٢. الشكر بدل الشكوى: أن يستبدل الإنسان الشكوى بالشكر، ويحمد الله على نعمه، ويذكر فضله.
٣. النظر إلى من هو أسفل: أن ينظر الإنسان إلى من هو أقل منه نعمة، ويشكر الله على ما بقي له.
٤. كتمان الشكوى: أن يكتُم الإنسان شكواه، ولا ينشرها بين الناس، إلا إذا كان في ذلك مصلحة شرعية، كطلب المساعدة.

(١) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الأدب، باب في شكر المعروف، برقم (٤٨١١).

تحويل النعم إلى سلع

التسليع هو تحويل النعم إلى سلع مادية، يفقدها قدسيتها، ويجعلها مجرد أدوات للاستهلاك والتباهي، بدلاً من أن تكون أسباباً للشكر والتقرب إلى الله. وهذا من أخطر موانع الشكر في عصرنا، حيث أصبح الناس ينظرون إلى النعم نظرة مادية بحتة، وينسون أنها من الله، ويرونها حقاً مكتسباً لهم.

أولاً: خطورة التسليع:

١. فقدان القدسية: أن يفقد الإنسان الشعور بأن النعم من الله، ويصبح ينظر إليها نظرة مادية بحتة.
٢. الاستهلاك المفرط: أن يستهلك الإنسان النعم استهلاكاً مفرطاً، ولا يشبع منها، ولا يشكر الله عليها.
٣. نسبة النعم إلى النفس: أن ينسب الإنسان النعم إلى نفسه، ولا يعترف بأنها من الله.
٤. الغفلة عن الآخرة: أن يغفل الإنسان عن الآخرة، وينشغل بالدنيا، ويظن أن السعادة في المال والمتعة.

ثانياً: علاج التسليع:

١. تذكر أن النعم من الله: أن يتذكر الإنسان أن النعم من الله، وأنها أمانة عنده، وليست ملكاً له.
٢. استعمال النعم في طاعة الله: أن يستعمل الإنسان النعم في طاعة الله، لا في معصيته، وفيما يقربه إلى الله، لا فيما يبعده عنه.
٣. الاعتدال في الاستهلاك: أن يقتصد الإنسان في استهلاك النعم، ولا يسرف، ولا ييخل، بل يكون وسطاً.
٤. تذكر الآخرة: أن يتذكر الإنسان الآخرة، وأن السعادة الحقيقية فيها، لا في الدنيا.

صناعة الشعور بالنقص

صناعة الشعور بالنقص هي أن يُشعر الإنسان نفسه بالنقص، بسبب ما يراه من صور الآخرين، أو بسبب ما يُقال له من إichاءات سلبية، وهذا من أخطر موانع الشكر، لأنه يمنع الإنسان من رؤية نعمه، ويجعله دائم التذمر والشكوى.

أولاً: خطورة صناعة الشعور بالنقص:

١. جحود النعم: أن يجحد الإنسان النعم، وينكر فضل الله عليه، ويشعر أنه لا يملك شيئاً.
٢. الاكتئاب والقلق: أن يصاب الإنسان بالاكتئاب والقلق، ويعيش في حالة من الضيق الدائم.
٣. الحسد والكراهية: أن يحسد الإنسان الآخرين، ويكرههم على ما آتاهم الله.
٤. الانشغال عن الآخرة: أن ينشغل الإنسان عن الآخرة، ويركز على الدنيا، ويظن أن السعادة فيما عند الناس.

ثانياً: علاج صناعة الشعور بالنقص:

١. تذكر النعم: أن يكثر الإنسان من تذكر النعم، ويعدها، ويشكر الله عليها.
٢. النظر إلى من هو أسفل: أن ينظر الإنسان إلى من هو أقل منه نعمة، ويشكر الله على ما بقي له.
٣. تذكر أن الدنيا دار ابتلاء: أن يتذكر الإنسان أن الدنيا دار ابتلاء، وأن الآخرة هي دار الجزاء.
٤. الابتعاد عن وسائل التواصل: أن يقلل الإنسان من استخدام وسائل التواصل، التي تثير الشعور بالنقص.
٥. الدعاء بالرضا: أن يدعو الإنسان الله أن يرضيه، وأن يجعله من الشاكرين.

تطبيقات عملية للتغلب على الموانع الرقمية

بعد أن عرفنا الموانع الرقمية الجديدة، وكيف تؤثر على شكر النعم، نقدم هنا تطبيقات عملية تساعدنا على التغلب عليها، والحفاظ على شكر الله في زمن وسائل التواصل:

أولاً: تحديد وقت لاستخدام وسائل التواصل:

أن يحدد الإنسان وقتاً محدداً لاستخدام وسائل التواصل، ولا يسمح لها بسرقة وقته وقلبه، ويجعل استخدامها في أوقات محددة، كبعد الصلوات، أو في أوقات الفراغ القصيرة.

ثانياً: متابعة المحتوى النافع:

أن يتابع الإنسان المحتوى النافع الذي يذكره بالله، ويزيد إيمانه، وينبئه على نعم الله، ويتعدى عن المحتوى التافه الذي يضيع الوقت، ويسبب المقارنات والشعور بالنقص.

ثالثاً: الشكر بدل الشكوى:

أن يستبدل الإنسان الشكوى بالشكر، ويحمد الله على نعمه، ويذكر فضله، ولا ينشر الشكوى على وسائل التواصل، بل ينشر الشكر والثناء على الله.

رابعاً: إخفاء النعم:

أن يخفي الإنسان نعم الله عليه، ولا يظهرها للاستعراض والرياء، إلا إذا كان في ذلك مصلحة شرعية، كتشجيع الآخرين على الخير.

خامساً: الدعاء بالثبات:

أن يكثّر الإنسان من الدعاء بالثبات على الشكر، والحفاظ على النعم، والابتعاد عن الموانع الرقمية التي تفسد الشكر.

حفظ النعم من الزوال

لماذا الشكر هو الضامن الأكبر لحفظ النعمة؟

إن حفظ النعم من الزوال .فهو الباب الذي يجيب عن السؤال الأهم: كيف نحافظ على ما أنعم الله به علينا من نعم؟ وكيف نقيها من الزوال؟ وكيف نضمن استمراريتها وبركتها؟

وإن من أعظم ما يثلج الصدر، أن نعلم أن الله سبحانه قد جعل الشكر هو الضامن الأكبر لحفظ النعم، بل جعله سبباً في زيادتها وبركتها. قال تعالى: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ إبراهيم: ٧. فهذه الآية هي القاعدة الذهبية التي تجمع بين الشكر والزيادة، وبين الكفر والعذاب. فالشكر ليس مجرد عبادة، بل هو حافظ للنعم، ومانع من زوالها، وجالب للمزيد منها.

وقد قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: "إنَّ النعمة موصولة بالشكر، والشكر متعلق بالمزيد، وهما مقرونان في قرن، فلن ينقطع المزيد من الله حتى ينقطع الشكر من العبد" فهذه الكلمة العظيمة تبين أن النعمة والشكر متلازمان، لا ينفصل أحدهما عن الآخر، فالنعمة تدعو إلى الشكر، والشكر يدعو إلى المزيد، وهكذا في دائرة متصلة من الخير والبركة.

الشكر سبب لحفظ النعمة وزيادتها

لقد وعد الله الشاكرين بالزيادة، وأخبر أن الشكر هو سبب حفظ النعم من الزوال، وأن الكفران هو سبب زوالها وحلول العقاب. وقد ضرب الله الأمثال في كتابه للأمم التي شكرت فزادها، والأمم التي كفرت فسلبها.

أولاً: الشكر يزيد النعم:

قال تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ إبراهيم: ٧. فهذه الآية هي الضمان الإلهي للشاكرين، بأنهم سيُزادون من فضل الله، وستُضاعف لهم النعم، وستُبارك لهم فيها.

وقد قال ابن كثير رحمه الله في تفسير هذه الآية: "لئن شكرتم نعمتي عليكم لأزيدنكم منها، ولئن كفرتم أي كفرتم النعم وسترتموها وجحدتموها إن عذابي لشديد، وذلك بسلبها عنهم وعقابه إياهم على كفرها" (١). فهذا التفسير يبين أن الشكر سبب للزيادة، وأن الكفر سبب للسلب والعذاب.

ثانياً: الشكر يحفظ النعم من الزوال:

قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾ (٢). فالمصائب التي تصيب الإنسان، إنما هي بسبب ذنوبه وكفرانه، ومن أعظم الكفران ترك الشكر على النعم. قال الحسن البصري رحمه الله: "ما من نعمة إلا وبها حاجة إلى الشكر، وما من بلاء إلا وبها حاجة إلى الصبر، فمن جمع بين الشكر والصبر فقد بلغ أعلى الدرجات."

ثالثاً: الشكر سبب للبركة في النعم:

الشكر لا يزيد النعم كمًّا فقط، بل يزيدها بركة، فالنعمة القليلة قد تكفي صاحبها، وتكون سبباً في سعادته، والنعمة الكبيرة قد لا تكفيه، وتكون سبباً في شقائه، بحسب شكره أو كفره. قال رسول الله ﷺ: "لَا تَزُولُ قَدَمَا ابْنِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ خَمْسٍ: عَنْ عُمْرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ، وَعَنْ شَبَابِهِ فِيمَا أَبْلَاهُ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَا أَنْفَقَهُ، وَعَنْ عِلْمِهِ مَاذَا عَمِلَ بِهِ" فالبركة في النعم هي ثمرة الشكر عليها.

(١) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، تحقيق محمد حسين شمس الدين، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٩هـ)، ج ٤، ص ٥١٠، عند تفسير آية سورة إبراهيم (٧).
(٢) سورة الشورى (٣٠).

كيف يكون الشكر سبباً في حفظ النعم؟

قد يتساءل البعض: كيف يكون الشكر سبباً في حفظ النعم؟ وما هي الآلية التي يعمل بها الشكر كضامن لحفظ النعم من الزوال؟ والجواب - كما فهمه السلف - أن الشكر يعمل من خلال عدة آليات:

أولاً: الشكر يحفظ النعم بسبب امتثال أمر الله:

الله سبحانه هو الذي أنعم على عباده، وهو الذي أمرهم بشكره، فمن امتثل أمره، استحق المزيد، ومن عصى، استحق العقوبة بسلب النعمة. قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾ (١)

ثانياً: الشكر يحفظ النعم لأنه يمنع المعاصي:

المعاصي هي السبب الأعظم في زوال النعم، والشكر يمنع من الوقوع في المعاصي، لأن الشاكر يستعمل النعم في طاعة الله، ويجتنب استعمالها في معصيته. قال تعالى: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (٢)

ثالثاً: الشكر يحفظ النعم لأنه يورث الرضا والقناعة:

الشاكر راضٍ بقضاء الله، قنوع بما قسمه له، فلا يطمع فيما في أيدي الناس، ولا يحسدهم على ما آتاهم الله، وهذا الرضا يمنع من الوقوع في الحرام، ومن التذمر الذي يزيل النعم. قال رسول الله ﷺ: "أَرْضٌ بِمَا قَسَمَ اللَّهُ لَكَ تَكُنْ أَغْنَى النَّاسِ".

رابعاً: الشكر يحفظ النعم لأنه يورث التواضع:

الشاكر متواضع لله وللناس، لا يغتر بنفسه، ولا يتكبر، وهذا التواضع يمنع من الغرور الذي يزيل النعم. قال رسول الله ﷺ: "مَنْ تَوَاضَعَ لِلَّهِ رَفَعَهُ اللَّهُ".

خامساً: الشكر يحفظ النعم لأنه يفتح باب المزيد:

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: "إِنَّ النِّعْمَةَ مَوْصُولَةٌ بِالشُّكْرِ، وَالشُّكْرُ مُتَعَلِّقٌ بِالمَزِيدِ، وَهُمَا مَقْرُونَانِ فِي قَرْنٍ، فَلَنْ يَنْقُطَعَ المَزِيدُ مِنَ اللَّهِ حَتَّى يَنْقُطَعَ الشُّكْرُ مِنَ الْعَبْدِ" (٣).

(١) سورة النمل (٤٠).

(٢) سورة الروم (٤١).

(٣) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب الزهد، باب في القناعة، برقم (٢٣٤٦)، عن عبيد الله بن محسن، وصححه الألباني في صحيح الجامع، برقم (٥٩٦٤).

نماذج من حفظ النعم بالشكر

ضرب لنا القرآن الكريم نماذج عديدة للأمم التي شكرت فحفظت نعمها، والتي كفرت فسُلبت نعمها. وهذه النماذج هي دروس وعبر لنا، نتعلم منها كيف نحافظ على نعم الله علينا.

أولاً: نموذج سليمان عليه السلام:

كان سليمان عليه السلام من أعظم الشاكرين، وقد قال عندما رأى عرش بلقيس مستقراً عنده: ﴿هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ﴾ فكان شكره سبباً في حفظ نعمه، واستمرار ملكه، ودوام فضل الله عليه.

ثانياً: نموذج داود عليه السلام:

أمر الله داود عليه السلام بالشكر العملي فكان شكره بالعمل، وباستعمال النعم في طاعة الله، وهذا كان سبباً في حفظ نعمه، واستمرار ملكه ونبوته.

ثالثاً: نموذج قوم سبا:

ضرب الله مثلاً لقوم سبا، الذين كانت لهم نعم عظيمة، ولكنهم كفروها، فسلبها الله منهم. قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ * فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتِي أُكُلِ خَمْطٍ وَأَثَلٍ وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ * ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ﴾ (١).

علامات زوال النعم

قد لا يزول النعم فجأة، بل قد يكون زوالها تدريجياً، وتظهر له علامات تدل عليه، فإذا عرفها العبد، استطاع أن يعالجها قبل أن تتفاقم، ويعود إلى الله بالتوبة والاستغفار.

أولاً: نقصان البركة:

من أولى علامات زوال النعم، أن يفقد الإنسان البركة فيها، فالنعمة تصبح قليلة لا تكفي، ولا تشبع، ولا تنفع. قال رسول الله ﷺ: "إِنَّ الْعَبْدَ لَيُحْرَمُ الرِّزْقَ بِالذَّنْبِ يُصِيبُهُ" (٢).

(١) سورة سبا (١٥-١٧).

(٢) أخرجه أحمد في مسنده، برقم (١٥٢٧)، وابن ماجه في سننه، كتاب الزهد، باب ما جاء في الذنوب التي تحرم الرزق، برقم (٤٠١٩)، عن أبي الدرداء رضي الله عنه، وحسنه الألباني في صحيح الجامع، برقم (١٤٧٥).

ثانياً: عدم الشعور بالنعمة:

من علامات زوال النعم، أن يفقد الإنسان الشعور بها، ويعتادها حتى لا يشعر بقيمتها، وهذا الشعور هو مقدمة لزوالها. قال تعالى: ﴿وَلَيْنَ أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَكَفُورٌ﴾ (١)

ثالثاً: تحول النعمة إلى نقمة:

من علامات زوال النعم، أن تتحول النعمة إلى نقمة، فيصبح المال سبباً في الشقاء، والصحة سبباً في المعصية، والأهل سبباً في الهم والغم. قال تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ التغابن: ١٥. 351

رابعاً: كثرة الهموم والغموم:

من علامات زوال النعم، أن تكثر هموم الإنسان وغمومه، حتى وهو غارق في النعم، وهذا يدل على أن النعم بدأت تفقد بركتها. قال رسول الله ﷺ: "مَنْ كَانَتِ الدُّنْيَا هَمَّهُ، فَرَّقَ اللَّهُ عَلَيْهِ أَمْرَهُ، وَجَعَلَ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، وَلَمْ يَأْتِهِ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا مَا كُتِبَ لَهُ. 450 "

(١) سورة هود (٩).

كيف نحافظ على نعمنا بالشكر؟

بعد أن عرفنا أن الشكر هو الضامن الأكبر لحفظ النعم، وكيف يعمل على حفظها، نقدم هنا وصايا عملية تساعدنا على المحافظة على نعم الله علينا، وحفظها من الزوال:

أولاً: دوام شكر النعم في كل صباح ومساء:

أن نكثر من قول: "اللَّهُمَّ مَا أَصْبَحَ بِي مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنْكَ وَحَدَّكَ، لَا شَرِيكَ لَكَ، فَلَكَ الْحَمْدُ وَلَكَ الشُّكْرُ"^(١) فهذا الدعاء يعترف بأن النعم من الله، ويشكره عليها، وهذا الاعتراف هو أساس الشكر، وهو سبب في حفظ النعم.

ثانياً: استعمال النعم في طاعة الله:

أن نستعمل النعم في طاعة الله، ولا نستعملها في معصيته، فالمال ينفق في سبيل الله، والصحة تستغل في العبادة، والعلم يستخدم في الدعوة إلى الله. قال تعالى: ﴿وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَّ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ﴾ المنافقون: ١٠.

ثالثاً: الحذر من المعاصي التي تزيل النعم:

أن نحذر من المعاصي، خاصة الكبائر، فإنها سبب في زوال النعم، وحلول العقوبات. قال تعالى: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ الروم: ٤١.

رابعاً: الدعاء بحفظ النعم:

أن ندعو الله أن يحفظ علينا نعمه، وأن يثبتنا على الشكر، وألا يجعلنا من الجاحدين. كان النبي ﷺ يقول: "اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ زَوَالِ نِعْمَتِكَ، وَتَحَوُّلِ عَافِيَتِكَ، وَفُجَاءَةِ نِقْمَتِكَ، وَجَمِيعِ سَخَطِكَ."

خامساً: التوبة والاستغفار من الذنوب:

أن نكثر من التوبة والاستغفار، فإنهما يمحوان الذنوب، ويستدران الرحمت، ويحفظان النعم. قال تعالى: ﴿وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ﴾^(٢)

سادساً: الاعتراف بأن النعم من الله:

(١)
(٢)

أن نعترف دائماً بأن النعم من الله، ولا ننسبها إلى أنفسنا، ولا إلى الأسباب.
قال تعالى: ﴿وَمَا بِكُمْ مِّنْ نَّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾ النحل: ٥٣.

سابعاً: الشكر العملي بالصدقة والإنفاق:

أن نترجم شكرنا إلى أعمال صالحة، كالصدقة، والإنفاق، وإغاثة الملهوفين، وإعانة المحتاجين. قال رسول الله ﷺ: " مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ ^(١)

(١)

المعاصي وأثرها في النعم

إن السبب الأكبر في زوال النعم وخرابها المعاصي والذنوب. فهي السموم التي تنخر في جذور النعم، فتُذبلها، وتُحرمها البركة، وتجعلها سبباً في الشقاء بدلاً من السعادة، وفي النعمة بدلاً من النعمة.

وإن من أعظم ما يثلج الصدر، أن نعلم أن الله سبحانه قد حذّرنا من المعاصي، وبيّن لنا أثرها السيئ على النعم، وأمرنا باجتنابها، ووعدنا على ذلك بالخير والبركة. قال تعالى: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾^(١) فهذه الآية تبيّن أن الفساد في البر والبحر إنما هو بسبب ذنوب الناس، وأن الله يذيقهم بعض عاقبة أعمالهم، لعلهم يرجعون عنه ويتوبون.

وقد كان السلف يخافون من المعاصي خوفاً شديداً، وكانوا يدركون أن الذنب الواحد قد يزيل نعمة عظيمة، ويجلب بلاءً كبيراً. قال الحسن البصري رحمه الله: "إِنَّ الْعَبْدَ لِيُذْنِبَ الذَّنْبَ فَيُحْرَمَ بِهِ رِزْقًا كَانَ يَأْتِيهِ، وَيُحْرَمَ بِهِ عِبَادَةٌ كَانَ يُوفَّقُ لَهَا"^(٢). وكانوا يقولون: "مَا نَقَصَتْ نِعْمَةٌ إِلَّا بِذَنْبٍ، وَلَا زَادَتْ نِعْمَةٌ إِلَّا بِشُكْرِ"^(٣).

العلاقة بين المعاصي وزوال النعم

إن العلاقة بين المعاصي وزوال النعم علاقة طردية واضحة، فكلما زادت الذنوب، زاد زوال النعم، وكلما قلّت الذنوب، بقيت النعم وازدادت. وقد بيّن الله هذه العلاقة في آيات كثيرة، وجعلها سنة كونية لا تتخلف، قال تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾^(٤). فهذه الآية هي القاعدة الذهبية في باب زوال النعم: أن الله لا يزيل نعمة عن قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم من الإيمان إلى الكفر، ومن الشكر إلى الكفران، ومن الطاعة إلى المعصية.

(١) سورة الروم (٤١).

(٢) روي عن الحسن البصري رحمه الله أنه قال: «إِنَّ الْعَبْدَ لِيُذْنِبَ الذَّنْبَ فَيُحْرَمَ بِهِ رِزْقًا كَانَ يَأْتِيهِ، وَيُحْرَمَ بِهِ عِبَادَةٌ كَانَ يُوفَّقُ لَهَا». انظر نضرة النعيم، ج ٨، ص ٣١٣٧.

(٣) قول بعض السلف: «مَا نَقَصَتْ نِعْمَةٌ إِلَّا بِذَنْبٍ، وَلَا زَادَتْ نِعْمَةٌ إِلَّا بِشُكْرِ». انظر نضرة النعيم، ج ٨، ص ٣١٣٧.

(٤) سورة الأنفال (٥٣).

أولاً: المعاصي تزيل النعم:

قال تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ (١) فهذه الآية تبين أن كفران النعم -وهو من أعظم الذنوب - سبب في زوال الأمن والرزق، وحلول الجوع والخوف مكانهما.

ثانياً: المعاصي تحرم البركة:

قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (٢) فالإيمان والتقوى يجلبان البركات، والتكذيب والمعاصي يمنعانهما، ويجلبان العقوبات.

ثالثاً: المعاصي تحل العقوبات:

قال تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾ (٣) فالمصائب التي تصيب الإنسان، إنما هي بسبب ذنوبه، والله يعفو عن كثير من الذنوب، فلا يعاقب عليها في الدنيا، بل يدخرها للآخرة.

(١) سورة النحل (١١٢).

(٢) سورة الأعراف (٩٦).

(٣) سورة الشورى (٣٠).

أنواع المعاصي التي تزيل النعم

المعاصي كثيرة ومتنوعة، وكلها تزيل النعم، ولكن هناك أنواع معينة لها تأثير أشد على النعم، وهي التي حذر منها السلف، وحذر منها القرآن والسنة.

أولاً: الكفر والشرك:

الكفر والشرك هما أعظم الذنوب، وهما سبب في زوال النعم كلها، وفي حلول العقوبات العظيمة. قال تعالى: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾^(١) وقال: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾^(٢)

ثانياً: كفران النعم:

كفران النعم هو جحدها، وعدم الاعتراف بأنها من الله، واستعمالها في معصيته. وهذا من أعظم الذنوب التي تزيل النعم، كما قال تعالى عن قوم سبأ: ﴿ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ﴾^(٣)

ثالثاً: الظلم والبغي:

الظلم هو وضع الشيء في غير موضعه، والبغي هو التعدي على حقوق الناس. وهما من أعظم الذنوب التي تزيل النعم، وتحل العقوبات. قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْقُرَىٰ أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا﴾^(٤)

رابعاً: الزنا والفواحش:

الزنا والفواحش من أعظم الذنوب، وهي سبب في زوال النعم، وحلول العقوبات، كالأوبئة والمجاعات. قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزَّانَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾^(٥) وقال رسول الله ﷺ: "لَمْ تَظْهَرِ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطُّ حَتَّى يُعْلِنُوا بِهَا إِلَّا فَشَا فِيهِمُ الطَّاغُوتُ وَالْأَوْجَاعُ الَّتِي لَمْ تَكُنْ مَضَتْ فِي أَسْلَافِهِمُ الَّذِينَ مَضَوْا"^(٦).

(١) سورة الزمر (٦٥).

(٢) سورة النساء (١٣٦).

(٣) سورة سبأ (١٧).

(٤) سورة الكهف (٥٩).

(٥) سورة الإسراء (٣٢).

(٦) أخرجه ابن ماجه في سننه، كتاب الفتن، باب عقوبة أهل المعاصي، برقم (٤٠١٩)، عن أبي هريرة رضي الله عنه، وحسنه الألباني في صحيح الجامع، برقم (٣٢١٧).

خامساً: أكل المال بالباطل:

أكل المال بالباطل، كالربا، والغش، والسرقة، والرشوة، من أعظم الذنوب التي تنزل البركة من المال، وتجلب العقوبات. قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ﴾ ^(١) وقال رسول الله ﷺ: "إِنَّ الرِّبَا وَإِنْ كَثُرَ فَإِنَّ عَاقِبَتَهُ تَصِيرُ إِلَى قُلٍّ" ^(٢).

سادساً: القطيعة وقطيعة الرحم:

قطيعة الرحم من أعظم الذنوب، وهي سبب في زوال النعم، وحلول العقوبات، وعدم استجابة الدعاء. قال رسول الله ﷺ: "لَا تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَوْ لَا أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟ أَفَشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ" ^(٣).

(١) سورة النساء (٢٩).
(٢) أخرجه ابن ماجه في سننه، كتاب التجارات، باب الربا، برقم (٢٢٧٧)، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، وحسنه الألباني في صحيح الجامع، برقم (١٤٧٥).
(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب بيان أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون، برقم (٥٤)، عن أبي هريرة رضي الله عنه، واللفظ له.

أثر المعاصي على أنواع النعم

المعاصي لا تؤثر على نوع واحد من النعم، بل تؤثر على جميع أنواع النعم، الدينية والدنيوية، الظاهرة والباطنة.

أولاً: أثر المعاصي على نعمة الإيمان:

المعاصي تضعف الإيمان، وتقلل اليقين، وتزيل حلاوة الطاعة من القلب، وتجعل العبد بعيداً عن الله. قال تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾^(١) فالذنوب تُرانُ على القلوب، فتصدها عن الخير، وتجعلها غافلة عن ذكر الله.

ثانياً: أثر المعاصي على نعمة الصحة:

المعاصي سبب في الأمراض والأسقام، سواء الأمراض الجسدية أو النفسية. قال رسول الله ﷺ: "مَا أَنْزَلَ اللَّهُ دَاءً إِلَّا أَنْزَلَ لَهُ شِفَاءً"^(٢). ولكن الذنوب قد تكون سبباً في الحرمان من الشفاء، أو في زيادة المرض.

ثالثاً: أثر المعاصي على نعمة المال:

المعاصي تزيل البركة من المال، وتجعله قليلاً لا ينفع، أو تجعله سبباً في الشقاء والهم. قال رسول الله ﷺ: "إِنَّ الرِّزْقَ لَا يَنْقُصُهُ عَبْدٌ بِالْمَعْصِيَةِ، وَلَكِنَّ اللَّهَ يَصْرِفُهُ عَنْهُ كَيْفَ يَشَاءُ"^(٣).

رابعاً: أثر المعاصي على نعمة الأمن:

المعاصي سبب في زوال الأمن، وحلول الخوف والقلق. قال تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ النحل: ١١٢

خامساً: أثر المعاصي على نعمة الوقت: المعاصي تضيع الوقت، وتشغل الإنسان عن الآخرة، وتجعله يندم يوم القيامة. قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا﴾^(٤)

(١) سورة المطففين (١٤).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الطب، باب ما أنزل الله داء إلا أنزل له شفاء، برقم (٥٦٧٨)، عن أبي هريرة رضي الله عنه، واللفظ له.

(٣) روي عن بعض السلف أنهم قالوا: «إِنَّ الرِّزْقَ لَا يَنْقُصُهُ عَبْدٌ بِالْمَعْصِيَةِ، وَلَكِنَّ اللَّهَ يَصْرِفُهُ عَنْهُ كَيْفَ يَشَاءُ». انظر نضرة النعيم، ج ٨، ص ٣١٣٧.

(٤) سورة الفرقان (٢٧).

هدي السلف في الحذر من المعاصي

كان السلف رضي الله عنهم أحرص الناس على اجتناب المعاصي، وكانوا يدركون أن الذنب الواحد قد يزيل نعمة عظيمة، ويجلب بلاءً كبيراً. وقد تركوا لنا وصايا ثمينة.

أولاً: خوفهم من المعاصي:

كان السلف يخافون من المعاصي خوفاً شديداً، وكانوا يبيكون إذا ذكروا الذنوب، وكانوا يستغفرون الله منها في كل وقت. قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "لَوْ أَنَّ رَجُلًا أَذْنَبَ فِي السَّمَاءِ مَا خَشِيتُ عَلَيْهِ، وَلَكِنْ أَخَافُ عَلَيْهِ أَنْ يُذْنِبَ فَيَحْرَمَ التَّوْبَةَ". وقال الحسن البصري رحمه الله: "إِنَّ الْعَبْدَ لَيُذْنِبُ الذَّنْبَ فَيَحْرَمَ بِهِ قِيَامَ اللَّيْلِ، وَصِيَامَ النَّهَارِ" (١).

ثانياً: استغفارهم من الذنوب:

كان السلف يكثرون من الاستغفار، ويستغفرون الله من كل ذنب، صغيراً كان أم كبيراً. قال تعالى: ﴿وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ (٢) وكانوا يقولون: "اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ذُنُوبِي كُلَّهَا، دِقَّهَا وَجَلَّهَا، أَوَّلَهَا وَآخِرَهَا، سِرَّهَا وَعَلَانِيَتَهَا".

ثالثاً: التوبة من الذنوب:

كان السلف يبادرون إلى التوبة من الذنوب، ولا يؤخرونها، وكانوا يعلمون أن التوبة تمحو الذنوب، وتجلب الرحمات، وتحفظ النعم. قال تعالى: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (٣)

رابعاً: الإكثار من الحسنات:

كان السلف يكثرون من الحسنات، لأن الحسنات يذهبن السيئات، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ (٤) وكانوا يقولون: "أَتَّبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحُهَا".

(١) روي عن الحسن البصري رحمه الله أنه قال: «إِنَّ الْعَبْدَ لَيُذْنِبُ الذَّنْبَ فَيَحْرَمُ بِهِ قِيَامَ اللَّيْلِ، وَصِيَامَ النَّهَارِ». انظر حلية الأولياء لأبي نعيم، ج ١، ص ١٢٥.

(٢) سورة النساء (١٠٦).

(٣) سورة النور (٣١).

(٤) سورة هود (١١٤).

كيفية التخلص من أثر المعاصي على النعم

إذا كانت المعاصي سببًا في زوال النعم، فإن التوبة والاستغفار والعمل الصالح هي سبب في عودة النعم، وحفظها من الزوال. وقد وعد الله التائبين بالخير والبركة، فقال: ﴿وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ﴾ (١)

أولاً: التوبة النصوح:

أن يتوب الإنسان إلى الله توبة نصوحًا، يقلع عن الذنب، ويندم على ما فات، ويعزم على عدم العودة إليه. قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ (٢)

ثانيًا: الإكثار من الاستغفار:

أن يكثر الإنسان من الاستغفار، ويقول: "أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ". قال رسول الله ﷺ: "مَنْ لَزِمَ الْإِسْتِغْفَارَ، جَعَلَ اللَّهُ لَهُ مِنْ كُلِّ هَمٍّ فَرْجًا، وَمِنْ كُلِّ ضِيقٍ مَخْرَجًا، وَرَزَقَهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ" (٣).

ثالثًا: الإكثار من الحسنات:

أن يكثر الإنسان من الحسنات، كالصلاة، والصدقة، والصيام، والقرآن، والذكر، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر. قال تعالى: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ هود: ١١٤.

رابعًا: الإكثار من الشكر:

أن يكثر الإنسان من الشكر على النعم، فإن الشكر يحفظ النعم، ويزيدها، ويمنع زوالها. قال تعالى: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ إبراهيم: ٧.

خامسًا: الدعاء بحفظ النعم:

أن يدعو الإنسان الله أن يحفظ عليه نعمه، وألا يجعلها سببًا في شقائه. كان النبي ﷺ يقول: "اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ" (٤).

(١) سورة هود (٣).

(٢) سورة التحريم (٨).

(٣) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الصلاة، باب في الاستغفار، برقم (١٥١٨)، وأحمد في مسنده، برقم (٢٢٣٥٠)، عن ابن عباس رضي الله عنهما، وحسنه الألباني في صحيح الجامع، برقم (١٤٧٥).

(٤) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب الدعوات، باب في دعاء النبي ﷺ، برقم (٣٥١٠)، عن أنس بن مالك رضي الله عنه، وقال: «حديث حسن غريب». وصححه الألباني في صحيح الجامع، برقم (٤٠٠٣).

النعم والفتن

النعم والفتن هي المحطة التي تبين لنا أن النعم - مع أنها عطاء من الله ورحمة منه - قد تكون في الوقت نفسه فتنة واختباراً، يحتاج العبد إلى فقه خاص للتعامل معها، حتى لا تتحول من نعمة إلى نقمة، ومن سبب للقرب إلى سبب للبعد.

وإن من أعظم ما يثلج الصدر، أن نعلم أن الله سبحانه قد أخبرنا في كتابه أن النعم قد تكون فتنة، فقال: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾^(١) وقال: ﴿وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾^(٢) فالخير - وهو النعمة - فتنة كما أن الشر فتنة، وكلاهما اختبار من الله لعباده، ليرى كيف يتصرفون، أيشكرون أم يكفرون، أيصبرون أم يجزعون، أيستعملون النعم في طاعته أم في معصيته.

وقد كان السلف يخافون من فتنة النعم، كما يخافون من فتنة البلاء، بل كانوا أشد خوفاً من النعم، لأنها قد تأتي العبد وهو غافل، فتلهيه عن الآخرة، وتنسيه فضل ربه. قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "مَا خِفْتُ شَيْئًا مَخَافَتِي مِنَ الْغِنَى وَالْفَقْرِ، لَا أَدْرِي أَيُّهُمَا أَشَدُّ عَلَيَّ، وَلَكِنِّي أَخَافُ مِنَ الْغِنَى أَنْ يَفْتِنَنِي"^(٣). وقال بعض السلف: "إِيَّاكُمْ وَالسَّعَةَ، فَإِنَّهُ مَا فُتِنَ أَحَدٌ بِمِثْلِهَا"^(٤).

(١) سورة التغابن (١٥).

(٢) سورة الأنبياء (٣٥).

(٣) روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: «مَا خِفْتُ شَيْئًا مَخَافَتِي مِنَ الْغِنَى وَالْفَقْرِ، لَا أَدْرِي أَيُّهُمَا أَشَدُّ عَلَيَّ، وَلَكِنِّي أَخَافُ مِنَ الْغِنَى أَنْ يَفْتِنَنِي». انظر نضرة النعيم، ج ٨، ص ٣١٣٥.

(٤) قول بعض السلف: «إِيَّاكُمْ وَالسَّعَةَ، فَإِنَّهُ مَا فُتِنَ أَحَدٌ بِمِثْلِهَا». انظر نضرة النعيم، ج ٨، ص ٣١٣٥.

كيف تكون النعمة فتنة؟

قد يتساءل البعض: كيف تكون النعم - التي هي عطاء من الله ورحمة - فتنة؟ والجواب - كما فهمه السلف - أن النعم قد تكون فتنة من عدة وجوه:

أولاً: النعمة قد تلهي عن ذكر الله:

النعمة قد تشغل الإنسان عن ذكر الله، وعن العبادة، وعن الآخرة، فتصبح حجاباً بينه وبين ربه. قال تعالى: ﴿الْهَآكُمُ التَّكَاثُرُ * حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾ التكاثر: ١-٢^(١). فالتكاثر في المال والولد ألهي الناس عن ذكر الله، حتى أتاهم الموت.

ثانياً: النعمة قد تسبب الغرور والاستكبار:

النعمة قد تجعل الإنسان يغتر بنفسه، ويتكبر على الناس، وينسى فضل ربه. قال تعالى عن قارون: ﴿إِنَّمَا أُوتِيْتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي﴾^(٢) فنسب النعمة إلى نفسه، فكانت سبباً في هلاكه.

ثالثاً: النعمة قد تسبب البطر والطغيان:

النعمة قد تسبب البطر والطغيان، وتجعل الإنسان يتجاوز حدود الله، ويستعمل النعمة في معصيته. قال تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيْطَغَىٰ * أَنْ رَأَاهُ اسْتَغْنَىٰ﴾^(٣) فالاستغناء قد يطغى بالإنسان، ويجعله يتجاوز حدود الله.

رابعاً: النعمة قد تسبب الحسد والعداوة:

النعمة قد تسبب الحسد والعداوة بين الناس، فتحول بينهم وبين المحبة والألفة. قال تعالى: ﴿وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضْرِبْكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا﴾^(٤)

خامساً: النعمة قد تكون سبباً في العذاب:

إذا استعمل الإنسان النعمة في معصية الله، كانت سبباً في عذابه في الدنيا والآخرة. قال تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾^(٥)

(١) سورة التكاثر (١-٢).

(٢) سورة القصص (٧٨).

(٣) سورة العلق (٦-٧).

(٤) سورة آل عمران (١٢٠).

(٥) سورة الأنعام (٤٤).

كيف يتعامل المؤمن مع فتنة النعم؟

إذا كانت النعم فتنة واختبارًا، فإن المؤمن يحتاج إلى فقه خاص للتعامل معها، حتى لا تتحول من نعمة إلى نقمة. وقد ضرب لنا الأنبياء والصالحون أروع الأمثلة في التعامل مع فتنة النعم.

أولاً: الاستعاذة من فتنة النعم:

كان النبي ﷺ يستعيز بالله من فتنة النعم، وكان يقول: "اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ زَوَالِ نِعْمَتِكَ، وَتَحَوُّلِ عَافِيَتِكَ، وَفُجَاءَةِ نِقْمَتِكَ، وَجَمِيعِ سَخَطِكَ" ^(١).
وكان يقول: "اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ" ^(٢).

ثانياً: الخوف من النعم:

كان السلف يخافون من النعم، وكانوا يدركون أنها قد تكون فتنة. قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "مَا خِفْتُ شَيْئًا مَخَافَتِي مِنَ الْغِنَى. 501" وكانوا يقولون: "اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْ نِعْمَتَكَ عَلَيَّ فِتْنَةً".

ثالثاً: التواضع عند النعم:

من أعظم ما يعين على اجتناب فتنة النعم، هو التواضع لله وللناس، وعدم الغرور والاستكبار. قال رسول الله ﷺ: "مَنْ تَوَاضَعَ لِلَّهِ رَفَعَهُ اللَّهُ" ^(٣). وكان سليمان عليه السلام يقول: ﴿هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي﴾ ^(٤)، وهو أعظم ما يعين على التواضع.

رابعاً: استعمال النعم في طاعة الله:

من أعظم ما يعين على اجتناب فتنة النعم، أن يستعملها العبد في طاعة الله، ولا يستعملها في معصيته. قال تعالى: ﴿وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ﴾ ^(٥)

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الذكر والدعاء، باب التعوذ من شرور النفس وسينات الأعمال، برقم (٢٧٣٨)، عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، واللفظ له.

(٢) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب الدعوات، باب في دعاء النبي ﷺ، برقم (٣٥١٠)، عن أنس بن مالك رضي الله عنه، وقال: «حديث حسن غريب». وصححه الألباني في صحيح الجامع، برقم (٤٠٠٣).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب التواضع وفضله، برقم (٢٥٨٨)، عن أبي هريرة رضي الله عنه، واللفظ له.

(٤) سورة النمل (٤٠).

(٥) سورة المنافقون (١٠).

خامساً: الإكثار من الشكر على النعم:

الشكر يحفظ النعم من الزوال، ويمنعها من أن تكون فتنة. قال تعالى: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ (١)

سادساً: تذكر أن النعم زائلة:

من أعظم ما يعين على اجتناب فتنة النعم، أن يتذكر الإنسان أن النعم زائلة، وأن الدنيا دار فناء، وأن الآخرة هي دار البقاء. قال تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ * وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ (٢)

(١) سورة إبراهيم (٧).
(٢) سورة الرحمن (٢٦-٢٧).

هدي السلف في التعامل مع فتنة النعم

كان السلف رضي الله عنهم أحرص الناس على التعامل مع النعم بحذر، وكانوا يدركون أنها قد تكون فتنة، فكانوا يتعاملون معها بفقہ عميق.

أولاً: خوفهم من النعم:

كان السلف يخافون من النعم، كما يخافون من البلاء، بل كانوا أشد خوفاً من النعم. قال بعض السلف: "إِنِّي لَأَخَافُ مِنْ نِعَمِ اللَّهِ عَلَيَّ أَكْثَرَ مِمَّا أَخَافُ مِنْ بَلَائِهِ، لِأَنَّ الْبَلَاءَ يُذَكِّرُنِي بِالذُّنُوبِ، وَالنِّعْمَةُ تُنْسِينِي الشُّكْرَ" (١).

ثانياً: شكرهم على النعم مع الخوف:

كان السلف يشكرون الله على النعم، ولكن مع خوف دائم من أن تكون فتنة. كانوا يقولون: "اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ شُكْرَ نِعْمَتِكَ، وَالْعَافِيَةَ مِنْ فِتْنَتِهَا".

ثالثاً: استعمالهم النعم في طاعة الله:

كان السلف يستعملون النعم في طاعة الله، ولا يستعملونها في معصيته. كانوا ينفقون أموالهم في سبيل الله، ويستعملون صحتهم في العبادة، ويعلمون الناس ما عندهم من علم.

رابعاً: دعاؤهم بحفظ النعم:

كان السلف يكثرون من الدعاء بحفظ النعم، وكانوا يقولون: "اللَّهُمَّ احْفَظْ عَلَيَّ نِعْمَتَكَ، وَلَا تَجْعَلْهَا فِتْنَةً لِي".

(١) قول بعض السلف: «إِنِّي لَأَخَافُ مِنْ نِعَمِ اللَّهِ عَلَيَّ أَكْثَرَ مِمَّا أَخَافُ مِنْ بَلَائِهِ، لِأَنَّ الْبَلَاءَ يُذَكِّرُنِي بِالذُّنُوبِ، وَالنِّعْمَةُ تُنْسِينِي الشُّكْرَ». انظر نظرة النعيم، ج ٨، ص ٣١٣٥.

كيفية الوقاية من فتنة النعم

لكي نقي أنفسنا من فتنة النعم، ونجعلها سبباً في قربنا إلى الله، لا في بعدنا عنه، نقدم هنا وصايا عملية مستلهمة من هدي السلف:

أولاً: دوام ذكر الله عند النعم:

أن نذكر الله عند كل نعمة، ونحمده عليها، ونشكره عليها، ولا نغفل عن فضله. قال تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾^(١)

ثانياً: دوام الاستعاذة من فتنة النعم:

أن نستعين بالله من فتنة النعم، كما كان النبي ﷺ يفعل، ونقول: "اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ زَوَالِ نِعْمَتِكَ، وَتَحَوُّلِ عَافِيَتِكَ. 508"

ثالثاً: التواضع وعدم الغرور:

أن نتواضع لله وللناس، ولا نغتر بنعمنا، ولا نتكبر على الناس. قال رسول الله ﷺ: "مَنْ تَوَاضَعَ لِلَّهِ رَفَعَهُ اللَّهُ. 510"

رابعاً: استعمال النعم في طاعة الله:

أن نستعمل النعم في طاعة الله، ونحذر من استعمالها في معصيته. قال تعالى: ﴿وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ المنافقون: ١٠. 512

خامساً: الإكثار من الشكر:

أن نكثر من الشكر على النعم، فإن الشكر يحفظ النعم، ويمنعها من أن تكون فتنة. قال تعالى: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ إبراهيم: ٧. 513

سادساً: تذكر أن النعم زائلة:

أن نتذكر أن النعم زائلة، وأن الدنيا دار فناء، وأن الآخرة هي دار البقاء. قال تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ الرحمن: ٢٦. 514

سابعاً: الدعاء بالثبات:

أن ندعو الله أن يثبتنا على الشكر، وألا يجعل نعمه علينا فتنة. كان النبي ﷺ يقول: "يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ، ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ"^(٢).

(١) سورة آل عمران (١٠٣).

(٢) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب الدعوات، باب في دعاء النبي ﷺ، برقم (٣٥٢٠)، وأحمد في مسنده، برقم (١٦٥٤١)، عن أنس بن مالك رضي الله عنه، وقال الترمذي: «حديث حسن صحيح».

فتنة النعم في واقع العصر

في عصرنا الحالي، نعيش في بحر من النعم، لم تعرفه البشرية من قبل. ولكن مع هذه النعم، نجد أن فتنة النعم قد تفاقمت، وأصبحت تشكل خطراً حقيقياً على إيمان الناس، وعلى شكرهم لله.

أولاً: مظاهر فتنة النعم في عصرنا:

١. الانشغال بالنعم عن ذكر الله: أصبح الناس منشغلين بالنعم، يلهون بها عن ذكر الله، وعن العبادة، وعن الآخرة.

٢. الغرور والاستكبار: أصبح الناس يغترون بنعمهم، ويتكبرون على غيرهم، وينسون فضل الله عليهم.

٣. البطر والطغيان: أصبح الناس يبطرون بالنعم، ويستعملونها في معاصي الله، كالإسراف، والتبذير، والإنفاق في المحرمات.

٤. الحسد والعداوة: أصبحت النعم تسبب الحسد والعداوة بين الناس، وتفسد العلاقات الاجتماعية.

٥. نسبة النعم إلى النفس: أصبح الناس ينسبون النعم إلى أنفسهم، وينسون فضل الله، ويقولون: "هذا من كسبي" و"هذا من علمي".

ثانياً: كيفية التعامل مع فتنة النعم في عصرنا:

١. تذكر أن النعم من الله: النعم من الله، ولا ننسبها إلى أنفسنا.

٢. استعمال النعم في طاعة الله: لا في معصيته.

٣. التواضع: أن نتواضع لله وللناس، ولا نغتر بنعمنا.

٤. الشكر العملي: نترجم شكرنا إلى أعمال صالحة، وإنفاق في سبيل الله، وإغاثة للملهوفين.

٥. الدعاء بالثبات: ندعو الله أن يثبتنا، وألا يجعل نعمه علينا فتنة.

٦. الابتعاد عن وسائل التواصل: أن نقلل من استخدام وسائل التواصل، التي تثير المقارنات، وتزيد من فتنة النعم.

كيف تحافظ الأسرة على نعمها؟

الأسرة هي الخلية الأولى في المجتمع، وهي التي تحمل على عاتقها مسؤولية حفظ النعم، ليس فقط على مستوى الأفراد، بل على مستوى الجماعة كلها. وإن من أعظم ما يثلج الصدر، أن نتأمل كيف كان النبي ﷺ يوصي بالأسرة، وكيف كان يحث على حفظ نعمها، وكيف كان يعلم أصحابه أن الأسرة المتماسكة هي أسرة تشكر الله، وتحفظ نعمه، وتجتنب أسباب زوالها. فقد قال ﷺ: "كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فَالْإِمَامُ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ عَلَى بَيْتِ زَوْجِهَا وَهِيَ مَسْئُولَةٌ عَنْهُ" (١).

وإن من أعظم ما يثلج الصدر أيضاً، أن نعلم أن الأسرة المسلمة هي الوعاء الذي تحفظ فيه النعم، وهي المدرسة التي يتعلم فيها الأفراد شكر الله، وحفظ نعمه، واجتناب المعاصي التي تزيلها. فالأسرة التي تشكر الله، تحفظ نعمها، وتزيدها، وتجعلها سبباً في سعادتها في الدنيا والآخرة. والأسرة التي تكفر النعم، أو تنسى شكرها، أو تستعملها في المعاصي، تفقد بركتها، وتتحول نعمها إلى نقم، وتصبح سبباً في شقائها.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجمعة، باب الجمعة في القرى والمدن، برقم (٨٩٣)، ومسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر، برقم (١٨٢٩)، عن ابن عمر رضي الله عنهما، واللفظ للبخاري.

الأسرة - وحدة حفظ النعم

الأسرة هي أولى مؤسسات المجتمع، وهي التي تنشئ الأفراد على القيم والأخلاق والعادات. ولذلك، فإن حفظ النعم يبدأ من الأسرة، فإن كانت الأسرة شاكرة، حفظت نعمها، وإن كانت كافرة، زالت نعمها.

أولاً: الأسرة هي المدرسة الأولى للشكر:

في الأسرة يتعلم الأفراد كيف يشكرون الله على نعمه، وكيف يعترفون بفضله، وكيف يستعملون النعم في طاعته. فالوالدان هما القدوة الأولى للأبناء، فإذا رآوا والديهما يشكران الله، ويحمدانه، ويستعملان النعم في طاعته، تعلموا ذلك منهم، ونشأوا على الشكر.

ثانياً: الأسرة هي الحاضنة للنعم:

الأسرة هي التي تحضن النعم، وتحفظها، وتنميها. ففي الأسرة يحفظ المال، وتستغل الصحة، وينظم الوقت، ويحافظ على الأمن، وتستخدم النعم كلها في طاعة الله. فالأسرة التي تحسن جوار النعم، تحفظها، وتزيدها، وتجعلها سبباً في سعادتها.

ثالثاً: الأسرة هي الحصن ضد موانع الشكر:

الأسرة القوية المتماسكة هي حصن ضد موانع الشكر، كالغفلة، والمقارنة، والاعتیاد، والطمع، والحسد، والإسراف، واستعمال النعم في المعاصي. فالأسرة التي تتعاون على البر والتقوى، وتتآزر على الشكر، وتتناصح بالحق، هي التي تحفظ نعمها، وتقيها من الزوال.

كيف تحافظ الأسرة على نعمها؟

إذا كانت الأسرة هي وحدة حفظ النعم، فإن هناك وسائل عملية تساعد الأسرة على حفظ نعمها، واستدامتها، وزيادة بركتها.

أولاً: دوام الشكر الجماعي:

من أعظم ما يحفظ نعم الأسرة، أن تشكر الله جماعياً، وتلهج بالحمد والثناء عليه. ويمكن تحقيق ذلك من خلال:

١. أذكار الصباح والمساء: أن يحرص أفراد الأسرة على أذكار الصباح والمساء، وأن يقولوا: "اللَّهُمَّ مَا أَصْبَحَ بِي مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنْكَ وَحَدِّكَ، لَا شَرِيكَ لَكَ، فَلَكَ الْحَمْدُ وَلَكَ الشُّكْرُ" (١).

٢. الحمد على الطعام والشراب: أن يحمد أفراد الأسرة الله على الطعام والشراب، كما قال رسول الله ﷺ: "إِنَّ اللَّهَ لَيَرْضَى عَنِ الْعَبْدِ أَنْ يَأْكُلَ الْأَكْلَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا، أَوْ يَشْرَبَ الشَّرْبَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا" (٢).

٣. ذكر النعم في المجالس: أن يذكر أفراد الأسرة نعم الله في مجالسهم، ويتحدثوا بها، ويعترفوا بفضل الله عليهم. قال تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ الضحى: ١١ (٣).

ثانياً: استعمال النعم في طاعة الله داخل الأسرة:

من أعظم ما يحفظ نعم الأسرة، أن تستعمل النعم في طاعة الله، ولا تستعملها في معصيته. ويمكن تحقيق ذلك من خلال:

١. المال في طاعة الله: أن ينفق رب الأسرة ماله في سبيل الله، ويؤدي الزكاة، ويتصدق، وينفق على أهله، ويجتنب الإسراف والتبذير.

٢. الصحة في طاعة الله: أن يستغل أفراد الأسرة صحتهم في العبادة، ويصلوا، ويصوموا، ويقرأوا القرآن، ويذكروا الله، ويجتنبوا ما يضر بصحتهم.

٣. الوقت في طاعة الله: أن ينظم أفراد الأسرة أوقاتهم، ويستغلونها في ما ينفعهم في دينهم ودنياهم، ويجتنبون إضاعة الوقت في اللهو والترفيه المحرم.

(١) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الأدب، باب ما يقول إذا أصبح، برقم (٥٠٧٣)، وابن حبان في صحيحه، برقم (٨٦١)، واللفظ لأبي داود، وحسنه ابن القيم في زاد المعاد (٣٧٣/٢)، والنووي في الأنكار (ص ٧٤)، والحافظ ابن حجر في تعليقه على صحيح ابن حبان.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل الحمد بعد الطعام والشراب، برقم (٢٧٣٤)، عن أنس بن مالك رضي الله عنه، واللفظ له.

(٣) سورة الضحى (٩٣: ١١).

٤. العلم في طاعة الله : أن يتعلم أفراد الأسرة العلم الشرعي ، ويعلموه بعضهم بعضاً، ويستعملوه في طاعة الله، ولا يستعملوه في معصيته.

ثالثاً: التربية على الشكر:

من أعظم ما يحفظ نعم الأسرة، أن يربي الوالدان أبناءهم على الشكر، ويعلموهم فضله، ويدربوهم عليه. ويمكن تحقيق ذلك من خلال:

١. تعليم الأبناء أسماء الله وصفاته : أن يعلم الوالدان أبناءهم أسماء الله وصفاته، خاصة اسمه "الشكور"، و"الرحيم"، و"الكريم"، ليعرفوا عظمة المنعم، فيشكروه.

٢. تعليم الأبناء قيمة النعم : أن يعلم الوالدان أبناءهم قيمة النعم، وكيف يشكرون الله عليها، وكيف يحافظون عليها.

٣. القدوة الحسنة : أن يكون الوالدان قدوة حسنة لأبنائهم في الشكر، فيشكروا الله على نعمه، ويحمداه، ويستعمل النعم في طاعته، فيتعلم الأبناء منهم ذلك.

٤. القصص والعبر : أن يروي الوالدان لأبنائهم قصص الشاكرين من الأنبياء والصالحين، ليتعلموا منهم، ويقتدوا بهم.

رابعاً: المحافظة على الصلاة والعبادة الجماعية:

من أعظم ما يحفظ نعم الأسرة، أن تحافظ على الصلاة والعبادة الجماعية، كصلاة الجماعة في المسجد، وصلاة الجماعة في البيت، وقراءة القرآن جماعة، والأذكار الجماعية. قال تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ طه: ١٣٢ (١).

خامساً: الحذر من المعاصي التي تزيل النعم:

١. اجتناب الكبائر : أن يجتنب أفراد الأسرة الكبائر، كالزنا، والربا، والسرقه، والرشوة، والغيبة، والنميمة.

٢. اجتناب الصغائر : أن يجتنبوا الصغائر، فإنها تجر إلى الكبائر، وتزيل البركة من النعم.

(١) سورة طه (٢٠: ١٣٢).

٣. التوبة والاستغفار : أن يكثر أفراد الأسرة من التوبة والاستغفار، فإنهما
يمحوان الذنوب، ويستدران الرحمات، ويحفظان النعم.

حفظ النعم داخل الأسرة - الأدوار والمسؤوليات

حفظ النعم داخل الأسرة ليس مسؤولية فرد واحد، بل هو مسؤولية جماعية، لكل فرد فيها دور يؤديه، ومسؤولية يتحملها.

أولاً: دور رب الأسرة:

١. يكون قدوة حسنة في الشكر: أن يشكر الله على نعمه، ويحمده، ويستعمل النعم في طاعته، ليكون قدوة لأسرته.
٢. يحث أسرته على الشكر: أن يحث زوجته وأولاده على الشكر، ويذكرهم بنعم الله، ويرغبهم في فضل الشكر.
٣. ينفق على أسرته: أن ينفق على أسرته من المال الحلال، ويكفيهم مؤنة العيش، ويؤدي حقوقهم المادية.
٤. يعلم أسرته: أن يعلمهم أمور دينهم، ويأمرهم بالصلاة، وينهاهم عن المنكر.

ثانياً: دور الأم:

١. تكون قدوة في الشكر: أن تشكر الله على نعمها، وتحمده، وتستعمل النعم في طاعته، لتكون قدوة لأبنائها.
٢. تربي أبنائها على الشكر: أن تربي أبنائها على الشكر، وتعليمهم فضله، وتدريبهم عليه.
٣. تحسن جوار النعم: أن تحسن جوار النعم في بيتها، ولا تضيعها، ولا تهينها، ولا تسرف فيها.
٤. تدعو لأسرتها: أن تكثر من الدعاء لأسرتها بالخير والصلاح والعافية.

ثالثاً: دور الأبناء:

١. يطيعوا والديهم: أن يطيعوا والديهم، ويبروهم، ويحسنوا إليهم، فإن بر الوالدين من أعظم أسباب حفظ النعم.
٢. يشكروا الله على نعمه: أن يلهجوا بشكر الله على نعمه، ويستعملوها في طاعته.

حفظ نعم الأسرة في واقع العصر

في عصرنا الحالي، تواجه الأسرة تحديات كبيرة، تهدد نعمها، وتعرضها للزوال. ومن أعظم هذه التحديات: وسائل التواصل الاجتماعي، التي تشغل الأفراد عن بعضهم البعض، وتضعف التواصل الأسري، وتثير المشاكل والخلافات، وتسبب المقارنات البصرية، وتزيد من فتنة النعم.

أولاً: مظاهر التحديات المعاصرة للأسرة:

١. ضعف التواصل الأسري: انشغال كل فرد بهاتفه، وعدم الجلوس مع الأسرة، وعدم الحوار والمناقشة.
٢. تأثير وسائل التواصل: المقارنات غير الواقعية، والغيرة، والشكوك، والمشاكل الزوجية التي تسببها مواقع التواصل.
٣. ضعف التربية الدينية: الانشغال بالدنيا عن تعليم الأولاد الدين، وتركهم يتعلمون من وسائل التواصل ما قد يضرهم.
٤. الانشغال بالعمل عن الأسرة: الإفراط في العمل، وقلة الوقت المخصص للأسرة، مما يؤدي إلى ضعف العلاقات.
٥. الطلاق وانتشار المشاكل الأسرية: بسبب ضعف الصبر، وسوء المعاشرة، وعدم تحمل المسؤولية.

ثانياً: كيفية حفظ نعم الأسرة في عصرنا:

١. تخصيص وقت للأسرة: أن يخصص رب الأسرة وقتاً يومياً للجلوس مع أهله، والحوار معهم، والاستماع إليهم، وقضاء حوائجهم.
٢. تعليم الأولاد الدين: أن يحرص الوالدان على تعليم أولادهما القرآن والسنة، وإرسالهم إلى حلقات التحفيظ، وتعليمهم أحكام الدين.
٣. حماية الأسرة من وسائل التواصل: أن يحدد رب الأسرة استخدام وسائل التواصل، ويحمي أهله من آثارها السلبية، ويوجههم إلى ما ينفع.
٤. الدعاء للأسرة: أن يكثر أفراد الأسرة من الدعاء لبعضهم البعض بالصلاح والعافية والهداية.

٥. الصبر وحسن المعاشرة : أن يصبر أفراد الأسرة على بعضهم البعض، ويعاملوا بالإحسان، ويحلموا على جهل بعضهم، ويتجاوزوا عن الزلات.
٦. الشكر الجماعي : أن يلهج أفراد الأسرة بالشكر لله جماعياً، ويذكروا نعمه، ويتحدثوا بها، ويعترفوا بفضله.

كيف يحافظ المجتمع على نعمة الأمن؟

لأمن ليس مجرد نعمة فردية، بل هو نعمة جماعية، يحافظ عليها المجتمع كله، ويتعاون على حفظها، ويتكامل في ذلك أدواره ومؤسساته.

وإن من أعظم ما يثلج الصدر، أن نعلم أن الله سبحانه قد جعل الأمن من أعظم النعم التي أنعم بها على الأمم، وجعله سبباً في استقرارها، وازدهارها، وانتشار الخير فيها. قال تعالى: ﴿الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾^(١) وقال: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾^(٢)

وإن من أعظم ما يثلج الصدر أيضاً، أن نعلم أن حفظ الأمن مسؤولية الجميع، لا مسؤولية الحاكم وحده، بل هي مسؤولية كل فرد في المجتمع، كل في موقعه ودوره. فالحاكم يحفظ الأمن بالقوانين العادلة، والجيش والشرطة يحفظونه بالحراسة والمراقبة، والعالم يحفظه بالعلم والتوعية، والمعلم يحفظه بالتربية، والأب يحفظه بتربية أولاده، والأم تحفظه بتنشئة أبنائها على القيم والأخلاق، والجار يحفظه بحسن الجوار، وكل فرد يحفظه بطاعة الله، واجتناب المعاصي.

(١) سورة قريش (٤ :).
(٢) سورة النحل (١١٢ :).

الأمن نعمة جماعية

الأمن ليس نعمة فردية، بل هو نعمة جماعية، يشترك في حفظها المجتمع كله، ويتأثر بفقدانها المجتمع كله. فإذا فقد الأمن، تعطلت المصالح، وانتشر الخوف، واضطربت الحياة، وضاعت النعم. وإذا وجد الأمن، استقرت الحياة، وانتشر الخير، وازدهرت الحضارات.

أولاً: الأمن أساس كل نعمة:

الأمن هو الأساس الذي تقوم عليه كل النعم، فهو الذي يتيح للإنسان أن يعيش في سلام، ويمارس حياته الطبيعية، ويعبد ربه، ويكسب رزقه، ويؤدي حقوقه. فما قيمة المال مع الخوف؟ وما قيمة الصحة مع القلق؟ وما قيمة الأسرة مع التهديد؟ الأمن هو الذي يمنح الإنسان الاستقرار النفسي، والطمأنينة القلبية، والقدرة على العيش بكرامة.

ثانياً: الأمن نعمة تحتاج إلى تعاون الجميع:

الأمن ليس نعمة تأتي وحدها، بل هي نعمة تحتاج إلى تعاون الجميع في حفظها. فالحاكم وحده لا يستطيع حفظ الأمن، بل يحتاج إلى تعاون الشعب معه، والجيش والشرطة يحتاجان إلى تعاون المواطنين، والعلماء يحتاجون إلى تعاون الناس في تطبيق ما يعلمونهم. قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾^(١)

ثالثاً: الأمن نعمة تضيع بذنوب المجتمع:

الأمن قد يضيع بسبب ذنوب المجتمع، كما قال تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ النحل: ١١٢ ٥٢٤. فكفران النعم، وانتشار المعاصي، هما سبب زوال الأمن، وحلول الخوف والفوضى.

(١) سورة المائدة (٢:).

كيف يحافظ المجتمع على نعمة الأمن؟

إذا كان الأمن نعمة جماعية، فإن حفظه يكون بجهود جماعية، تتكامل فيها أدوار المجتمع كلها. ويمكن تلخيص هذه الجهود في عدة محاور:

أولاً: طاعة الله واجتناب المعاصي:

أعظم ما يحفظ الأمن في المجتمع، هو طاعة الله واجتناب المعاصي، فإن المعاصي سبب في زوال الأمن، والطاعات سبب في بقاءه. قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ الأعراف: ٩٦^(١). فالإيمان والتقوى يجلبان البركات، ومنها الأمن، والتكذيب والمعاصي يمنعانها، ويجلبان العقوبات، ومنها زوال الأمن.

ثانياً: طاعة ولاية الأمر:

من أعظم ما يحفظ الأمن في المجتمع، طاعة ولاية الأمر، والالتزام بالقوانين والأنظمة، وعدم الخروج عليهم، وعدم التمرد عليهم. قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾^(٢) وقال رسول الله ﷺ: "عَلَيْكُمْ بِالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، وَإِنْ تَأَمَّرَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ حَبَشِيٌّ"^(٣).

ثالثاً: حفظ الجماعة واجتناب التفرق:

من أعظم ما يحفظ الأمن في المجتمع، حفظ الجماعة، واجتناب التفرق والاختلاف، وتوحيد الكلمة، والاجتماع على الحق. قال تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾^(٤). وقال رسول الله ﷺ: "عَلَيْكُمْ بِالْجَمَاعَةِ، وَإِيَّاكُمْ وَالْفُرْقَةَ"^(٥).

(١) سورة الأعراف (٩٦).

(٢) سورة النساء (٥٩).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأحكام، باب السمع والطاعة للإمام، برقم (٧١٤٢)، ومسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب وجوب طاعة الأمراء، برقم (١٨٣٤)، عن أنس بن مالك رضي الله عنه، واللفظ للبخاري.

(٤) سورة آل عمران (١٠٣).

(٥) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب الفتن، باب ما جاء في لزوم الجماعة، برقم (٢١٦٥)، وأحمد في مسنده، برقم (١٨٩٦٨)، عن ابن عباس رضي الله عنهما، واللفظ للترمذي، وقال: «حديث حسن صحيح».

رابعاً: إصلاح ذات البين:

من أعظم ما يحفظ الأمن في المجتمع، إصلاح ذات البين، وإطفاء الفتن، ونشر المحبة والألفة بين الناس. قال تعالى: ﴿وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾^(١). وقال رسول الله ﷺ: "أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَفْضَلِ مِنْ دَرَجَةِ الصَّيَامِ وَالصَّلَاةِ وَالصَّدَقَةِ؟" قالوا: بلى، قال: "إِصْلَاحُ ذَاتِ الْبَيْنِ، فَإِنَّ فَسَادَ ذَاتِ الْبَيْنِ هِيَ الْحَالِقَةُ"^(٢).

خامساً: نشر العلم والتوعية:

من أعظم ما يحفظ الأمن في المجتمع، نشر العلم الشرعي، وتوعية الناس بأمور دينهم، وتعليمهم حقوقهم وواجباتهم، وتحذيرهم من الفتن والأفكار الهدامة. قال تعالى: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾^(٣)

سادساً: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

من أعظم ما يحفظ الأمن في المجتمع، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فإنهما يمتنعان انتشار الفساد، ويحفظان المجتمع من الانحلال. قال تعالى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾^(٤)

سابعاً: الدعاء للولادة والقادة:

من أعظم ما يحفظ الأمن في المجتمع، الدعاء للولادة والقادة، وسؤال الله أن يوفقهم للعدل، وأن يعينهم على حمل الأمانة. قال رسول الله ﷺ: "الدِّينُ النَّصِيحَةُ"، قالوا: لمن؟ قال: "لِلَّهِ، وَلِكِتَابِهِ، وَلِرَسُولِهِ، وَلِأَيِّمَّةِ الْمُسْلِمِينَ، وَعَامَّتِهِمْ"^(٥). وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: "اللَّهُمَّ أَصْلِحْ وُلَاةَ أُمُورِنَا، فَإِنَّ صَلَاحَهُمْ صَلَاحٌ لِلرَّعِيَّةِ".

(١) سورة الأنفال (١).

(٢) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في إصلاح ذات البين، برقم (٢٥٠٩)، وأبو داود في سننه، كتاب الأدب، باب في الإصلاح بين الناس، برقم (٤٩١٩)، عن أبي الدرداء رضي الله عنه، واللفظ للترمذي، وقال: «حديث حسن صحيح».

(٣) سورة التوبة (١٢٢).

(٤) سورة آل عمران (١٠٤).

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب بيان أن الدين النصيحة، برقم (٥٥)، عن تميم الداري رضي الله عنه، واللفظ له.

ثامناً: التعاون بين أفراد المجتمع:

من أعظم ما يحفظ الأمن في المجتمع، التعاون بين أفرادهِ، وتآزرهم على البر والتقوى، وتضامنهم في مواجهة التحديات. قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ ^(١)

(١) سورة المائدة (٢:).

دور المؤسسات في حفظ الأمن

حفظ الأمن ليس مسؤولية الأفراد فقط، بل هو مسؤولية المؤسسات أيضًا، كلٌّ في مجاله واختصاصه. وهذه المؤسسات تتكامل مع جهود الأفراد، لتشكيل منظومة متكاملة لحفظ الأمن.

أولاً: دور الدولة والحكومة:

الدولة هي المسؤول الأول عن حفظ الأمن، من خلال:

١. سن القوانين العادلة: أن تضع الدولة قوانين تحمي حقوق الناس، وتحد من الجريمة، وتضمن العدل بين الجميع.
٢. تطبيق القوانين: أن تطبق الدولة القوانين بعدالة، ولا تميز بين أحد، ولا تفرق بين غني وفقير، ولا بين قوي وضعيف.
٣. توفير الأمن للجميع: أن توفر الدولة الأمن لكل المواطنين، وتحميهم من الخوف، وتوفر لهم سبل العيش الكريم.
٤. محاربة الفساد: أن تحارب الدولة الفساد بكل صوره، فإن الفساد سبب في زوال الأمن، وحلول الفوضى.

ثانياً: دور المؤسسات التعليمية:

المؤسسات التعليمية تلعب دوراً كبيراً في حفظ الأمن، من خلال:

١. تربية النشء على القيم والأخلاق: أن تربي المدارس والجامعات النشء على القيم الإسلامية، والأخلاق الحميدة، وحب الوطن، والانتماء إليه.
٢. نشر الوعي: أن تنشر المؤسسات التعليمية الوعي بين الطلاب، وتعليمهم حقوقهم وواجباتهم، وتحذيرهم من الأفكار الهدامة.
٣. تعليم التسامح: أن تعلم المؤسسات التعليمية الطلاب التسامح، وقبول الآخر، واحترام الاختلاف، ونبذ العنف والتطرف.

ثالثاً: دور المؤسسات الدينية:

المؤسسات الدينية تلعب دوراً كبيراً في حفظ الأمن، من خلال:

١. الدعوة إلى الله: أن تدعو المساجد والمراكز الإسلامية إلى الله، وتذكر الناس بنعمه، وتحثهم على شكره، وتذكرهم بعقاب من يكفر نعمه.

٢. الوعظ والإرشاد: أن توعظ المؤسسات الدينية الناس، وتوجههم إلى الخير، وتحذرهم من الشر، وتذكّرهم بحقوق الله وحقوق الناس.

٣. الفتوى الصحيحة: أن تصدر المؤسسات الدينية فتاوى صحيحة، تواكب العصر، وتعالج المشكلات، وتجنب الناس الفتن.

رابعاً: دور وسائل الإعلام:

وسائل الإعلام تلعب دوراً كبيراً في حفظ الأمن، من خلال:

١. نشر الوعي: أن تنشر وسائل الإعلام الوعي بين الناس، وتعليمهم حقوقهم وواجباتهم، وتحذيرهم من الفتن والأفكار الهدامة.

٢. تعزيز القيم: أن تعزز وسائل الإعلام القيم الإسلامية، والأخلاق الحميدة، وحب الوطن، والانتماء إليه.

٣. محاربة الشائعات: أن تحارب وسائل الإعلام الشائعات، وتكذبها، وتنشر الحقائق، وتوضح الأمور للناس.

أثر فقدان الأمن على المجتمع

إذا فقد المجتمع الأمن، تعطلت المصالح، وانتشر الخوف، واضطربت الحياة، وضاعت النعم. ولقد وصف الله حال المجتمعات التي فقدت الأمن، فقال: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾^(١)

أولاً: انتشار الخوف والقلق:

عندما يفقد المجتمع الأمن، ينتشر الخوف والقلق بين الناس، وتضطرب حياتهم، ولا يستطيعون ممارسة حياتهم الطبيعية، ويعيشون في حالة من الرعب الدائم.

ثانياً: تعطيل المصالح:

عندما يفقد المجتمع الأمن، تتعطل المصالح، وتتوقف الأعمال، وتضيع الأموال، وتتبدد الجهود، ويتوقف التقدم والازدهار.

ثالثاً: انتشار الفوضى:

عندما يفقد المجتمع الأمن، تنتشر الفوضى، وتفشو الجريمة، ويعم الظلم، وتضيع الحقوق، وينتشر الفساد.

رابعاً: زوال النعم الأخرى:

عندما يفقد المجتمع الأمن، تزول النعم الأخرى، كالصحة، والمال، والعلم، والأسرة، فكل هذه النعم تحتاج إلى الأمن لتستقر وتستمر.

(١) سورة النحل (١١٢).

حفظ الأمن في واقع العصر

في عصرنا الحالي، تواجه المجتمعات تحديات كبيرة، تهدد نعمة الأمن، وتعرضها للزوال. ومن أعظم هذه التحديات: الإرهاب، والتطرف، والفتن الطائفية، والحروب، والاضطرابات، ووسائل التواصل الاجتماعي التي تنشر الشائعات، وتثير الفتن.

أولاً: مظاهر التحديات المعاصرة للأمن:

١. الإرهاب والتطرف: انتشار الإرهاب والتطرف، الذي يهدد أمن المجتمعات، ويزعزع استقرارها.
٢. الفتن الطائفية: إثارة النزعات الطائفية والعرقية، التي تهدد تماسك المجتمع، وتسبب الفوضى.
٣. الحروب: انتشار الحروب والنزاعات، التي تدمر المجتمعات، وتزيل الأمن، وتفقد الناس نعمهم.
٤. وسائل التواصل الاجتماعي: نشر الشائعات والأكاذيب، وإثارة الفتن، والتحريض على العنف، مما يهدد الأمن والاستقرار.

ثانياً: كيفية حفظ الأمن في عصرنا:

١. العودة إلى الله: أن تعود المجتمعات إلى الله، وتتنوب عن ذنوبها، وتستغفره، وتشكره على نعمه، فإنه هو الضامن الأكبر للأمن.
٢. التعاون بين الدول: أن تتعاون الدول في مكافحة الإرهاب، وتبادل المعلومات، وتعزيز الأمن الجماعي.
٣. محاربة الفكر المتطرف: أن تحارب المجتمعات الفكر المتطرف، وتنشر الوعي، وتصحح المفاهيم، وتقدم الفكر الوسطي المعتدل.
٤. تعزيز الوحدة الوطنية: أن تعزز المجتمعات الوحدة الوطنية، وتقبل الآخر، ونبذ التفرق، والتركيز على القواسم المشتركة.
٥. الدعاء: أن يكثّر أفراد المجتمع من الدعاء بحفظ الأمن، والاستقرار، والسلامة من الفتن.

كيف نحافظ على نعمة الإيمان؟

الأمن ركيزة أساسية لاستقرار المجتمعات، تنتقل اليوم إلى أعلى النعم وأجلّها، وهي النعمة التي إن حفظت، حفظ الله بها كل النعم، وإن ضاعت، ضاع معها كل شيء: إنها كيف نحافظ على نعمة الإيمان. فهو الأصل الذي تفرعت عنه كل النعم، والروح التي بوجودها تحيا القلوب، وبغيابها تموت وتخسر الدنيا والآخرة.

وإن من أعظم ما يثلج الصدر، أن نعلم أن الله سبحانه قد أمرنا بحفظ هذه النعمة، وحذّرنا من ضياعها، وأرشدنا إلى وسائل الثبات عليها. قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾^(١). وهذا الأمر بتجديد الإيمان يدل على أنه يحتاج إلى صيانة دائمة، وأنه ليس مجرد كلمة تقال ثم تُنسى، بل هو عهد متجدد، يحتاج إلى رعاية مستمرة، وحماية من الشبهات والشهوات. وقد كان الصحابة والتابعون رضوان الله عليهم أحرص الناس على حفظ إيمانهم، وكانوا يخافون عليه من الزوال، كما يخافون على أرواحهم من الموت. كانوا يقولون: "اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ ثَبَاتَ الْقَلْبِ عَلَى الْإِيمَانِ"^(٢). وكانوا يتفقدون إيمانهم في كل صباح ومساء، ويحاسبون أنفسهم على تقصيرهم، ويستغفرون الله من ذنوبهم، ويجددون التوبة إليه. وهذا هو الفقه العميق الذي نحتاج إليه في زماننا، حيث تترى الفتن، وتكثر الشبهات، وتتنوع المغريات.

(١) سورة النساء (١٣٦).

(٢) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب الدعوات، باب في دعاء النبي ﷺ، برقم (٣٥٢٠)، وأحمد في مسنده، برقم (١٦٥٤١)، عن أنس بن مالك رضي الله عنه، وقال الترمذي: «حديث حسن صحيح».

حقيقة الإيمان وأنه يزيد وينقص

لفهم كيفية حفظ نعمة الإيمان، لا بد أولاً من فهم حقيقتها. إن الإيمان - على مذهب أهل السنة والجماعة - ليس مجرد قول باللسان، بل هو قول باللسان، وتصديق بالقلب، وعمل بالجوارح، وهو يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية.

أولاً: الإيمان قول وعمل واعتقاد:

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾^(١). فجمع الإيمان بين التصديق والجهاد، وهذا يبين أنه ليس مجرد شعور أو قول، بل هو عمل متكامل.

ثانياً: الإيمان يزيد وينقص:

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾^(٢) فأخبر أن الإيمان يزيد بذكر الله وتلاوة آياته. وقال رسول الله ﷺ: "الإيمان بضع وسبعون شعبةً، فأفضلها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق"^(٣). فجعل الإيمان شعباً وخصالاً، تزيد وتنقص بحسب فعلها أو تركها.

وإذا كان الإيمان يزيد وينقص، فإن الحفاظ عليه يعني السعي الدائم لزيادته، والحذر من أسباب نقصانه، وهذا هو لبّ فقه حفظ نعمة الإيمان.

(١) سورة الحجرات (١٥).

(٢) سورة الأنفال (٢).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب أمور الإيمان، برقم (٩)، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب بيان عدد شعب الإيمان، برقم (٣٥)، عن أبي هريرة رضي الله عنه، واللفظ للبخاري.

أسباب زيادة الإيمان

إذا كان الإيمان يزيد بالطاعات، فإن على المؤمن أن يسعى إلى أسباب الزيادة، ليكون دائم الارتقاء في درجات الإيمان، بعيداً عن أسباب النقصان.

أولاً: تدبر القرآن الكريم:

القرآن هو أعظم سبب لزيادة الإيمان، فهو كلام الله الذي يحيي القلوب، ويقوي اليقين، ويزيد الإيمان. قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾^(١) وكان السلف إذا تلا أحدهم القرآن، ازداد إيمانه، وارتفعت درجته، وقوي يقينه.

ثانياً: الصلاة والعبادات:

الصلاة هي الصلة بين العبد وربّه، وهي من أعظم أسباب زيادة الإيمان. قال تعالى: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾^(٢) وكان النبي ﷺ يقول: "أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنَّ نَهْرًا بِيَابِ أَحَدِكُمْ يَغْتَسِلُ مِنْهُ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ، هَلْ يَبْقَى مِنْ دَرَنِهِ شَيْءٌ؟" قالوا: لا، قال: "فَذَلِكَ مَثَلُ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ، يَمْحُو اللَّهُ بِهِنَ الْخَطَايَا"^(٣).

ثالثاً: الذكر والدعاء:

الذكر هو حياة القلب، وهو سبب في زيادة الإيمان، وتقوية اليقين، وتجديد العهد مع الله. قال تعالى: كان النبي ﷺ يكثر من الذكر في كل وقت، ويقول: "مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، فِي يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ، كَانَتْ لَهُ عَدَلٌ عَشْرٍ رِقَابٍ، وَكُتِبَتْ لَهُ مِائَةُ حَسَنَةٍ، وَمُحِيتَ عَنْهُ مِائَةُ سَيِّئَةٍ"^(٤).

رابعاً: صحبتة الصالحين:

الصحبّة الصالحة من أعظم أسباب زيادة الإيمان، فإن المرء على دين خليله، فمن جالس الصالحين، ازداد إيمانه، ومن جالس أهل الغفلة، نقص إيمانه. قال تعالى: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ

(١) سورة الأنفال (٢).

(٢) سورة البقرة (٤٥).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب مواقيت الصلاة، باب الصلوات الخمس كفارة للذنوب، برقم (٥٢٨)، ومسلم في صحيحه، كتاب المساجد، باب الصلوات الخمس كفارة للذنوب، برقم (٦٦٧)، عن أبي هريرة رضي الله عنه، واللفظ للبخاري.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الدعوات، باب فضل التسبيح، برقم (٦٤٠٣)، ومسلم في صحيحه، كتاب الذكر والدعاء، باب فضل التهليل والتسبيح، برقم (٢٦٩١)، عن أبي هريرة رضي الله عنه، واللفظ للبخاري.

وَجَهَهُ ﴿١﴾ وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالْجَلِيسِ الشُّوْءِ، كَمَثَلِ صَاحِبِ الْمِسْكِ وَكَبِيرِ الْحَدَّادِ" ﴿٢﴾.

خامساً: الدعاء بالثبات:

الدعاء بالثبات على الإيمان من أعظم أسباب حفظه، فالعبد لا يستطيع أن يثبت على الإيمان بقوته، بل يحتاج إلى معونة من الله. كان النبي ﷺ يكثر من الدعاء: "يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ، ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ" ﴿٣﴾. وكان يقول: "اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الثَّبَاتَ فِي الْأَمْرِ، وَالْعَزِيمَةَ عَلَى الرَّشْدِ" ﴿٤﴾.

(١) سورة الكهف (٢٨).
(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الزكاة، باب في الزكاة، برقم (٢١٠١)، ومسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة، باب فضل مجالسة الصالحين، برقم (٢٦٢٨)، عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، واللفظ للبخاري.
(٣) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب الدعوات، باب في دعاء النبي ﷺ، برقم (٣٥٢٠).
(٤) أخرجه الترمذي (٣٤٨٩)، والنسائي في سننه، كتاب عمل اليوم والليلة، برقم (١٠٣٣).

أسباب نقص الإيمان

كما أن هناك أسباباً لزيادة الإيمان، فهناك أسباباً لنقصانه، يجب على المؤمن أن يحذرهما، ويبتعد عنها، لئلا تضعف نعمة الإيمان في قلبه، أو تزول بالكلية.

أولاً: الغفلة عن ذكر الله:

الغفلة عن ذكر الله من أعظم أسباب نقص الإيمان، فإن القلب إذا غفل عن الله، ضعف إيمانه، وذهبت حلاوة الطاعة منه. قال تعالى: ﴿وَلَا تُطْعَمَنْ أَغْفَلَتَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرْطَاً﴾^(١)

ثانياً: كثرة الذنوب والمعاصي:

الذنوب والمعاصي تضعف الإيمان، وتزيل حلاوته، وتجعل القلب قاسياً، بعيداً عن الله. قال تعالى: ﴿كَلاَّ بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾^(٢) فالذنوب تُرَانُ على القلوب، فتصدها عن الخير، وتضعف إيمانها.

ثالثاً: اتباع الهوى:

اتباع الهوى من أعظم أسباب نقص الإيمان، فإنه يصرف القلب عن الحق، ويجعله يتبع شهواته، ويهلك في متع الدنيا. قال تعالى: ﴿فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ﴾^(٣)

رابعاً: صحبة السوء:

صحبة السوء من أعظم أسباب نقص الإيمان، فإنها تضعف الإيمان، وتدعو إلى المعاصي، وتصرف عن ذكر الله. قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً * يَا وَيْلَتَا لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلاً * لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي﴾^(٤)

خامساً: الشبهات والشكوك:

الشبهات والشكوك التي تثيرها الفتن، وتطرحها وسائل الإعلام، وتنشرها مواقع التواصل، هي من أخطر أسباب نقص الإيمان، بل قد تزيله بالكلية. قال

(١) سورة الكهف (٢٨).

(٢) سورة المطففين (١٤).

(٣) سورة القصص (٥٠).

(٤) سورة الفرقان (٢٧-٢٩).

تعالى: ﴿الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ
يَتَرَدَّدُونَ﴾ (١)

كيف نحافظ على الإيمان في عصر الفتن؟

عصرنا الحالي هو عصر الفتن، تترى فيه الشبهات، وتكثر الشهوات، وتنوع وسائل الإغواء، وتنتشر الفتن في كل مكان، خاصة على وسائل التواصل الاجتماعي. ولذلك، فإن حفظ نعمة الإيمان في عصرنا يحتاج إلى جهد مضاعف، وصبر عظيم، ويقين راسخ، وتمسك بالكتاب والسنة، وتوبة مستمرة، واستغفار دائم.

أولاً: التمسك بالكتاب والسنة:

أعظم ما يحفظ الإيمان في عصر الفتن، هو التمسك بالكتاب والسنة، والعودة إليهما في كل مسألة، وعدم الالتفات إلى الدعوات الهدامة، والأفكار المنحرفة. قال رسول الله ﷺ: "تَرَكْتُ فِيكُمْ أَمْرَيْنِ، لَنْ تَضِلُّوا مَا تَمَسَّكْتُمْ بِهِمَا: كِتَابَ اللَّهِ وَسُنَّةَ نَبِيِّهِ" (١).

ثانياً: طلب العلم الشرعي:

طلب العلم الشرعي من أعظم ما يحفظ الإيمان، لأنه يمنع الشبهات، ويقوي اليقين، ويعين على التمييز بين الحق والباطل. قال تعالى: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ (٢).

ثالثاً: الابتعاد عن مواقع الفتن:

من أعظم ما يحفظ الإيمان، هو الابتعاد عن مواقع الفتن، ووسائل التواصل التي تنشر الشبهات، وتثير الشكوك، وتدعو إلى المعاصي. قال تعالى: ﴿وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ﴾ (٣).

رابعاً: مجاهدة النفس على الطاعة:

مجاهدة النفس على الطاعة من أعظم ما يحفظ الإيمان، فإنها تمنع من الوقوع في المعاصي، وتقوي الإرادة، وتجعل العبد قوياً في مواجهة الفتن. قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ (٤).

خامساً: الدعاء بالثبات والدوام:

(١) أخرجه مالك في الموطأ، كتاب القدر، باب ما جاء في القدر، برقم (١٧١٠).

(٢) سورة التوبة (١٢٢).

(٣) سورة هود (١١٣).

(٤) سورة العنكبوت (٦٩).

الدعاء بالشبات على الإيمان، والدوام عليه، من أعظم ما يحفظه، فإن العبد لا يملك لنفسه شيئاً، بل هو فقير إلى الله في كل لحظة. كان النبي ﷺ يكثّر من الدعاء: "اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْهُدَى وَالتُّقَى، وَالْعَفَافَ وَالْغِنَى" ^(١).

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الذكر والدعاء، باب الدعاء في صلاة الليل، برقم (٢٧٢١)، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، واللفظ له.

هدي السلف في حفظ الإيمان

كان السلف رضوان الله عليهم أحرص الناس على حفظ إيمانهم، وكانوا يتفقدونه في كل وقت، ويخافون عليه من الزوال، ويجتهدون في زيادته.

أولاً: محاسبة النفس:

كان السلف يحاسبون أنفسهم في كل يوم، ويتفقدون إيمانهم، ويسألون أنفسهم: هل ازددنا إيماناً اليوم؟ أم نقصنا؟ قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "حَاسِبُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُحَاسَبُوا، وَزِنُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُوزَنُوا" ^(١).

ثانياً: الخوف من النفاق:

كان السلف يخافون على أنفسهم من النفاق، وكانوا يخشون أن يكونوا ممن قال الله فيهم: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾ ^(٢) وكان الحسن البصري رحمه الله يقول: "مَا خَافَهُ إِلَّا مُؤْمِنٌ، وَلَا أَمِنَهُ إِلَّا مُنَافِقٌ" ^(٣).

ثالثاً: تجديد التوبة:

كان السلف يكثرون من التوبة والاستغفار، وكانوا يجددون التوبة في كل وقت، ويستغفرون الله من ذنوبهم، ويطلبون منه المغفرة والرحمة. قال تعالى: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ ^(٤).

(١) روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: «حَاسِبُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُحَاسَبُوا، وَزِنُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُوزَنُوا». أخرجه الترمذي في سننه، كتاب صفة القيامة، باب في الحساب، برقم (٢٤٤٩)، وقال: «حديث حسن»، وابن أبي الدنيا في كتاب المحاسبة.

(٢) سورة النساء (١٤٥).

(٣) روي عن الحسن البصري رحمه الله أنه قال: «مَا خَافَهُ إِلَّا مُؤْمِنٌ، وَلَا أَمِنَهُ إِلَّا مُنَافِقٌ». انظر نضرة النعيم، ج ٨، ص ٣١٣٨.

(٤) سورة النور (٣١).

التطبيق العملي

اختبار تشخيصي متقدم: من أنت بين الشاكرين؟

بعد أن قطعنا شوطاً طويلاً في رحاب هذا الكتاب، بعد أن عرفنا حقيقة الشكر ومدارجه، وتأملنا في أنواع النعم وكيفية شكرها، ووقفنا مع موانع الشكر ووسائل حفظ النعم، ننتقل اليوم إلى الفصل الأخير من هذا الكتاب، وهو الفصل التطبيقي العملي. فقد آن الأوان لأن نترجم كل ما تعلمناه إلى واقع ملموس في حياتنا، وأن نحول هذه المعارف إلى سلوكيات عملية، تغير حياتنا، وتجعلنا من الشاكرين حقاً.

ونبدأ بأداة عملية تساعد كل قارئ على تقييم نفسه، ومعرفة مدى شكره لله، وتحديد نقاط قوته وضعفه في هذا المجال: إنه الاختبار التشخيصي المتقدم، الذي يضعك - أيها القارئ الكريم - أمام مرآة قلبك، لترى حقيقة شكرك لله، وتعرف أين أنت بين الشاكرين.

وهذا الاختبار ليس مجرد تسلية أو ترفيه، بل هو أداة تشخيصية علاجية، مستوحاة من هدي السلف في محاسبة النفس، ومن نصوص الوحيين التي تدعو إلى التقييم الذاتي. قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾^(١) وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "حَاسِبُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُحَاسَبُوا، وَزِنُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُوزَنُوا"^(٢).

فالاختبار الذي بين يديك هو باب من أبواب المحاسبة، وخطوة على طريق التغيير، ووسيلة لمعرفة الحقيقة، قبل أن يأتي يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون، إلا من أتى الله بقلب سليم.

(١) سورة الحشر (١٨).

(٢) روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: «حَاسِبُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُحَاسَبُوا، وَزِنُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُوزَنُوا». أخرجه الترمذي في سننه، كتاب صفة القيامة، باب في الحساب، برقم (٢٤٤٩)، وقال: «حديث حسن»، وابن أبي الدنيا في كتاب المحاسبة.

تعليمات الاختبار

قبل أن تبدأ في الإجابة عن أسئلة الاختبار، نرجو منك - أيها القارئ الكريم - أن تراعي التعليمات التالية:

١. كن صادقاً مع نفسك: هذا الاختبار ليس ليراه أحد، إنما هو بينك وبين نفسك، وبينك وبين ربك. فلا تجامل نفسك، ولا تبالي في التقييم، بل كن صادقاً، فالصدق هو مفتاح التغيير.

٢. أجب بسرعة: لا تتردد كثيراً في الإجابة، بل اختر الإجابة التي تتبادر إلى ذهنك أولاً، فهي غالباً ما تكون الأصدق.

٣. قس نفسك على واقعك الحالي: لا تقس نفسك على ما كنت عليه في الماضي، ولا على ما تطمح إليه في المستقبل، بل على ما أنت عليه اليوم، في هذه اللحظة.

٤. دوّن إجاباتك: احتفظ بإجاباتك على ورقة، أو في هاتفك، حتى تتمكن من مراجعة نتيجتك، ومقارنتها بما ستكون عليه بعد فترة من التطبيق.

٥. تذكر أن الهدف هو التطوير: هذا الاختبار ليس للحكم عليك، بل لمساعدتك على التطور، فمن عرف عيوبه، استطاع أن يعالجها، ومن عرف فضائله، استطاع أن ينميها.

أسئلة الاختبار التشخيصي

يتكون الاختبار من خمسة مجالات، كل مجال يختبر جانباً من جوانب الشكر، ويحتوي كل مجال على خمسة أسئلة، ليكون المجموع خمسة وعشرين سؤالاً. ولكل سؤال أربع إجابات، تتفاوت في درجاتها من ١ إلى ٤، كالتالي:

٠. (أ) = ٤ درجات (دائماً)

٠. (ب) = ٣ درجات (غالباً)

٠. (ج) = ٢ درجات (أحياناً)

٠. (د) = ١ درجة (نادراً)

المجال الأول: شكر القلب (الاعتراف بالنعمة والخضوع للنعمة)

١. هل تشعر في أعماق قلبك أن كل نعمة في حياتك هي من الله وحده، ولا تنسبها إلى نفسك أو إلى الأسباب؟

(أ) دائماً أشعر بذلك، وأردد في قلبي: "ما بي من نعمة فمن الله."

(ب) غالباً ما أشعر بذلك، لكنني قد أنسى أحياناً.

(ج) أشعر بذلك أحياناً، خاصة في المواقف الشديدة.

(د) نادراً ما أشعر بذلك، وأغلب ظني أن النعم من كسبي.

٢. هل يخضع قلبك لله عند تذكر نعمه، وتشعر بالذل والانكسار بين يديه؟

(أ) دائماً، كلما تذكرت نعم الله، خشع قلبي، وذلت له.

(ب) غالباً، لكنني قد أكون قاسي القلب أحياناً.

(ج) أحياناً، خاصة عند سماع آيات النعم أو المواعظ.

(د) نادراً، قلبي لا يتأثر كثيراً بتذكر النعم.

٣. هل تخاف من زوال النعم، وتستعيز بالله من تحول العافية وفجأة النعمة؟

(أ) دائماً، وأكثر من دعاء: "اللهم إني أعوذ بك من زوال نعمتك."

(ب) غالباً، لكنني قد أغفل أحياناً.

- (ج) أحياناً، خاصة عند رؤية من فقد نعمته.
- (د) نادراً، لا أفكر في زوال النعم، وأعتقد أنها دائمة.
٤. هل تشعر بالرضا بقضاء الله، سواء في السراء أو الضراء، وتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك؟
- (أ) دائماً، قلبي راضٍ بقضاء الله في كل حال.
- (ب) غالباً، لكنني أتسخط أحياناً في الشدائد.
- (ج) أحياناً، أَرْضَى في السراء، وأتسخط في الضراء.
- (د) نادراً، قلبي دائم التذمر والتسخط.
٥. هل تحب الله محبة تدفعك إلى طاعته، وتشعر بلذة العبادة والقرب منه؟

- (أ) دائماً، حب الله هو أغلى ما في قلبي، وأشعر بلذة الطاعة.
- (ب) غالباً، لكنني قد تفتت محبتي أحياناً.
- (ج) أحياناً، أشعر بلذة الطاعة في بعض الأوقات.
- (د) نادراً، الطاعة عندي ثقيلة، ولا أشعر بلذتها.
- المجال الثاني : شكر اللسان (الحمد والثناء والتحدث بالنعم)
٦. هل تلهج بذكر الله وحمده في كل وقت، وتكثر من قول: "الحمد لله" في السراء والضراء؟

- (أ) دائماً، لساني رطب بذكر الله وحمده في كل حال.
- (ب) غالباً، لكنني قد أغفل أحياناً في أوقات الانشغال.
- (ج) أحياناً، أحمده الله في المناسبات فقط.
- (د) نادراً، لا أذكر الله إلا في الصلاة.
٧. هل تتحدث بنعم الله على الناس، على سبيل الاعتراف بفضله، لا على سبيل الفخر والاستعراض؟
- (أ) دائماً، أتحدث بنعم الله وأظهرها شكراً له.
- (ب) غالباً، لكنني أحتاط من الرياء.

(ج) أحياناً، أتحدث بها في مجالس معينة.
(د) نادراً، أخفي نعم الله، ولا أتحدث بها.
٨. هل تحمد الله على الطعام والشراب، وتقول: "الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا"؟

(أ) دائماً، لا أكل ولا أشرب إلا وأحمد الله.
(ب) غالباً، لكنني قد أنسى أحياناً.
(ج) أحياناً، أتذكر عند بداية الطعام فقط.
(د) نادراً، لا أحمد الله على الطعام والشراب.
٩. هل تقول عند تجدد النعم: "الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات"؟
(أ) دائماً، وأكثر من هذا الدعاء.

(ب) غالباً، عند النعم الكبيرة.
(ج) أحياناً، في المناسبات السعيدة فقط.
(د) نادراً، لا أقول هذا الدعاء.
١٠. هل تشكر الناس على معروفهم، وتعترف بفضلهم، وتكافئهم على إحسانهم؟

(أ) دائماً، أشكر الناس وأعترف بفضلهم وأكافئهم.
(ب) غالباً، لكنني قد أنسى أحياناً.
(ج) أحياناً، أشكر من أحسن إلي في بعض المواقف.
(د) نادراً، لا أشكر الناس، وأعتقد أنهم يؤدون واجبهم.
المجال الثالث: شكر الجوارح (استعمال النعم في طاعة الله)
١١. هل تستعمل جوارحك في طاعة الله، وتحبسها عن معاصيه؟
(أ) دائماً، أستعمل كل جارحة في طاعة الله، وأجتنب المعاصي.
(ب) غالباً، لكنني قد أقع في بعض المعاصي الصغيرة.
(ج) أحياناً، أستعملها في الطاعة تارة، وفي المعصية تارة.
(د) نادراً، جوارحي مستعملة في المعاصي غالباً.

١٢. هل تنفق مالك في سبيل الله، وتؤدي زكاتك، وتتصدق على الفقراء والمساكين؟

(أ) دائماً، أنفق مالي في سبيل الله، وأؤدي زكاتي، وأتصدق.

(ب) غالباً، لكنني قد أتقاعس أحياناً.

(ج) أحياناً، أنفق في بعض المناسبات فقط.

(د) نادراً، لا أنفق مالي في سبيل الله، وأبخل به.

١٣. هل تستغل صحتك في العبادة، وتصلي، وتصوم، وتقرأ القرآن، وتذكر الله؟

(أ) دائماً، أستغل صحتي في العبادة، وأغتني كل لحظة.

(ب) غالباً، لكنني قد أتكاسل أحياناً.

(ج) أحياناً، أستغل بعض أوقات الصحة.

(د) نادراً، أضيع صحتي في اللهو والترفيه.

١٤. هل تنظم وقتك، وتستغله في ما ينفعك في دينك ودنياك، وتجتنب إضاعته؟

(أ) دائماً، أنظم وقتي، وأستغله في الطاعة والعمل النافع.

(ب) غالباً، لكنني قد أضيع بعض الأوقات.

(ج) أحياناً، أنظم وقتي في بعض الأيام.

(د) نادراً، أضيع وقتي في غير فائدة.

١٥. هل تستعمل علمك في طاعة الله، وتعلمه للناس، وتدعو به إلى الخير؟

(أ) دائماً، أستعمل علمي في طاعة الله، وأعلمه الناس.

(ب) غالباً، لكنني قد أبخل بالعلم أحياناً.

(ج) أحياناً، أعلم من يسألني فقط.

(د) نادراً، لا أستعمل علمي، ولا أعلمه الناس.

المجال الرابع: الشكر في الأحوال المختلفة

١٦. هل تشكر الله في الرخاء، ولا تغتر بنعمك، وتتواضع لله وللناس؟

(أ) دائماً، أشكر في الرخاء، وأتواضع ولا أغتر.
(ب) غالباً، لكنني قد أغتر أحياناً في أوقات السعة.
(ج) أحياناً، أشكر في الرخاء، لكنني أغتر في بعض الأحيان.
(د) نادراً، أغتر بنعمي، ولا أشكر الله عليها.
١٧. هل تصبر على البلاء، وترضى بقضاء الله، بل تشكره على حكمته في ابتلائك؟

(أ) دائماً، أصبر وأرضى، وأشكر الله على حكمته.
(ب) غالباً، لكنني قد أتسخط في بعض البلاء.
(ج) أحياناً، أصبر على البلاء الخفيف، وأتسخط على الشديد.
(د) نادراً، أتسخط على البلاء، ولا أراه إلا شراً محضاً.
١٨. هل تشكر الله بعد التوبة والنجاح، وتنسب الفضل إلى الله، ولا تعجب بنفسك؟

(أ) دائماً، أشكر الله بعد التوبة والنجاح، وأقول: "هذا من فضل ربي".
(ب) غالباً، لكنني قد أنسب الفضل إلى نفسي أحياناً.
(ج) أحياناً، أشكر الله في بعض النجاحات.
(د) نادراً، أنسب النجاح إلى نفسي، ولا أشكر الله.
١٩. هل تشكر الله على ما بقي من النعم، عند فقد بعضها، ولا تشغل قلبك بما فقد؟

(أ) دائماً، أشكر الله على ما بقي، ولا أنشغل بما فقد.
(ب) غالباً، لكنني قد أحزن على ما فقد أحياناً.
(ج) أحياناً، أشكر على ما بقي في بعض المواقف.
(د) نادراً، أنشغل بما فقد، وأنسى ما بقي.
٢٠. هل تشكر الله على نعمه التي أنعم بها على الناس، وتفرح لهم، ولا تحسد هم عليها؟

(أ) دائماً، أفرح للناس بنعمهم، وأشكر الله عليها.
(ب) غالباً، لكنني قد أحس بعض الحسد أحياناً.

(ج) أحياناً، أفرح لبعض الناس، وأحسد آخرين.
(د) نادراً، أحسد الناس على نعمهم، ولا أفرح لهم.
المجال الخامس: التغلب على موانع الشكر
٢١. هل تتغلب على الغفلة، وتذكر نعم الله في كل وقت، ولا تنسى فضله؟

(أ) دائماً، أتغلب على الغفلة، وأتذكر نعم الله باستمرار.
(ب) غالباً، لكنني قد أغفل أحياناً.
(ج) أحياناً، أتذكر النعم في بعض الأوقات.
(د) نادراً، أعيش في غفلة عن نعم الله.
٢٢. هل تتغلب على المقارنة بالآخرين، وتنظر إلى من هو أسفل منك، وتشكر الله على نعمك؟

(أ) دائماً، أنظر إلى من هو أسفل، ولا أقارن نفسي بمن هو فوق.
(ب) غالباً، لكنني قد أقارن نفسي بالآخرين أحياناً.
(ج) أحياناً، أنظر إلى من هو أسفل في بعض الأحيان.
(د) نادراً، أقارن نفسي بمن هو فوق، وأشعر بالنقص.
٢٣. هل تتغلب على الاعتياد، وتشعر بقيمة النعم، ولا تعتادها حتى تفقد قيمتها؟

(أ) دائماً، أشعر بقيمة النعم، ولا أعتادها.
(ب) غالباً، لكنني قد أعتاد بعض النعم أحياناً.
(ج) أحياناً، أشعر بقيمة النعم في بعض الأوقات.
(د) نادراً، اعتدت النعم، ولا أشعر بقيمتها.
٢٤. هل تتغلب على الطمع، وتقنع بما قسمه الله لك، ولا تطمع فيما في أيدي الناس؟

(أ) دائماً، أقنع بما قسمه الله لي، ولا أطمع فيما عند الناس.
(ب) غالباً، لكنني قد أطمع أحياناً في بعض الأشياء.

(ج) أحياناً، أقنع في بعض الأمور، وأطمع في أخرى.
(د) نادراً، لا أقنع بما عندي، وأطمع فيما في أيدي الناس.
٢٥. هل تتغلب على استعمال النعم في المعاصي، وتستعملها في طاعة الله فقط؟

(أ) دائماً، أستعمل النعم في طاعة الله، ولا أستعملها في المعاصي.
(ب) غالباً، لكنني قد أقنع في بعض المعاصي أحياناً.
(ج) أحياناً، أستعمل النعم في الطاعة تارة، وفي المعصية تارة.
(د) نادراً، أستعمل النعم في المعاصي غالباً.

طريقة التصحيح وتحليل النتائج

بعد أن أجبت عن جميع الأسئلة، احسب مجموع درجاتك على النحو التالي:

- اجمع درجاتك في كل مجال على حدة.
- اجمع درجات جميع المجالات للحصول على النتيجة الإجمالية.
- الحد الأقصى للدرجات 25 : سؤال $\times 4$ درجات = 100 درجة.
- نتيجة الاختبار:

• من 80 إلى 100 درجة: الشاكر الممتاز
أنت من الشاكرين الذين ذكرهم الله في قوله: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾^(١)
لقد بلغت أعلى مراتب الشكر، وهذا دليل على قوة إيمانك، وحسن يقينك، وسلامة قلبك. احمد الله على هذه النعمة العظيمة، واسأله الثبات عليها، والزيادة منها. ولكن انتبه - رعاك الله - فإن إبليس لا ينام، وفتن الدنيا لا تتوقف، فاحذر من الغرور، واستمر في مجاهدة نفسك، وطلب المزيد من القرب من الله.

• من 60 إلى 79 درجة: الشاكر المتوسط
أنت في منزلة وسطى بين الشاكرين، تؤدي بعض حقوق الشكر، وتقصر في بعضها الآخر. وهذا أمر طبيعي، لأن الشكر يحتاج إلى جهاد دائم. لكن الفرصة لا تزال أمامك للارتقاء إلى منزلة الشاكرين الممتازين. انظر إلى النقاط التي نقصت فيها، واعمل على تطويرها، واستعن بالله، فإنه المعين.

• من 40 إلى 59 درجة: الشاكر المقصر
أنت في بداية الطريق، وقد قصرت في كثير من حقوق الشكر، ولكنك لا تزال في رحاب الله، ولديك فرصة للتغيير والتطوير. اعلم أن الشكر هو مفتاح كل خير، وأن الله وعد الشاكرين بالمزيد، فاعزم على التغيير، واتخذ خطوات عملية لتحسين شكرك لله، وابدأ بالأهم فالأهم.

• من 0 إلى 39 درجة: المفرط في الشكر

(١) سورة سبأ (١٣).

أنت في خطر كبير، لأنك فرطت في شكر الله، وهو أعظم ما أمر به. ولكن باب التوبة مفتوح، والله يقبل التوبة عن عباده، ويمحو السيئات. ابدأ من اليوم، وتوب إلى الله، واجتهد في شكره، واستعن بالله، واستشر الصالحين، واقرأ هذا الكتاب من جديد، وتدبر آياته وأحاديثه وآثاره، وعاهد الله على التغيير.

الخطوة العلاجية بعد الاختبار

بعد أن عرفت نتيجتك، وحددت نقاط قوتك وضعفك، نقدم لك خطة علاجية عملية، تساعدك على تطوير شكرك لله، والارتقاء في مدارج الشاكرين.

الخطوة الأولى: التوبة والاستغفار:

إذا كنت من المفرطين أو المقصرين، فابدأ بالتوبة إلى الله، والاستغفار من ذنوبك، والعزم على عدم العودة إليها. قال تعالى: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾^(١)

الخطوة الثانية: تحديد النقاط الضعيفة:

انظر إلى المجالات التي حصلت فيها على درجات منخفضة، وحدد الأسباب التي أدت إلى ذلك، وخطط لعلاجها.

الخطوة الثالثة: وضع أهداف يومية وأسبوعية:

ضع لنفسك أهدافاً يومية وأسبوعية لتطوير شكرك، مثل:

• أن تبدأ يومك بدعاء الصباح: "اللَّهُمَّ مَا أَصْبَحَ بِي مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنْكَ وَحَدِّكَ، لَا شَرِيكَ لَكَ، فَلَكَ الْحَمْدُ وَلَكَ الشُّكْرُ"^(٢).

• أن تختتم يومك بدعاء المساء: "اللَّهُمَّ مَا أَمْسَى بِي مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنْكَ وَحَدِّكَ، لَا شَرِيكَ لَكَ، فَلَكَ الْحَمْدُ وَلَكَ الشُّكْرُ".

• أن تحمد الله بعد كل طعام وشراب.

• أن تشكر شخصاً واحداً على الأقل كل يوم.

• أن تستخدم نعمة من نعم الله في طاعته كل يوم.

الخطوة الرابعة: مراجعة التقدم:

في نهاية كل أسبوع، راجع تقدمك، وانظر إلى ما حققته من أهداف، وحدد ما تحتاج إلى تحسينه، وكرر الاختبار بعد شهر، وقارن نتيجتك بالنتيجة السابقة.

الخطوة الخامسة: الدعاء بالثبات على الشكر:

(١) سورة النور (٣١).
(٢) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الأدب، باب ما يقول إذا أصبح، برقم (٥٠٧٣)، وابن حبان في صحيحه، برقم (٨٦١)، واللفظ لأبي داود، وحسنه ابن القيم في زاد المعاد (٣٧٣/٢)، والنووي في الأذكار (ص ٧٤)، والحافظ ابن حجر في تعليقه على صحيح ابن حبان.

أكثر من الدعاء بالثبات على الشكر، واسأل الله المعونة عليه. كان النبي ﷺ يعلم معاذ بن جبل رضي الله عنه أن يقول في دبر كل صلاة: "اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ" ^(١).
نسأل الله أن يوفقنا جميعًا للشكر على نعمه، وأن يجعلنا من القليلين الشكورين، الذين قال فيهم: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرُونَ﴾ ^(٢)

(١) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الصلاة، باب في الاستعاذة من العجز والكسل، برقم (١٥٢٢)، والنسائي في سننه، كتاب السهو، باب نوع آخر من الدعاء، برقم (١٣٠٣)، عن معاذ بن جبل رضي الله عنه، واللفظ لأبي داود.
(٢) سورة سبأ (١٣).

برنامج يومي لشكر النعم (الورد اليومي)

بعد أن قدمنا اختباراً تشخيصياً، ليعرف كل قارئ منزلته بين الشاكرين، ويحدد نقاط قوته وضعفه، ننتقل الآن إلى الخطوة التطبيقية الأهم: إنه البرنامج اليومي لشكر النعم، أو ما يمكن تسميته بالورد اليومي للشكر. فهو المنهج العملي الذي يترجم كل ما تعلمناه في هذا الكتاب إلى سلوك يومي، يجعل الشكر عادة راسخة في القلب، ومنهج حياة لا مجرد شعور عابر.

وإن من أعظم ما يثلج الصدر، أن نعلم أن النبي ﷺ كان له ورد يومي من الذكر والدعاء، كان يحرص عليه في كل صباح ومساءً، وكان يعلمه لأصحابه، ويوصيهم به. فقد كان ﷺ إذا أصبح قال دعاءً، وإذا أمسى قال دعاءً، وإذا أكل حمد، وإذا شرب شكر، وإذا تجددت له نعمة اعترف بها، وإذا خاف زوالها استعاذ بالله منها. وقد قال الله تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾^(١) وهذا الأمر بالذكر والشكر يدل على أن لهما ورداً يومياً، لا بد من المحافظة عليه.

وقد قال رسول الله ﷺ: "مَنْ قَالَ حِينَ يُصْبِحُ: اللَّهُمَّ مَا أَصْبَحَ بِي مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنْكَ وَحَدِّكَ، لَا شَرِيكَ لَكَ، فَلكَ الْحَمْدُ وَلَكَ الشُّكْرُ، فَقَدْ أَدَّى شُكْرَ يَوْمِهِ، وَمَنْ قَالَ مِثْلَ ذَلِكَ حِينَ يُمَسِّي فَقَدْ أَدَّى شُكْرَ لَيْلَتِهِ"^(٢) فهذا الحديث يبين أن للشكر ورداً يومياً، وأن من قال هذا الدعاء فقد أدى شكر يومه كله.

(١) سورة البقرة (١٥٢).

(٢) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الأدب، باب ما يقول إذا أصبح، برقم (٥٠٧٣)، وابن حبان في صحيحه، برقم (٨٦١)، واللفظ لأبي داود، وحسنه ابن القيم في زاد المعاد (٣٧٣/٢)، والنووي في الأذكار (ص ٧٤)، والحافظ ابن حجر في تعليقه على صحيح ابن حبان.

أهمية الورد اليومي للشكر

الورد اليومي للشكر ليس مجرد أذكار تقال، بل هو منهج حياة، وهو سياج يحفظ النعم، وقيد يمنعها من الزوال، وباب يفتح المزيد من فضل الله.

أولاً: الورد اليومي يثبت الشكر في القلب:

الذكر والشكر إذا تكررا، رسخا في القلب، وصارا عادة، وسهل على العبد الاستمرار عليهما. قال تعالى: ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾^(١). فالورد اليومي يطمئن القلب، ويثبت الإيمان، ويزيد الشكر.

ثانياً: الورد اليومي يحفظ النعم من الزوال:

الشكر هو قيد النعم، كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "النعم وحشية قيدوها بالشكر"^(٢). والورد اليومي هو هذا القيد الذي يربط النعم، ويمنعها من الزوال.

ثالثاً: الورد اليومي يفتح باب المزيد:

قال تعالى: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾^(٣) والورد اليومي للشكر هو الطريق إلى هذا المزيد، فمن داوم على شكر الله، زاده الله من فضله.

رابعاً: الورد اليومي يقي من الغفلة:

الغفلة هي عدو الشكر، والورد اليومي هو السلاح الذي يقي من الغفلة، ويذكر العبد بنعم الله في كل وقت. قال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ﴾^(٤)

(١) سورة الرعد (٢٨).

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الشكر، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: «النعم وحشية قيدوها بالشكر». انظر شرح الحكم العطانية للشيخ زروق، ونضرة النعيم (٣١٢٩/٨).

(٣) سورة إبراهيم (٧).

(٤) سورة الحشر (١٩).

البرنامج اليومي للشكر (الورد اليومي)

نقدم هنا برنامجاً يومياً متكاملًا لشكر النعم، مقسمًا إلى أوقات اليوم، من الاستيقاظ إلى النوم، مستلهماً من هدي النبي ﷺ، ومن فقه السلف.

أولاً: برنامج الصباح (من الاستيقاظ إلى الظهر)

1. عند الاستيقاظ من النوم:

• أن تقول: "الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَحْيَانَا بَعْدَ مَا أَمَاتَنَا، وَإِلَيْهِ النُّشُورُ" ^(١). فهذا دعاء شكر على نعمة إحياء النفس بعد النوم، وهي نعمة عظيمة يغفل عنها كثير من الناس.

• أن تقول: "لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ" ^(٢).

2. عند الخروج من المنزل:

• أن تقول: "بِسْمِ اللَّهِ، تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ، لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ" ^(٣).

• أن تشكر الله على نعمة الأمن، والحرية، والقدرة على الحركة.

3. أذكار الصباح (بعد صلاة الفجر حتى طلوع الشمس):

• أن تقول: "اللَّهُمَّ مَا أَصْبَحَ بِي مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنْكَ وَحْدَكَ، لَا شَرِيكَ لَكَ، فَلَكَ الْحَمْدُ وَلَكَ الشُّكْرُ" ^(٤).

• أن تقول: "أَصْبَحْنَا وَأَصْبَحَ الْمُلْكُ لِلَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، رَبِّ أَسْأَلُكَ خَيْرَ مَا فِي هَذَا الْيَوْمِ وَخَيْرَ مَا بَعْدَهُ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا فِي هَذَا الْيَوْمِ وَشَرِّ مَا بَعْدَهُ، رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْكَسَلِ وَسُوءِ الْكِبَرِ، رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابٍ فِي النَّارِ وَعَذَابٍ فِي الْقَبْرِ" ^(٥).

• أن تقول: "اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ فِي دِينِي وَدُنْيَايَ وَأَهْلِي وَمَالِي، اللَّهُمَّ اسْتُرْ عَوْرَاتِي، وَآمِنْ

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الدعوات، باب الدعاء عند النوم، برقم (٦٣١٢).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، برقم (٦٣١٧)، ومسلم في صحيحه، برقم (٢٧١٠).

(٣) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الأدب، باب ما يقول إذا خرج من بيته، برقم (٥٠٩٥).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الذكر والدعاء، باب ما يقول عند الصباح والمساء، برقم (٢٧٢٣).

(٥) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الأدب، باب في الدعاء، برقم (٥٠٧٤).

رَوْعَاتِي، اللَّهُمَّ احْفَظْنِي مِنْ بَيْنِ يَدَيَّ وَمِنْ خَلْفِي، وَعَنْ يَمِينِي وَعَنْ شِمَالِي، وَمِنْ فَوْقِي، وَأَعُوذُ بِعَظَمَتِكَ أَنْ أُغْتَالَ مِنْ تَحْتِي." (١)

• أن تسبح الله وتحمده: "سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ" مائة مرة، فقد قال رسول الله ﷺ: "مَنْ قَالَ حِينَ يُصْبِحُ وَحِينَ يُمَسِّي: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، مِائَةَ مَرَّةٍ، لَمْ يَأْتِ أَحَدٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِأَفْضَلَ مِمَّا جَاءَ بِهِ" (٢).

4. عند الأكل والشرب:

• أن تقول قبل الأكل: "بِسْمِ اللَّهِ"، وبعد الأكل: "الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَطْعَمَنِي هَذَا وَرَزَقَنِيهِ مِنْ غَيْرِ حَوْلٍ مِنِّي وَلَا قُوَّةٍ" (٣).

• أن تقول: "الْحَمْدُ لِلَّهِ كَثِيرًا طَيِّبًا مُبَارَكًا فِيهِ، غَيْرَ مَكْفِيٍّ وَلَا مُودَّعٍ، وَلَا مُسْتَغْنَى عَنْهُ رَبَّنَا" (٤).

• أن تذكر نعمة الماء والطعام، وتشكر الله عليها.

5. عند رؤية النعمة أو تجددتها:

• أن تقول: "الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي بِنِعْمَتِهِ تَتِمُّ الصَّالِحَاتُ" (٥).

• أن تقول: "مَا شَاءَ اللَّهُ، لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ" (٦).

ثانيًا: برنامج المساء (من العصر إلى النوم)

1. أذكار المساء (بعد صلاة العصر حتى المغرب):

• أن تقول: "اللَّهُمَّ مَا أَمْسَى بِي مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنْكَ وَحْدَكَ، لَا شَرِيكَ لَكَ، فَلَكَ الْحَمْدُ وَلَكَ الشُّكْرُ" (٧).

• أن تقول: "أَمْسَيْنَا وَأَمْسَى الْمُلْكُ لِلَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، رَبِّ أَسْأَلُكَ خَيْرَ مَا فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ وَخَيْرَ مَا بَعْدَهَا، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ وَشَرِّ مَا بَعْدَهَا، رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْكَسَلِ وَسُوءِ الْكِبَرِ، رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابٍ فِي النَّارِ وَعَذَابٍ فِي الْقَبْرِ."

• أن تقول: "اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ."

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الذكر والدعاء، باب فضل التسبيح والتحميد، برقم (٢٦٩٢)

(٢) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الأطعمة، باب ما يقول الرجل إذا أكل، برقم (٤٠٢٣)

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأطعمة، باب ما يقول إذا فرغ من طعامه، برقم (٥٤٥٨)

(٤) أخرجه ابن ماجه في سننه، كتاب الأدب، باب ما جاء في الحمد، برقم (٣٨٠٥)، عن عائشة رضي الله عنها.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الدعوات، باب الدعاء إذا رأى منزله، برقم (٦٣٦٢)

(٦) أخرجه ابن ماجه في سننه، كتاب الأدب، باب ما جاء في الحمد، برقم (٣٨٠٥)، عن عائشة رضي الله عنها.

١. أن تسبح الله وتحمده " :سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ "مائة مرة.
2. عند رؤيته ما يكره أو ما يخاف منه:
 أن تقول " :الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ. "
 أن تقول " :لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ " (١).
3. عند رؤية المبتلين:
 أن تقول " :الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَافَانِي مِمَّا ابْتَلَاكَ بِهِ، وَفَضَّلَنِي عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقَ تَفْضِيلًا " (٢).
4. قبل النوم:
 أن تقول " :بِسْمِكَ اللَّهُمَّ أَمُوتُ وَأَحْيَا " (٣).
 أن تقول " :اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْلَمْتُ نَفْسِي إِلَيْكَ، وَوَجَّهْتُ وَجْهِي إِلَيْكَ، وَفَوَّضْتُ أَمْرِي إِلَيْكَ، وَأَلْجَأْتُ ظَهْرِي إِلَيْكَ، رَغْبَةً وَرَهْبَةً إِلَيْكَ، لَا مَلْجَأَ وَلَا مَنْجَا مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ، آمَنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ، وَنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ " (٤).
 أن تشكر الله على نعمة اليوم، وتستغفره من تقصيرك في شكره.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الدعوات، باب الدعاء عند الكرب، برقم (٦٣٨٦)
 (٢) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب الزهد، باب ما جاء فيمن رأى مبتلياً، برقم (٣٤٣٠)
 (٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الدعوات، باب الدعاء عند النوم، برقم (٦٣١٢)
 (٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الدعوات، باب الدعاء عند النوم، برقم (٦٣١٧)

جدول زمني مقترح للورد اليومي
لتسهيل تطبيق هذا البرنامج، نقدم جدولاً زمنياً مقترحاً، يمكنك
تعديله حسب وقتك وظروفك:

الوقت	المدة	العبادة أو الذكر
عند الاستيقاظ	دقيقة	دعاء الاستيقاظ، والحمد لله على الإحياء
بعد الوضوء	دقيقة	الدعاء عند الخروج من المنزل
بعد صلاة الفجر	5-10 دقائق	أذكار الصباح (الدعاء الجامع، التسبيح)
قبل الأكل	لحظة	التسمية
بعد الأكل	دقيقة	الحمد والدعاء
عند رؤية النعم	لحظة	الحمد والتسبيح
بعد صلاة العصر	5-10 دقائق	أذكار المساء (الدعاء الجامع، التسبيح)
قبل النوم	3-5 دقائق	دعاء النوم، الاستغفار، الشكر على اليوم

تطبيقات عملية لتعزيز الشكر اليومي

إلى جانب الأذكار اليومية، هناك تطبيقات عملية تعزز الشكر في القلب، وتجعل العبد دائم الاتصال بالله، دائم الاعتراف بنعمه.

أولاً: دفتر النعم:

أن تحتفظ بدفتر صغير أو في مفكرة الهاتف الرقمي، تدون فيه كل يوم ثلاث نعم جديدة تشكر الله عليها، وتكتب كيف استعملتها في طاعة الله. وهذا التطبيق مستوحى من قول الله تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾^(١). فالتحدث بالنعم، وتدوينها، يعين على شكرها، ويزيدها بركة.

ثانياً: تأمل النعم عند رؤيتها:

عندما ترى نعمة من نعم الله، سواء كانت في نفسك، أو في غيرك، توقف لحظة، وتأملها، واشكر الله عليها، واعترف بفضله. قال تعالى: ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾^(٢)

ثالثاً: مشاركة النعم مع الآخرين:

أن تشارك أسرتك وأصدقائك في الحديث عن نعم الله، وتذكرهم بفضله، وتحثهم على شكره. وهذا من تمام الشكر، لأنه نشر للخير، وتعاون على البر والتقوى.

رابعاً: الدعاء بالثبات على الشكر:

أن تكثر من الدعاء: اللَّهُمَّ اعْنِي عَلَيَّ ذِكْرَكَ وَشُكْرَكَ وَحُسْنَ عِبَادَتِكَ^(٣) فهذا الدعاء يعين على الثبات على الشكر، ويجعل العبد دائم التوفيق له.

خامساً: المحاسبة اليومية:

في نهاية كل يوم، خصص ٥ دقائق لمحاسبة نفسك: ماذا شكرت الله عليه اليوم؟ هل قصرت في شكر نعمه؟ هل استعملت نعمه في طاعته؟ واستغفر الله من تقصيرك.

(١) سورة الضحى (١١).

(٢) سورة الذاريات (٢١).

(٣) سورة سبأ (١٣).

نصائح للثبات على البرنامج

الالتزام بالبرنامج اليومي يحتاج إلى عزيمة وصبر، وقد يواجه العبد بعض التحديات التي تمنعه من الاستمرار. ونقدم هنا بعض النصائح التي تعين على الثبات:

أولاً: البدء بالتدريب:

لا تثقل على نفسك بكل الأذكار مرة واحدة، بل ابدأ بالأهم، ثم أضف تدريجياً، حتى تصبح الأذكار عادة راسخة.

ثانياً: الإخلاص والنية:

اجعل نيتك في هذا البرنامج وجه الله، لا الرياء، ولا السمعة، فإن الإخلاص هو مفتاح القبول.

ثالثاً: التذكير:

ضع تذكيرات على هاتفك، أو في مكان ظاهر في بيتك، لتذكرك بالأذكار في أوقاتها.

رابعاً: الصحبة الصالحة:

شجع أفراد أسرتك، أو أصدقاءك، على المشاركة في هذا البرنامج، فتتعاونون على الخير، وتتناصحون بالحق.

خامساً: الدعاء بالثبات:

أكثر من الدعاء بالثبات على هذا البرنامج، فإن الله هو المثبت، وهو المعين.

دفتر النعم - بين الورق والرقم في زمن وسائل التواصل

في عصر تتدفق فيه وسائل التواصل الاجتماعي، وتتنوع فيه تطبيقات الهواتف الذكية، ولم يعد الناس يستخدمون المفكرات الورقية كما كانوا يفعلون في الماضي، بل أصبحوا يفضلون الوسائل الرقمية السريعة والمتاحة في كل وقت. فكيف نجتمع بين فقه السلف في تذكر النعم، وبين واقع العصر الرقمي؟ هذا ما سنبينه أدناه.

إن من أعظم ما يثلج الصدر، أن نعلم أن الله سبحانه أمرنا بالتحدث بنعمه، فقال: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾^(١). وقد فسر السلف هذه الآية بأن التحدث بالنعم يكون باللسان، وبالقلب، وبالجوارح. والكتابة - سواء كانت ورقية أم رقمية - هي أحد أشكال التحدث بالنعم، بل هي من أبلغها، لأنها تثبت النعم في الذاكرة، وتجعلها حاضرة في القلب، وتعين على دوام شكرها، خاصة عندما نستطيع مشاركتها مع الآخرين بنية حسنة، لنشجعهم على الشكر أيضًا.

وقد كان السلف يحرصون على تذكر النعم، وتعدادها، والتفكير فيها، وكانوا يعدونها بألسنتهم وقلوبهم. قال الحسن البصري رحمه الله: "مَا زَالَتِ النَّعْمُ تَتَابَعُ عَلَى قَوْمٍ مَا تَذَكَّرُوهَا، فَإِذَا نَسُوها انْقَطَعَتْ عَنْهُمْ"^(٢). وقال بعضهم: "مَنْ أَرَادَ أَنْ يَسْتَدِيمَ النُّعْمَةَ، فَلْيُكْثِرْ مِنْ ذِكْرِهَا"^(٣). ودفتر النعم - سواء كان ورقياً أو رقمياً - هو الوسيلة العملية التي تعين على تذكر النعم، وتعدادها، والتفكير فيها، وبذلك تكون سبباً في استدامتها وزيادتها.

(١) سورة الضحى (١١).

(٢) انظر نظرة النعيم، ج ٨، ص ٣١٣١.

(٣) المرجع السابق

مفهوم دفتر النعم وأهميته في العصر الرقمي

دفتر النعم هو سجل يومي تدون فيه النعم التي أنعم الله بها عليك، وتتأملها، وتشكر الله عليها، وتفكر في كيفية استعمالها في طاعته. وهو أداة عملية لتدريب النفس على الشكر، وتعميق الشعور بالنعم، وحفظها من الزوال. وفي عصرنا الرقمي، أصبح هذا الدفتر يأخذ أشكالاً متعددة، تتناسب مع سرعة الحياة وتنوع وسائل التواصل.

أولاً: أهمية دفتر النعم في أي صورة كان:

١. يعين على تذكر النعم: الإنسان بطبيعته سريع النسيان، خاصة فيما يتعلق بالنعم التي يعتادها. ودفتر النعم يعين على تذكرها، وعدم نسيانها. قال تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾^(١).

٢. يزيد الشعور بالنعم: عندما تدون النعم، وتتأملها، وتعددها، تزداد إحساساً بقيمتها، وتشعر بعظمتها، وتكثر من شكر الله عليها.

٣. يدفع إلى شكر النعم: الكتابة عن النعم تدفع إلى شكرها، وتحفز على استعمالها في طاعة الله، وتذكر بوجوب أداء حقها.

٤. يحفظ النعم من الزوال: تذكر النعم وشكرها سبب في بقائها وزيادتها، كما قال تعالى: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾^(٢).

٥. يغير نظرة الإنسان للحياة: عندما تركز على النعم، بدلاً من التركيز على النقائص والمشاكل، تتغير نظرتك للحياة، وتصبح أكثر تفاؤلاً، وأكثر رضا، وأكثر قرباً من الله.

٦. يعين على الصبر عند البلاء: عندما تدون النعم، وتذكرها، تجد في قلبك رصيلاً من النعم يعينك على الصبر عند فقد بعضها، أو عند نزول البلاء.

ثانياً: ما هي النعم التي تدون؟

تدون في دفتر النعم كل نعمة، صغيرة كانت أم كبيرة، ظاهرة أم باطنة، دنيوية أم دينية. ولا تحقرن شيئاً من النعم، فإن النعم الصغيرة قد تكون أعظم أثراً من الكبيرة، كما قال رسول الله ﷺ: "لَا تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئاً، وَلَوْ أَنْ تَلْقَى

(١) سورة آل عمران (١٠٣).

(٢) سورة إبراهيم (٧).

أَخَاكَ بِوَجْهِ طَلِيقٍ" ^(١) وكما قال بعض السلف " : مَنْ أَسْبَغَ اللَّهُ عَلَيْهِ نِعْمَةً، فَلَا يَحْقِرَنَّ شَيْئًا مِنْهَا، فَإِنَّهُ لَا يَدْرِي مَا يَرَى اللَّهُ مِنْهَا " ^(٢).

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة، باب استحباب طلاقة الوجه، برقم (٢٦٢٦).
(٢) انظر فصل الخطاب في الزهد والرقائق، ص ٢٨١.

الخيارات المتاحة لدفتر النعم في العصر الرقمي

لم يعد الأمر مقصوراً على دفتر ورقي كما كان في الماضي، بل أصبح لدينا خيارات متعددة، تتناسب مع طبيعة كل شخص وظروفه. ونقدم هنا خيارات متعددة، لتختار ما يناسبك، أو تدمج بين أكثر من خيار:

الخيار الأول: دفتر النعم الورقي التقليدي:

وهو الخيار الذي كان يستخدمه السلف، وإن لم يكونوا يدونون كتابة بقدر ما كانوا يتذكرون ويعدون، لكن الكتابة تعين على الحفظ والتأمل. وهذا الخيار يناسب من يحب الورق والقلم، ومن يريد الابتعاد عن الشاشات في أوقات التأمل. اختر دفترًا جميلًا، وخصصه فقط لهذا الغرض، واكتب فيه بخط يدك، فهذا يعمق الأثر في النفس.

الخيار الثاني: تطبيقات الملاحظات على الهاتف:

وهو الخيار الأكثر انتشارًا في عصرنا، حيث توجد تطبيقات سهلة ومتاحة دائمًا، كـ "Notes" على أجهزة آبل، أو "Google Keep" على أندرويد، أو "Notion" و "Evernote" للتطبيقات المتقدمة. يمكنك إنشاء ملف خاص بالنعم، وتدوينها يوميًا، وإضافة الصور لها، وتنظيمها حسب التاريخ أو النوع. والميزة هنا أن دفترك معك دائمًا في جيبك، يمكنك الكتابة فيه في أي لحظة تذكر فيها نعمة.

الخيار الثالث: مستند على الكمبيوتر أو السحابة الإلكترونية:

يمكنك إنشاء مستند على برنامج Word أو Google Docs، وتسميته "دفتر النعم"، والكتابة فيه يوميًا. والميزة هنا أن المستند محفوظ على السحابة، فلا تفقده أبدًا، ويمكنك الوصول إليه من أي جهاز. كما يمكنك تنسيقه بشكل جميل، وإضافة الصور والروابط.

الخيار الرابع: قناة أو مجموعة خاصة على وسائل التواصل:

يمكنك إنشاء قناة خاصة بك على تطبيق "تليجرام" أو "واتساب"، وتجعلها خاصة بك فقط (أو مع أفراد أسرتك)، وتكتب فيها النعم يوميًا. ويمكنك إضافة الصور، ومشاركة النعم مع من تثق بهم، لتشجيعهم على الشكر أيضًا.

ولكن احذر من أن تتحول هذه المشاركة إلى استعراض أو رياء، بل اجعلها لله، وللتعاون على البر والتقوى.

الخامس: منشورات عامة بنية حسنة:

إذا كنت تريد نشر الخير، يمكنك كتابة منشور عام على "فيسبوك" أو "تويتر" أو "إنستغرام"، تذكر فيه نعمة من نعم الله، وتشكره عليها، وتدعو الآخرين إلى الشكر. ولكن يجب أن تراعي الآداب الشرعية: ألا يكون في ذلك رياء، وألا تظهر نعمة قد تثير حسد الآخرين، وألا يكون في ذلك تفاخر. بل اجعل منشورك تعليميًا تذكيريًا، يذكر الناس بفضل الله، ويدعوهم إلى الشكر. قال تعالى: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (١)

طريقة تطبيق دفتر النعم (الصيغة الرقمية والورقية معاً)

نقدم هنا طريقة عملية لتطبيق دفتر النعم، يمكن تطبيقها على أي من الخيارات السابقة، سواء ورقية أو رقمية، وسواء فردية أو جماعية.

أولاً: تحديد الوقت والطريقة:

• اختر وقتاً يومياً للكتابة، وليكن وقتاً هادئاً، كأول الصباح، أو آخر الليل.

• حدد الطريقة التي تناسبك: ورقية، أو رقمية، أو مزيجاً بينهما.

• اجعل الكتابة عادة راسخة، ولو بدقيقتين فقط يومياً.

ثانياً: طريقة الكتابة (نموذج مقترح):

لكل يوم، اكتب في دفتر النعم ما يلي:

١. ثلاث نعم جديدة: اكتب ثلاث نعم جديدة تشكر الله عليها في هذا اليوم، ولم تكن قد كتبتها من قبل.

٢. نعمة مميزة: اختر نعمة واحدة، وتأملها، واطلب منها بتفصيل: ما هي؟ كيف أتت إليك؟ كيف تشعر بها؟ كيف تستعملها في طاعة الله؟

٣. شكر عملي: اكتب فعلاً عملياً ستقوم به شكراً لله على هذه النعمة.

٤. دعاء الشكر: اكتب دعاءً تشكر فيه الله على هذه النعمة.

٥. خلاصة اليوم: اكتب خلاصة لما شعرت به اليوم.

ثالثاً: نموذج تطبيقي (رقمي):

نقدم هنا نموذجاً لكتابة يوم في دفتر النعم باستخدام تطبيق "Google Keep"

أو Text: "Notes" ولنفرض أننا بتاريخ: 15 شعبان ١٤٤٦ هـ

15 شعبان ١٤٤٦ هـ

💎 ثلاث نعم جديدة:

1. نوم هادئ دون أرق.

2. صلاة الفجر في المسجد مع الجماعة.

3. زميل ساعدني في العمل.

☀ نعمة مميزة (صلاة الفجر):

- كيف أتت؟ بفضل الله وتوفيقه.

- كيف أشعر بها؟ سكينه وطمأنينة.

-كيف أستعملها؟ بالحرص عليها يوميًا، والدعاء بالثبات.
👏 شكر عملي: سأتصل بأخي لأشجعه على صلاة الفجر.
🕌 دعاء الشكر: اللهم لك الحمد على نعمة الهدى والإسلام، وأعني على
ذكرك وشكرك.

📝 خلاصة اليوم: يوم مبارك، شعرت بقرب الله، وازددت يقينًا.
رابعًا: مشاركة النعم مع الآخرين (بنية حسنة):
إذا اخترت المشاركة على وسائل التواصل، فلتكن مشاركتك تذكيرًا للآخرين،
لا تفاخرًا. اكتب مثلاً:

"الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات. اليوم تذكرت نعمة الأمن التي
نعيشها، فكم من الناس فقدوا هذه النعمة. اللهم احفظ علينا نعمك، واجعلنا
من الشاكرين. من منكم يتذكر نعمة اليوم ويشكر الله عليها؟"

تحديات العصر الرقمي وكيف نتغلب عليها

مع أن الوسائل الرقمية تسهل علينا تدوين النعم، إلا أنها تحمل تحديات قد تصرفنا عن المقصد الأساسي، وهي الشكر لله بخشوع وتأمل. ونذكر هنا بعض التحديات وكيفية التغلب عليها:

أولاً: التشتت وكثرة الإشعارات:

قد تشغلك الإشعارات والرسائل عن الكتابة في دفتر النعم، أو تجعلك تكتب بسرعة دون تأمل.

• الحل: حدد وقتاً للكتابة، وأغلق الإشعارات أثناءه، واجعل الكتابة لاحقاً.

ثانياً: الرياء والاستعراض:

قد تتحول مشاركة النعم على وسائل التواصل إلى استعراض، خاصة إذا كانت عن النعم المادية.

• الحل: اجعل مشاركتك تعليمية تذكيرية، واختر النعم المعنوية التي لا تثير الحسد، كالإيمان، والهداية، والصبر.

ثالثاً: المقارنة بالآخرين: عندما ترى منشورات الآخرين عن نعمهم، قد تقارن نفسك بهم، وتشعر بالنقص.

• الحل: تذكر أن لكل إنسان نعمه الخاصة، وأن ما عندك خير لك مما عندهم، كما قال رسول الله ﷺ: "انْظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ أَسْفَلَ مِنْكُمْ، وَلَا تَنْظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَكُمْ". 420 "وركز على نعمك أنت، واشكر الله عليها.

رابعاً: إدمان وسائل التواصل:

قد تجد نفسك تقضي ساعات في التصفح، وتنسى الكتابة في دفتر النعم.

• الحل: حدد وقتاً معيناً لاستخدام وسائل التواصل، واجعل دفتر النعم أولوية، واجعله جزءاً من روتينك اليومي الذي لا تتخلى عنه.

خامساً: فقدان الخصوصية: قد لا ترغب في أن يرى الآخرون ما تكتبه عن نعمك، خاصة الأمور الشخصية.

• الحل: استخدم الخيارات الخاصة، كالملاحظات الخاصة على الهاتف، أو المستندات المشفرة، أو القنوات الخاصة على تليجرام، وشارك فقط ما ترغب في مشاركته.

الثمرات الروحية لدفتر النعم الرقمي والورقي معاً

سواء اخترت الدفتر الورقي أو الرقمي، أو جمعت بينهما، فإن الثمرات الروحية واحدة، بل قد تكون الرقمية أوسع انتشاراً، إذا أحسنت استخدامها:

١. تعميق الإيمان بالله: عندما تدون النعم وتتأملها، يزداد إيمانك، وتقوى يقينك، وتعلو محبتك لله^(١).

٢. زيادة الشعور بالرضا والسعادة: التركيز على النعم يقلل القلق، ويزيد الرضا.

٣. حفظ النعم من الزوال: الشكر سبب في حفظ النعم، ودفتر النعم يعين على دوام الشكر.

٤. تغيير نظرة الإنسان للحياة: تصبح أكثر تفاؤلاً، وإيجابية، وقدرة على مواجهة التحديات.

٥. تعزيز العلاقات الاجتماعية: عندما تشكر الناس على معروفهم، وتشاركهم حديث النعم، تتحسن علاقاتك.

٦. نشر الخير: عندما تشارك النعم على وسائل التواصل بنية حسنة، تشجع الآخرين على الشكر، وتعم الخير في المجتمع.

تطبيقات إضافية لدفتر النعم في العصر الرقمي

إلى جانب الكتابة اليومية، هناك تطبيقات إضافية يمكنك استخدامها مع دفتر النعم الرقمي:

أولاً: دفتر النعم الأسبوعي في "قناة تليجرام":

أنشئ قناة خاصة على تليجرام، واكتب فيها كل أسبوع أبرز النعم التي مرت بك، وأرسلها لأفراد أسرتك أو أصدقائك، ليتذكروا هم أيضاً نعم الله.

ثانياً: "ستوري" إنستغرام للتذكير بالنعم:

اكتب في "ستوري" إنستغرام نعمة واحدة كل يوم، مع صورة تعبر عنها، واجعلها تذكيراً لنفسك وللآخرين، ولكن دون تكلف أو استعراض.

(١)

ثالثاً: مجموعة "واتساب" عائليّة للشكر: أنشئ مجموعة عائلية على واتساب، وخصصها لذكر النعم، ويشارك فيها كل فرد بنعمة يشكر الله عليها، فتتعاونون على البر والتقوى.

رابعاً: بودكاست أو تسجيل صوتي:

إذا كنت لا تحب الكتابة، سجل مقطعاً صوتياً قصيراً كل يوم، تذكر فيه نعم الله عليك، واحتفظ به في هاتفك، أو شاركه مع من تثق بهم.

نسأل الله أن يوفقنا جميعاً للشكر على نعمه، وأن يجعلنا من القليلين الشكورين، الذين قال فيهم: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ سبأ: ١٣ (١).

وبعد أن قدمنا دفتر النعم بين الورق والرقم، ننتقل - بإذن الله - إلى ثلاثون يوماً من برنامج الشكر المتكامل، لنقدم خطة عملية شهرية، تعينك على السير في مدارج الشاكرين، وتحويل الشكر إلى منهج حياة، مع الاستفادة من وسائل العصر الرقمي في دعم هذه الرحلة.

الخامس: منشورات عامة بنية حسنة:

إذا كنت تريد نشر الخير، يمكنك كتابة منشور عام على "فيسبوك" أو "تويتر" أو "إنستغرام"، تذكر فيه نعمة من نعم الله، وتشكره عليها، وتدعو الآخرين إلى الشكر. ولكن يجب أن تراعي الآداب الشرعية: ألا يكون في ذلك رياء، وألا تظهر نعمة قد تثير حسد الآخرين، وألا يكون في ذلك تفاخر. بل اجعل منشورك تعليمياً تذكيرياً، يذكر الناس بفضل الله، ويدعوهم إلى الشكر. قال تعالى: ﴿وَذَكَرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٢)

(١) سورة سبأ (١٣).

(٢) سورة الذاريات (٥٥).

كيف نربي أبنائنا على ثقافة الشكر؟

الأبناء هم امتداد لنا في هذه الحياة، وهم الثمرة التي نرجو أن تبقى بعدنا، كما أنهم أمانة في أعناقنا، سنسأل عنها يوم القيامة. وقد قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾^(١). فالحفاظ على الأبناء من النار لا يكون إلا بتربيتهم على الإيمان والتقوى والأخلاق الفاضلة، ومن أعظم هذه الأخلاق خلق الشكر.

إن الولد الشاكر هو الولد البار بوالديه، المطيع لربه، الحسن الخلق مع الناس. وقد ذكر القرآن الكريم شكر الوالدين إلى جانب شكر الله، فقال تعالى: ﴿أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾^(٢) فهذا يبين أن شكر الله مرتبط بشكر الوالدين، وأن من لم يشكر أبويه، لم يشكر ربه حق الشكر.

ولئن كان الحديث في تربية الأبناء حديثاً ذا شجون، فإن الحديث عن تربية الشكر في قلوبهم هو من أخصب مواضيعه وأكثرها حاجة إلى التأمل، خاصة في زمن تضاعفت فيه مظاهر النعمة، وتكاثرت وسائل اللهو والإلهاء، وكثرت المقارنات البصرية التي تجعل الطفل يظن أن ما في يده قليل، وأن ما عند الآخرين كثير، فيعيش حالة من التذمر الدائم وعدم الرضا. فكيف نصنع من أبنائنا جيلاً شاكراً، يعرف فضل ربه، ويشكر الناس على معروفهم، ويعيش بقناعة ورضا، ولا يركض وراء السراب، ولا يحسد الأغنياء، ولا يكفر بالعشير؟ هذا ما سنقف عنده، مستعينين بالله، ومتأسسين بهدي النبي ﷺ وسيرة السلف الصالح، مع استحضار واقعنا المعاصر وتحدياته، وبالله التوفيق.

(١) سورة لقمان، الآية ١٤.

(٢) أخرجه أبو داود في سننه،، برقم (٤٨١١)، والترمذي برقم (١٩٥٥)، وقال: «حديث حسن صحيح»

القدوة الحسنة.. الأبوان هما المثال الأول

إن أعظم وسيلة لتربية الأبناء على الشكر، بل على أي خلق من الأخلاق، هي أن يروا ذلك الخلق فينا. فالطفل مرآة لأبويه، وما يراه في سلوكهما يرسخ في نفسه أكثر مما يسمعه من قول.

فإذا اعتاد الأبناء أن يسمعوا من آبائهم وأمهاتهم لفظ الحمد عند كل نعمة، وأن يروا شكرهم لله في السراء والضراء، وشكرهم للناس على معروفهم، كان ذلك أبلغ في نفوسهم من أي درس يلقي عليهم. وقد قال رسول الله ﷺ: «لَا يَشْكُرُ اللَّهُ مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ»^(١).

من كان خلقه جفاء وعدم اعتراف بمعروف الناس، غلب على ظنه أنه لا يشكر الله أيضًا. فإن شكر الناس شعبة من شكر الله، وتدريب النفس عليه يعينها على شكر المنعم الأعلى. وليتأمل الوالدان في قصة نبينا ﷺ مع الصبي الذي قبله، وما فيها من درس في الرحمة والحنان، فقد كان عليه الصلاة والسلام حنوناً على الصغار، مقبلاً لهم، مشعراً إياهم بالمحبة، وهي تربة خصبة لنمو كل خلق جميل، ومنه الشكر.

روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قَبَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ وَعِنْدَهُ الْأَقْرَعُ بْنُ حَابِسٍ التَّمِيمِيُّ جَالِسًا، فَقَالَ الْأَقْرَعُ: إِنَّ لِي عَشْرَةَ مِنَ الْوَلَدِ مَا قَبَّلْتُ مِنْهُمْ أَحَدًا، فَنَظَرَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثُمَّ قَالَ: «مَنْ لَا يَرْحَمُ لَا يُرْحَمُ»^(٢). والرحمة التي غرسها النبي ﷺ في نفوس الصغار، هي عينها التي تفتح قلوبهم لاستشعار النعم والامتنان عليها.

(١) أخرجه البخاري برقم (٥٩٩٧)، ومسلم في صحيحه، (٢٣١٨)، عن أبي هريرة رضي الله عنه، واللفظ للبخاري.

(٢) سورة النمل، الآية ١٩.

وكان السلف الصالح يربون أبناءهم على الشكر بسلوكهم قبل أقوالهم. فقد روي عن عمر بن عبد العزيز رحمه الله أنه كان إذا أتى بطعامه قال: "الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا، وجعلنا من المسلمين". وكان إذا فرغ قال: "الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا، وأشبعنا وأروانا". وكان يعلم أهله وأولاده ذلك، حتى صار لهم عادة وسلوكًا.

روى ابن أبي الدنيا في كتاب "الشكر" عن الحسن البصري رحمه الله قال: "كان الرجل من السلف إذا أكل طعامًا، قال: الحمد لله الذي أطعمنا ورزقنا، وكفانا وآوانا". فهذه القدوة العملية كانت أبلى من آلاف المحاضرات والمواعظ.

التأسيس العملي في البيت.. وسائل تغرس ثقافة الشكر

بعد القدوة العملية، تأتي الوسائل العملية التي تغرس ثقافة الشكر في البيت، وتجعلها ممارسة يومية في حياة الأبناء. وقد كان السلف يحرصون على غرس هذه الثقافة في أبنائهم منذ نعومة أظفارهم، حتى تصبح طبعًا وسجية، لا تكلفًا وتصنعًا. ومن أهم هذه الوسائل:

أولاً: تعويد الأبناء على ذكر الله عند النعم:

كان سيدنا سليمان عليه السلام قدوة في هذا، حين فهم قول النملة فتبسم ضاحكاً من قولها، ثم قال: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾^(١) وفي موضع آخر حين استقر عرش بلقيس عنده، قال: ﴿هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ﴾^(٢) فهذا التوجيه القرآني يعلمنا أن ننبه أبنائنا إلى نسب النعم إلى الله، والاعتراف بأنها منه وحده، لا من كسبهم ولا من حيلتهم. وهذا هو عين التوحيد، وهو لب الشكر وأساسه. قال ابن القيم رحمه الله: "الشكر هو اعتراف القلب بنعمة الله، وثناء اللسان بها، واستعمال الجوارح فيها". ومتى علم الابن أن النعم من الله، وليس من نفسه ولا من غيره، هان عليه شكرها، وتواضع لله وشكر له.

ثانياً: شكر الناس.. والاعتراف بالجميل:

ومن تمام شكر الله، شكر الناس على معروفهم. فالبيت الذي يكثر فيه قول "جزاك الله خيراً"، و"بارك الله فيك"، و"شكراً"، ويتم فيه الاعتراف بالجميل، هو البيت الذي ينمو فيه الشكر في قلوب الأبناء. وقد روي عن النبي ﷺ قوله: «مَنْ صَنَعَ إِلَيْكُمْ مَعْرُوفًا فَكَافِئُوهُ، فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا مَا تُكَافِئُونَهُ فَادْعُوا لَهُ حَتَّى تَرَوْا أَنَّكُمْ قَدْ كَافَأْتُمُوهُ»^(٣). فالدعاء لمن أحسن إلينا هو نوع من المكافأة، وهو عبادة وشكر في آن واحد. وقد روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن

(١) سورة النمل، الآية ٤٠.

(٢) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الأدب، باب في مكافأة المعروف، برقم (١٦٧٢)، والنسائي في سننه، كتاب الزكاة، باب الدعاء للمتصدق، برقم (٢٥٦٢)، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب، برقم (٢٠٢٢)، عن عائشة رضي الله عنها.

(٣) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب من لا يشكر الناس لا يشكر الله، برقم (٧٨).

النبي ﷺ قال: مَنْ صَنَعَ إِلَيْكُمْ مَعْرُوفًا فَكَافِئُوهُ، وَإِنْ لَمْ تَجِدُوا مَا تُكَافِئُونَهُ فَادْعُوا لَهُ^(١).

ثالثاً: النظر إلى الأسفل.. تذكير النعم:

كان من توجيه النبي ﷺ: «انظروا إلى مَنْ هُوَ أَسْفَلَ مِنْكُمْ، وَلَا تَنْظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَكُمْ، فَهُوَ أَجْدَرُ أَنْ لَا تَزْدَرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ»^(٢). وفي هذا تربية عملية على الشكر، بأن نوجه نظر أبنائنا إلى من هم أقل منهم نعمة، لا إلى من هم أكثر. والتأمل في نعمة الصحة، والأمن، والمأكل والمشرب، والبيت، والأسرة، كلها نعم عظيمة يغفل عنها كثير من الناس، وهي في الحقيقة أصل كل خير. وقد قال بعض السلف: "إذا نظرت إلى من فوقك في المال، فانظر إلى من تحتك في العافية". فهذه النظرة تزرع القناعة، وتدفع إلى الشكر.

رابعاً: تدربهم على الامتنان في التفاصيل اليومية:

ليتعود الابن أن يقول الحمد لله عند الأكل والشرب، وعند اللباس، وعند رؤية شيء يعجبه، وعند سماع خبر سار. فالذكر يقترن بالشكر، والشكر يزيد النعمة، كما قال تعالى: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾^(٣). وكان من هدي النبي ﷺ أنه كان يحمد الله على كل حال، ويعلم أصحابه ذلك. فقد روى ابن ماجه عن أنس بن مالك رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ اللَّهَ لَيَرْضَى عَنِ الْعَبْدِ أَنْ يَأْكُلَ الْأَكْلَةَ فَيُحْمَدُهُ عَلَيْهَا، أَوْ يَشْرِبَ الشَّرْبَةَ فَيُحْمَدُهُ عَلَيْهَا»^(٤). فهذا الحمد في التفاصيل الصغيرة هو الذي يزرع الشكر في القلب، ويجعل العبد دائم الاتصال بربه.

خامساً: إشراكهم في العطاء والإنفاق:

من الوسائل العملية في تربية الأبناء على الشكر، إشراكهم في العطاء والإنفاق، وتعليمهم أن المال نعمة من الله، وأن من شكر هذه النعمة أن ينفقها في سبيل الله، وفي وجوه الخير. قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الزكاة، باب استحباب النظر إلى من هو أسفل في الدنيا، برقم (٢٩٦٣)

(٢) سورة إبراهيم، الآية ٧.

(٣) أخرجه ابن ماجه في سننه، كتاب الأطعمة، باب الحمد لله على الطعام، برقم (٣٢٩٢)

(٤) سورة البقرة، الآية ٢٦٢.

سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبَعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿البقرة: ٢٦٢﴾^(١). وليتخذ الوالدان من صدقاتهم وأعمالهم الخيرية فرصة لتعليم أبنائهم معنى العطاء، وأن ما ينفقونه إنما هو شكر لله على ما أعطاهم، لا منة منه على الفقراء. وقد كان السلف يربون أبناءهم على ذلك، حتى صار بعضهم يتصدق من ماله الخاص، ويشكر الله على أن جعله من أهل الخير والعطاء.

سادساً: القصص التربوية:

ومن أنفع وسائل التربية مع الأبناء، سرد القصص والحكايات التي تترك أثراً في نفوسهم. ومن ذلك ما يروى عن المليونير الذي زار أطفالاً معاقين، ووزع عليهم كراسي متحركة جديدة، فرأى فرحتهم التي لا توصف، وكيف أنهم بعد أن جلسوا على الكراسي، أخذوا يتحركون بها ويلعبون ويضحكون، فقال: ظننت أن هذه هي السعادة، ولكن ما حدث بعد ذلك كان أعظم. فلما هم بالانصراف، تقدم إليه طفل صغير وأمسك بيده، ونظر إليه بعينين مليئتين بالامتنان، وقال له: "شكراً لك... أنت جعلتني أطيّر". عندها بكى المليونير وقال: في تلك اللحظة، أدركت أن أعظم ثروة في الحياة هي أن تكون سبباً في ابتسامة طفل. فهذه القصة، وإن كانت واردة بلفظها عن قصة تلفزيونية، تحمل معنى عميقاً في الامتنان وأثره في النفوس، ويمكن أن تكون وسيلة مؤثرة في تعليم الأبناء معنى الشكر، وأنه ليس مجرد كلمة تقال، بل هو شعور بالامتنان يغير في النفس ويدفعها إلى الخير.

(١) سورة الأنعام، الآية ١٦٥.

مواجهة تحديات العصر الرقمي في تربية الشكر

لا يمكننا أن نغفل عن التحديات الكبيرة التي تفرضها وسائل التواصل على تربية الأبناء على الشكر. فالمقارنات البصرية التي يشاهدونها في "إنستغرام" و"سناب شات" و"تيك توك"، تصنع لديهم شعورًا بالنقص، وتجعل ما في أيديهم يبدو تافهًا قياسًا بما يرونه من حياة الآخرين التي تبدو مثالية. وقد يكون لهذه المقارنات أثر بالغ في نفوس الناشئة، خاصة في سن المراهقة، حيث سرعة التأثير، والرغبة في الانتماء، والشعور بعدم الكفاية. وهنا يأتي دور الأسرة في مواجهة هذه التحديات، وفي تزويد الأبناء بمناعة نفسية وروحية تحميهم من هذه الآفات.

أولاً: التحذير من المقارنات الضارة:

أن نشرح لأبنائنا أن ما يُعرض في هذه الوسائل هو صورة منقحة للحياة، لا تعكس الواقع. وأن وراء كل صورة براقة قصة مختلفة، قد تكون مليئة بالأوجاع والمشاكل. وأن الله لم يخلق الناس متساوين في النعم، بل جعل تفاوتهم ابتلاء واختبارًا، كما قال تعالى: ﴿وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَبْلُوكُمْ فِي مِمَّا آتَاكُمْ﴾^(١). وأن الغنى الحقيقي ليس كثرة المال، بل غنى النفس والقناعة والرضا. قال رسول الله ﷺ: «لَيْسَ الْغِنَى عَنْ كَثْرَةِ الْعَرَضِ، وَلَكِنَّ الْغِنَى غِنَى النَّفْسِ»^(٢).

ثانياً: الموازنة بين استخدام وسائل التواصل والحياة الواقعية:

بتحديد أوقات للاستخدام، وزرع أنشطة بدنية تقوي الروابط الأسرية، وتجعل الأبناء يشعرون بالامتنان لما لديهم. فالبيت الذي توجد فيه أنشطة مشتركة، كالرحلات العائلية، وجلسات الذكر، وقراءة القرآن، والألعاب الجماعية، هو بيت يشعر أبنائه بالرضا والسعادة، ولا يبحثون عن بدائل في عالم افتراضي.

ثالثاً: التربية على القناعة:

بأن نزرع فيهم أن السعادة ليست فيما يملكون، بل في ما يعطون، وفي علاقتهم بالله وبالناس. وقد قال رسول الله ﷺ: «قَدْ أَفْلَحَ مَنْ أَسْلَمَ، وَرَزَقَ

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، باب الغنى غنى النفس، برقم (٦٤٤٦).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الزكاة، باب فضل التعفف والصبر، برقم (١٠٥٤).

كَفَافًا، وَقَنَعَهُ اللَّهُ بِمَا آتَاهُ» ^(١). رواه مسلم. فالقناعة كنز لا يفنى، وهي من أعظم أسباب الشكر والرضا.

رابعاً: تعليمهم نعمة الإيمان والأمن والعافية:

أن نذكرهم دائماً بنعمة الإيمان، ونعمة الأمن، ونعمة العافية، ونعمة الأسرة، فهذه هي أصول النعم التي بها تستقيم الحياة. وأن المال عرض زائل، ليس هو مقياس السعادة ولا قيمة الإنسان. قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ﴾ ^(٢) وتبديل النعمة كفرًا قد يكون بجحودها، وقد يكون بصرفها في معصية الله.

(١) سورة إبراهيم، الآية ٢٨.

(٢) أخرجه الترمذي في سننه، وصححه الألباني في صحيح الجامع، برقم (٤٩٢٣).

علاج الجحود ونكران الجميل في الأبناء

قد يمر الأبناء بمراحل يسود فيها الشعور بعدم الرضا، خاصة في سن المراهقة، حيث سرعة النمو، والرغبة في الانطلاق، والتأثر بالصحة. وهنا ينبغي على الوالدين الصبر، وعدم اليأس، والاستمرار في التذكير بالنعم، ودعوة الأبناء إلى التفكير في حال من هم أقل منهم. وقد لا يكون جحود الابن إلا انعكاسًا لسلوك الأبوين في التذمر وعدم القناعة. فعلى الأم خاصة، وهي القدوة الأولى للابنة، أن تنتبه لكلماتها التي ترددها أمامها، فكثيرًا ما يكون سخط البنت وسخطها على حالها، هو صدى لما تسمعه من أمها من تحسر على ما عند غيرها. قال ابن القيم رحمه الله: "الأولاد يربيهم الآباء والأمهات بأفعالهم قبل أقوالهم، فالطفل يرى أباه كيف يتصرف، وكيف يتحدث، فيقلده، ويراه أمه كيف تشتكي وكيف تتذمر، فيكتسب ذلك". فإذا أرادت الأم أن تربي ابنتها على القناعة، فلتكن هي أول من يمارسها، ولتشكر نعمة الله عليها، ولتظهر الرضا بما قسمه الله، مهما كان.

ومن علاجات الجحود أيضًا، أن نذكر الأبناء بمن كانوا قبلنا، وبمن هم أقل منا، ونقرأ عليهم قصص الأنبياء والسلف في الشكر على القليل. فقد كان النبي ﷺ يبيت طاويًا، ويمر الشهر والشهران ولا يوقد في بيته نار، وكان يشكر الله على ذلك. وقد سئلت عائشة رضي الله عنها: "كيف كان رسول الله ﷺ يصنع إذا كان في بيته؟" قالت: "كَانَ يَخْصِفُ نَعْلَهُ، وَيُرْقِعُ ثَوْبَهُ، وَيَكُونُ فِي مِهْنَةِ أَهْلِهِ" (١). فهذا الشكر على القليل هو الذي صنع تلك النفوس العظيمة.

(١) سورة الأنبياء، الآية ٣٥.

النظرة الإسلامية للغنى والفقر في التربية

في خضم الحديث عن الشكر وثقافته، ينبغي أن ننبه إلى النظرة الإسلامية المتوازنة للغنى والفقر، وأن نربي أبنائنا على هذه النظرة. فالغنى ليس هو كثرة المال، بل هو غنى النفس والقناعة والرضا. والفقر ليس من لا يملك مالاً، بل من لا يملك قلباً شاكرًا. قال تعالى: ﴿وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾^(١)، فكلاهما اختبار، الغنى اختبار بالشكر، والفقر اختبار بالصبر. وعلينا أن نربي أبنائنا على أن يستشعروا عظمة النعم الحقيقية: نعمة الإيمان، ونعمة الأمن، ونعمة العافية، ونعمة الأسرة، فهذه هي أصول النعم التي بها تستقيم الحياة. وأن المال عرض زائل، ليس هو مقياس السعادة ولا قيمة الإنسان. كما قال ﷺ: لَيْسَ الْغِنَى عَنْ كَثْرَةِ الْعَرَضِ، وَلَكِنَّ الْغِنَى غِنَى النَّفْسِ^(٢).

وكان السلف يربون أبنائهم على هذه النظرة، حتى كانوا يعيشون بالقليل، ويشكرون الله عليه، ولا يطمعون فيما عند الناس. فقد روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه كان يخطب الناس فيقول: "أيها الناس، اتقوا الله، وارضوا بما قسم الله لكم، فإن الله قد قسم بينكم أخلاقكم كما قسم أرزاقكم، وإن الدنيا دار إلى فناء، وإن الآخرة دار إلى بقاء، فكونوا من أبناء الآخرة، ولا تكونوا من أبناء الدنيا". فكان الصحابة يسمعون ويطيعون، ويربون أبنائهم على ذلك.

فمن وفق لتربية أبنائه على هذا الميزان، فقد وضع في قلوبهم حصناً منيعاً من الشكر والرضا، يحميهم من هوس المقارنات، وجحود النعم، والغفلة عن المنعم. اللهم اجعلنا من الشاكرين، وذريتنا من الذاكرين الشاكرين، إنك سميع قريب مجيب.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، باب الغنى غنى النفس، برقم (٦٤٤٦)

(٢)

الشكر في العمل والتجارة والدعوة

بعد أن رأينا كيف نربي أبنائنا على ثقافة الشكر، ننتقل اليوم إلى موضوع يمس حياة كل مسلم في معاشه ومعاده: الشكر في العمل والتجارة والدعوة. فإن أكثر الناس يقضون جل أوقاتهم في أعمالهم ومتاجرهم، وقد يغفلون عن أن هذه الأعمال هي ميدان للشكر والعبادة، لا مجرد وسيلة للكسب فحسب. فالعمل نعمة عظيمة من الله، والتجارة نعمة، والدعوة إلى الله هي أشرف الأعمال وأجلها، وكلها تحتاج إلى شكر صادق، واستعمال حقيقي للجوارح في طاعة الله.

وقد جعل الله العمل والمعاش من نعمه التي تستوجب الشكر، فقال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَاشٍ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ فجعل سبحانه وسائل المعيشة نعمة منه، وطلب الشكر عليها، وأخبر أن شكر الناس عليها قليل. وقال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا﴾^(١) فذكر ذلك في معرض الامتنان، فالناس لا يعيشون إلا بفضل الله وإحسانه.

الشكر في العمل.. نعمة المعاش وفضيلة الكسب

العمل نعمة عظيمة، بها يعيش الإنسان، ويكرم نفسه عن السؤال، ويؤدي حق أهله وعياله، ويؤدي زكاة ماله وصدقاته. وقد دعا النبي ﷺ إلى العمل والكسب، وحث عليه، واعتبره جهاداً في سبيل الله. فعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «إِنَّ اللَّهَ لَيُحِبُّ الْعَبْدَ الْمُحْتَرِفَ»^(٢). وعن المقدم بن معدي كرب رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعَامًا قَطُّ خَيْرًا مِنْ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ، وَإِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ دَاوُدَ كَانَ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ»^(٣). فالعمل عبادة، وإتقانه من تمام الشكر على نعمة الصحة والقوة، والوقت، وما أعطاه الله من قدرات.

(١) سورة النبأ، الآية ١١

(٢) صححه الألباني في صحيح الجامع (برقم ١٧٦٤)

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب البيوع، باب كسب الرجل وعمله بيده (رقم ٢٠٧٢)

أولاً: شكر نعمته العمل بصدق النية وإخلاصها:

من شكر العمل، أن يخلص العبد النية لله في عمله، فلا يعمل رياءً ولا سمعة، ولا يطلب به مدح الناس، وإنما يطلب به وجه الله، وإعفاف نفسه، وكفاف أهله. قال تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ﴾^(١) والعمل من العبادة إذا صحت النية، قال ﷺ: «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ»^(٢). فالعامل الذي يحتسب أجره عند الله، ويقصد بعمله إعفاف نفسه وإطعام عياله، فهو شاكر لهذه النعمة.

ثانياً: شكر العمل بإتقانه وإحسانه:

من شكر العمل، أن يتقنه العبد ويحسنه، ويؤديه على أكمل وجه، ولا يغش ولا يخون. فإن الإتقان دليل على شكر النعمة، والتقصير دليل على كفرانها. قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ إِذَا عَمِلَ أَحَدُكُمْ عَمَلًا أَنْ يُتْقِنَهُ»^(٣). رواه الطبراني. فالعامل المتقن هو الشاكر لنعمة الله عليه، لأنه يظهر أثر هذه النعمة في عمله. قال العلماء: "شكر النعمة بالجوارح، أن تستعملها في طاعة الله، وتبذلها فيما أحله الله."

ثالثاً: شكر العمل بالصبر على مشاقه:

العمل لا يخلو من مشقة وتعب، والصبر على هذه المشقة من تمام الشكر. فقد كان الأنبياء صلوات الله عليهم يعملون ويتعبون، ويشكرون الله على ما أعطاهم. قال ابن عباس رضي الله عنهما: "كَانَ آدَمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ حَرَّاثًا، وَنُوحٌ نَجَّارًا، وَإِدْرِيسُ خَيَّاطًا، وَإِبْرَاهِيمُ وَلُوطٌ زَرَاعِينَ، وَصَالِحٌ تَاجِرًا، وَدَاوُدُ زَرَّادًا، وَمُوسَى وَشُعَيْبٌ وَمُحَمَّدٌ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ رُعَاةٌ"^(٤). فالصبر على مشقة العمل، واستشعار أن الله يراك ويعينك، هو شكر وعمل صالح.

رابعاً: شكر العمل بالصدقة والإنفاق:

من شكر العمل، أن ينفق العبد من ماله المكتسب في وجوه الخير، ويتصدق على الفقراء والمساكين، ويؤدي الزكاة، ويعين المحتاجين. قال تعالى: ﴿لَئِنْ

(١) سورة البينة، الآية ٥

(٢) "إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ" - أخرجه البخاري (رقم ١) ومسلم (رقم ١٩٠٧)، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه

(٣) "إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ إِذَا عَمِلَ أَحَدُكُمْ عَمَلًا أَنْ يُتْقِنَهُ" - أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (برقم ١٨٧٩)

(٤) أخرجه ابن عدي في الكامل، وابن أبي حاتم في تفسيره، عن ابن عباس رضي الله عنهما، وينظر: مختصر منهاج القاصدين

شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴿١﴾ والصدقة من زيادة النعمة واستمرارها. وكان السلف الصالح إذا رزقوا مالاً من عملهم، بادروا إلى إخراج حق الله منه، شكراً لله على ما آتاهم.

(١)

شكر التاجر.. بين الربح والخسارة

التجارة باب من أبواب الرزق، وقد ورد في فضلها وحث النبي ﷺ عليها ما يجعلها من أعظم وسائل الكسب الحلال. وفي الحديث عن رفاعه بن رافع رضي الله عنه، أن النبي ﷺ سئل: "أَيُّ الْكَسْبِ أَطْيَبُ؟" قال: «عَمَلُ الرَّجُلِ بِيَدِهِ، وَكُلُّ يَبْعٍ مَبْرُورٍ»^(١).. والتاجر إذا شكر الله على نعمة المال والتجارة، يكون قد أدى شكر هذه النعمة، ويستحق الزيادة والبركة.

أولاً: شكر التاجر بالصدق والأمانة:

من شكر التاجر، أن يتحلى بالصدق والأمانة في بيعه وشرائه، فلا يكذب ولا يغش ولا يحلف كاذباً. قال رسول الله ﷺ: «التَّاجِرُ الصَّدُوقُ الْأَمِينُ مَعَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ»^(٢). فالصدق والأمانة في التجارة هي من أعظم مظاهر الشكر على نعمة المال، إذ يستعملها فيما أحل الله، ويتقي فيها ما حرم الله.

ثانياً: شكر التاجر بالبعد عن الغش والربا:

الربا من أكبر الكبائر، ومن أعظم موانع الشكر، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ﴾^(٣) فالتاجر الشاكر هو الذي يتقي الربا، ويتعدى عن الغش والتدليس، ويحرص على الحلال في بيعه وشرائه، ويسأل الله البركة والزيادة. وقد قال رسول الله ﷺ: «الْبَيْعَانِ بِالْخِيَارِ مَا لَمْ يَتَفَرَّقَا، فَإِنْ صَدَقَا وَبَيْنَا بُورِكَ لَهُمَا فِي بَيْعِهِمَا، وَإِنْ كَتَمَا وَكَذَبَا مُحِقَتْ بَرَكَةُ بَيْعِهِمَا»^(٤)

ثالثاً: شكر التاجر بالتحدث بنعمة الله عليه:

التاجر الذي رزقه الله مالاً، ينبغي أن يتحدث بنعمة الله عليه باللسان، وأن يعترف بأن المال من الله، لا من كسبه ولا من حذقه، كما قال سليمان عليه السلام: ﴿هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ﴾^(٥) والتحدث بالنعمة

(١) "التَّاجِرُ الصَّدُوقُ الْأَمِينُ مَعَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ" - أخرجه الترمذي في سننه، كتاب البيوع، باب ما جاء في التاجر الصدوق الأمين (رقم ١٢٠٩)، وحسنه الترمذي، وصححه الألباني

(٢) سورة البقرة، الآية ٢٧٥

(٣) "الْبَيْعَانِ بِالْخِيَارِ مَا لَمْ يَتَفَرَّقَا..." - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب البيوع، باب الصدق في البيع (رقم ٢٠٧٩)، ومسلم في صحيحه، كتاب البيوع (رقم ١٥٣٢)، عن حكيم بن حزام رضي الله عنه

(٤) سورة النمل، الآية ٤٠

شكر، وتركه كفر، كما قال رسول الله ﷺ: «التَّحَدُّثُ بِنِعْمَةِ اللَّهِ شُكْرٌ، وَتَرْكُهُ كُفْرٌ» (١)

رابعاً: شكر التاجر بالإنفاق والزكاة:

من شكر التاجر، أن يؤدي زكاة ماله، ويتصدق على الفقراء والمساكين، ويعين المحتاجين. قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (٢) فالتاجر الشاكر هو الذي يبذل من ماله في وجوه الخير، ويشكر الله على ما رزقه، ويعلم أن المال عرض زائل، وأن شكر النعمة يكون بصرفها في طاعة الله.

خامساً: شكر التاجر بالرضا والقناعة:

قد تمر على التاجر أيام قلة وكساد، فينبغي له أن يصبر ويشكر الله على ما بقي، ولا يتسخط ولا يشكو. قال رسول الله ﷺ: «عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَاءٌ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَاءٌ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ» (٣). فالربح والخسارة في التجارة من البلاء الذي يختبر الله به عبده، فالشكر على الربح والصبر على الخسارة هما طريق الفلاح والنجاح.

(١) "التَّحَدُّثُ بِنِعْمَةِ اللَّهِ شُكْرٌ، وَتَرْكُهُ كُفْرٌ" - أخرجه أحمد في مسنده (رقم ١٢٨٦٢)، والطبراني، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (برقم ٢٩٥٤)

(٢) سورة البقرة، الآية ٢٦٢

(٣) "عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ..." - أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الزهد، باب المؤمن أمره كله خير (رقم ٢٩٩٩)، عن صهيب بن سنان رضي الله عنه

شكر الداعي.. من أشرف وجوه الشكر

الدعوة إلى الله من أعظم النعم وأجلها، وهي نعمة عظيمة، تحتاج إلى شكر كبير، وشكر الداعي يتجلى في عدة أمور، من أبرزها:

أولاً: شكر الداعي بتعظيم المنهج والالتزام به:

الداعي إلى الله هو وارث الأنبياء، وحامل رسالتهم. وشكر هذه النعمة يكون بتعظيم المنهج الذي يدعو إليه، والالتزام به، والعمل به قبل الدعوة إليه، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾^(١). فالداعي الذي يعمل بما يقول، ويطبقه على نفسه قبل أن يدعو غيره، هو شاكر لنعمة الدعوة.

ثانياً: شكر الداعي بالصبر على الدعوة:

الدعوة إلى الله تحتاج إلى صبر، وتحتاج إلى جلد، وتحتمل الأذى والرد، وهذا كله من شكر الداعي، إذ يصبر على أذى الناس، ويستمر في دعوته، ويطلب الأجر من الله. قال تعالى: ﴿وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا﴾^(٢). وكان الأنبياء صلوات الله عليهم يصبرون على أذى قومهم، ويواصلون دعوتهم، شكراً لله على ما منحهم من النبوة والرسالة.

ثالثاً: شكر الداعي بالتحدث بنعمة الله وهدايته:

التحدث بالنعمة، وخاصة نعمة الهداية والدعوة، شكر عظيم. قال تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾^(٣) والداعي الذي يتحدث بنعمة الله عليه، ويعترف بأن ما عنده من علم وهداية إنما هو من فضل الله، لا من ذكائه ولا من اجتهاده، فهو شاكر حقاً. قال ابن القيم رحمه الله: "التحدث بالنعمة المأمور به في هذه الآية هو الدعوة إلى الله، وتبليغ رسالته، وتعليم الأمة."

رابعاً: شكر الداعي بالتواضع وعدم الكبر:

الداعي إلى الله ينبغي أن يكون متواضعاً لله وللناس، ولا يغتر بعلمه ولا بعمله، ولا يتكبر على من يدعوهم، بل يلين لهم، ويحسن إليهم، ويفرق بهم، قال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْكَ

(١) سورة الصف، الآية ٢

(٢) سورة المزمل، الآية ١٠

(٣) سورة الضحى، الآية ١١

حَوْلِكَ ﴿١﴾. فالتواضع من الشكر، والكبر من الكفر، قال ﷺ: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبَرٍ» ﴿٢﴾

خامساً: شكر الداعي باستمرار الدعوة مهما قلت الاستجابة:
الداعي إلى الله يعلم أن الهداية بيد الله، وأنه ليس عليه إلا البلاغ، فيستمر في دعوته، ولا ييأس إذا قل المستجيبون، أو تأخرت النتائج. فهذا من تمام الشكر، لأنه يعلم أن الله هو الذي يتولى الهداية، وأن عليه أن يؤدي رسالته بأمانة، والجزاء على الله. قال تعالى: ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ﴾ ﴿٣﴾

(١) سورة آل عمران، الآية ١٥٩
(٢) "لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبَرٍ" - أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب تحريم الكبر (رقم ٩١)، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه
(٣) سورة الرعد، الآية ٤٠

جمع الشكر في العمل والتجارة والدعوة

يمكننا أن نستخلص أن الشكر في العمل والتجارة والدعوة يجمع في ثلاثة أمور جامعة:

الأمر الأول: استعمال النعمة في طاعة الله:

فالعبد يبذل علمه وقوته وماله ووقته في طاعة الله، وابتغاء مرضاته، ولا يصرفها في معصيته. وهذا هو لب الشكر وأصله. قال الشيخ عبد الحلیم محمود رحمه الله: "معنى الشكر في الجو الإسلامي يتكون من جملة عناصر: معرفة النعمة وأنها من الله سبحانه، واستعمال النعم فيما أحبه الله وقصده بها، وحمد الله سبحانه وتعالى عليها باللسان."

الأمر الثاني: الاعتراف بأن النعمة من الله:

فالعبد لا ينسب النعمة إلى نفسه، ولا إلى كسبه، ولا إلى حذقه، بل يعترف بأنها من الله وحده، ويشني عليه ويحمده عليها، ويخاف زوالها. قال تعالى: ﴿وَمَا بِكُمْ مِّنْ نُّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾^(١)

الأمر الثالث: الإخلاص في العمل والنية:

فالعامل والتاجر والداعي إذا أخلصوا لله في أعمالهم، وقدموا الخير للناس، وكانت نيتهم وجه الله، فقد شكروا الله على نعمه، وأدوا حقها، واستحقوا الزيادة والبركة. وقد قال الله تعالى: ﴿لَيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدُهُم مِّنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾^(٢)

وخلاصة القول: إن الشكر ليس محصوراً في الذكر واللسان، بل هو حياة بأكملها، تعمر القلب، وتصلح العمل، وتزكي التجارة، وتقوي الدعوة. فمن شكر الله في عمله، زاده الله من فضله، وأعانه على أداء أمانته، وجعل له في ذلك أجراً عظيماً. ومن شكر الله في تجارته، بارك له فيها، وأنمى له ماله، وجعله من الصادقين الأمينين. ومن شكر الله في دعوته، رزقه القبول والأثر، وجعله من الذاكرين الشاكرين. قال تعالى: ﴿سَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾^(٣)

(١) سورة النحل، الآية ٥٣

(٢) سورة النور، الآية ٣٨

(٣) سورة آل عمران، الآية ١٤٤

ثلاثون يوماً من برنامج الشكر المتكامل

بعد أن قدمنا في مسبقاً البرنامج اليومي للشكر، ودفتر النعم بين الورق والرقم، ننتقل اليوم إلى الخطوة الأهم والأشمل في هذا الباب التطبيقي: إنها ثلاثون يوماً من برنامج الشكر المتكامل. فهو خطة عملية شهرية متكاملة، تمتد لأربعة أسابيع، كل أسبوع يركز على جانب من جوانب الشكر، وكل يوم فيه تمرين عملي محدد، يساعدك على ترسيخ الشكر في قلبك، وتحويله إلى عادة راسخة، وجزء من هويتك الإيمانية.

وإن من أعظم ما يثلج الصدر، أن نعلم أن الله سبحانه جعل الشهر فرصة للتغيير، كما جعل شهر رمضان فرصة للتقرب إليه، وكما جعل الأيام العشرة من ذي الحجة فرصة للطاعة. وهذا البرنامج الشهري هو فرصة لك - أيها القارئ الكريم - لتغيير حياتك، ولتتحول من الغفلة إلى الوعي، ومن الجحود إلى الشكر، ومن البعد إلى القرب من الله.

وقد قال رسول الله ﷺ: "أَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ أَدْوَمُهَا وَإِنْ قَلَّ" ^(١). فهذا البرنامج يهدف إلى ترسيخ عادة الشكر في حياتك، لتكون من المداومين على الشكر، القليلين الذين قال الله فيهم: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ ^(٢)

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، باب في العمل الدائم، برقم (٦٤٦٥)، ومسلم في صحيحه، كتاب صلاة المسافرين، باب الأمر بالمحافظة على السنن، برقم (٧٨٢)، عن عائشة رضي الله عنها، واللفظ للبخاري.
(٢) سورة سبأ (١٣).

هيكل البرنامج وأهدافه

يتكون البرنامج من أربعة أسابيع، كل أسبوع يركز على جانب من جوانب الشكر، ويتضمن كل أسبوع سبعة أيام، كل يوم فيه تمرين عملي محدد، وتأمل روحي، ودعاء، وتطبيق في دفتر النعم.

الأسبوع الأول: الوعي بالنعم واكتشافها

الهدف: أن تفتح عين قلبك على نعم الله، وتكتشف نعمًا كنت تغفل عنها، وتشعر بقيمتها.

الأسبوع الثاني: شكر القلب واللسان

الهدف: أن ترسخ شكر القلب بالاعتراف والمحبة، وشكر اللسان بالحمد والثناء، وتحدث بنعم الله.

الأسبوع الثالث: شكر الجوارح والعمل الصالح

الهدف: أن تترجم شكرك إلى عمل صالح، وتستعمل نعم الله في طاعته، وتجتنب استعمالها في معصيته.

الأسبوع الرابع: حفظ النعم والتغلب على الموانع

الهدف: أن تتعلم كيف تحفظ نعم الله من الزوال، وكيف تتغلب على موانع الشكر، وكيف تكون من الشاكرين في كل حال.

الأسبوع الأول - الوعي بالنعم واكتشافها

اليوم الأول: اكتشاف نعمة الإيمان

• التمرين : اجلس في هدوء، وتأمل في نعمة الإيمان، وكيف أن الله هداك للإسلام، وجعلك من أمة محمد ﷺ. تخيل لو أنك ولدت في غير الإسلام، كيف كانت ستكون حياتك؟

• التأمل : قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ (١)

• الدعاء: "اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ ثَبَاتَ الْقَلْبِ عَلَى الْإِيمَانِ، وَأَسْأَلُكَ حُسْنَ الْعَاقِبَةِ."

• دفتر النعم : اكتب عن نعمة الإيمان، وكيف تشعر بها، وكيف تشكر الله عليها.

اليوم الثاني: اكتشاف نعمة الصحة والعافية

• التمرين : تأمل في صحتك، في عينيكَ التي ترى، وأذنيكَ التي تسمع، وقلبك الذي ينبض، وجسدك الذي يمشي ويعمل. تخيل لو فقدت واحدة من هذه النعم.

• التأمل : قال رسول الله ﷺ: "نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ: الصَّحَّةُ وَالْفَرَاغُ" (٢)

• الدعاء: "اللَّهُمَّ عَافِنِي فِي بَدَنِي، اللَّهُمَّ عَافِنِي فِي سَمْعِي، اللَّهُمَّ عَافِنِي فِي بَصَرِي" (٣).

• دفتر النعم : اكتب عن نعمة الصحة، وكم مرة شعرت بقيمتها عندما مرضت.

اليوم الثالث: اكتشاف نعمة الأمن والأمان

• التمرين : تأمل في الأمن الذي تعيشه، في قدرتك على الخروج من منزلك دون خوف، وفي نومك آمناً في فراشك. تذكر من فقدوا الأمن في بلدانهم.

• التأمل : قال تعالى: ﴿الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾ (٤)

(١) سورة المائدة (٣).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، باب في الصحة والفراغ، برقم (٦٤١٢)، عن ابن عباس رضي الله عنهما، واللفظ له.

(٣) أخرجه أحمد في مسنده، برقم (١٩٠٠٦)، عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب، برقم (٦٥٦).

(٤) سورة قريش (١٠٦: ٤).

• الدعاء: "اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ" ^(١).

• دفتر النعم: اكتب عن نعمة الأمن، وكيف تشعر بها، وكيف تشكر الله عليها.

اليوم الرابع: اكتشاف نعمة المال والرزق

• التمرين: تأمل في رزقك، في الطعام الذي تأكله، والشراب الذي تشربه،

والملبس الذي تلبسه، والمسكن الذي تسكنه. تخيل لو فقدت هذه النعم.

• التأمل: قال تعالى: ﴿وَاتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا

تُحْصُوهَا﴾ ^(٢)

• الدعاء: "اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي رِزْقِنَا، وَأَعِنَّا عَلَى شُكْرِكَ عَلَيْهِ."

• دفتر النعم: اكتب عن نعمة المال والرزق، وكيف تشكر الله عليها.

اليوم الخامس: اكتشاف نعمة الأسرة والأهل

• التمرين: تأمل في أسرتك، في زوجك أو زوجتك، في أبنائك، في والديك،

في إخوانك. تخيل الحياة بدونهم.

• التأمل: قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا

إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ ^(٣)

• الدعاء: "اللَّهُمَّ أَصْلِحْ لِي أَهْلِي، وَاجْعَلْهُمْ قُرَّةَ عَيْنٍ لِي، وَأَعِنِّي عَلَى بَرِّهِمْ

وَصِلَتِهِمْ."

• دفتر النعم: اكتب عن نعمة الأسرة، وكيف تشكر الله عليها.

اليوم السادس: اكتشاف النعم الخفية التي لا نشعر بها

• التمرين: فكر في النعم التي لا تشعر بها عادة، كالهواء الذي تتنفسه، والماء

الذي تشربه، والليل الذي تستريح فيه، والنهار الذي تسعى فيه.

• التأمل: قال أبو الدرداء رضي الله عنه: "كَمْ مِنْ نِعْمَةٍ لِلَّهِ فِي عِرْقٍ سَاكِنٍ" ^(٤).

• الدعاء: "اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ شُكْرَ نِعْمَتِكَ، وَحُسْنَ عِبَادَتِكَ."

• دفتر النعم: اكتب عن النعم الخفية التي اكتشفتها اليوم.

اليوم السابع: مراجعة الأسبوع الأول

(١) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب الدعوات، باب في دعاء النبي ﷺ، برقم (٣٥١٠)، عن أنس بن مالك رضي الله عنه، وقال: "حديث حسن غريب". وصححه الألباني في صحيح الجامع، برقم (٤٠٠٣).

(٢) سورة إبراهيم (٣٤).

(٣) سورة الروم (٢١).

(٤) روي عن أبي الدرداء رضي الله عنه أنه قال: "كم من نعمة لله في عرق ساكن". رواه أبو نعيم في الحلية. إنظر حياة السلف بين القول والعمل للطيار، ص ٢٨٢.

- التمرين : راجع دفتر النعم الذي كتبته خلال الأسبوع، وتأمل في النعم التي اكتشفتها، واشكر الله عليها، وادعُ أن يثبتك على الشكر.
- التأمل : قال تعالى : ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾ ^(١)
- الدعاء : "اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ عَلَى نِعَمِكَ الَّتِي لَا تُحْصَى، وَأَسْأَلُكَ الْمُعَاوَنَةَ عَلَى شُكْرِهَا."
- دفتر النعم : اكتب خلاصة الأسبوع، وأبرز النعم التي تأثرت بها.

(١) سورة النحل (١٨).

الأسبوع الثاني - شكر القلب واللسان

اليوم الثامن: شكر القلب - الاعتراف بأن النعم من الله

- التمرين : كرر في قلبك طوال اليوم " مَا بِكُمْ مِّنْ نُّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ " ^(١) . وتأمل في معناها، أن كل نعمة في حياتك هي من الله وحده.
- التأمل : قال تعالى : ﴿ وَمَا بِكُمْ مِّنْ نُّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ﴾ ^(٢)
- الدعاء " : اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أُنْسِيَ نِعْمَتَكَ ، أَوْ أَجْحَدَ فَضْلَكَ . "
- دفتر النعم : اكتب عن شعورك عندما تزداد هذه الآية ، وكيف أثرت في قلبك .

اليوم التاسع: شكر القلب - الخضوع للمنع

- التمرين : عندما تشعر بنعمة من نعم الله ، اخضع لله في قلبك ، وتذل له ، واعترف بضعفك أمام عظمتة .
- التأمل : قال تعالى : ﴿ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ ﴾ ^(٣)
- الدعاء " : اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ وَإِلَيْكَ الْمُشْتَكَى ، وَأَنْتَ الْمُسْتَعَانُ . "
- دفتر النعم : اكتب عن لحظة خشوع شعرت بها اليوم .

اليوم العاشر: شكر اللسان - الحمد بعد الأكل والشرب

- التمرين : احرص اليوم على قول " : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَطْعَمَنِي هَذَا وَرَزَقَنِيهِ مِنْ غَيْرِ حَوْلٍ مِنِّي وَلَا قُوَّةٍ " ^(٤) بعد كل أكل وشرب .
- التأمل : قال رسول الله ﷺ " : إِنَّ اللَّهَ لَيَرْضَى عَنِ الْعَبْدِ أَنْ يَأْكُلَ الْأَكْلَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا " ^(٥) .
- الدعاء " : الْحَمْدُ لِلَّهِ كَثِيرًا طَيِّبًا مُّبَارَكًا فِيهِ " ^(٦) .
- دفتر النعم : اكتب عن شعورك عندما حمدت الله بعد الطعام .

اليوم الحادي عشر: شكر اللسان - التحدث بالنعم

(١) سورة النحل (٥٣) .
(٢) سورة فصلت (٦) .
(٣) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الأطعمة، باب ما يقول الرجل إذا أكل، برقم (٤٠٢٣)، والترمذي في سننه، كتاب الأطعمة، باب ما يقول الرجل إذا أكل، برقم (٣٤٥٧)، عن معاذ بن أنس رضي الله عنه، واللفظ لأبي داود، وحسنه الألباني في صحيح أبي داود.
(٤) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الذكر والدعاء، باب فضل الحمد بعد الطعام والشراب، برقم (٢٧٣٤)، عن أنس بن مالك رضي الله عنه، واللفظ له.
(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأطعمة، باب ما يقول إذا فرغ من طعامه، برقم (٥٤٥٨)، عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه.
(٦) سورة الضحى (١١) .

• التمرين : تحدث اليوم مع شخص واحد على الأقل عن نعمة من نعم الله عليك، على سبيل الاعتراف بفضله، لا على سبيل الفخر والاستعراض.

• التأمل : قال تعالى : ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ ^(١)

• الدعاء : "اللَّهُمَّ اجْعَلْ لِسَانِي رَطْبًا بِذِكْرِكَ، شَاكِرًا لِنِعْمَتِكَ".

• دفتر النعم : اكتب عن تجربتك في التحدث بالنعم اليوم.

اليوم الثاني عشر: شكر اللسان - الدعاء بالشكر

• التمرين : أكثر اليوم من دعاء : "اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ" ^(٢).

• التأمل : كان النبي ﷺ يعلم معاذ بن جبل هذا الدعاء، وقال : "إِنِّي لِأُحِبُّكَ يَا مُعَاذُ، فَلَا تَدَعَنَّ ذُبْرَ كُلِّ صَلَاةٍ أَنْ تَقُولَ "... ^(٣).

• الدعاء : "اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ".

• دفتر النعم : اكتب عن شعورك عندما تردد هذا الدعاء.

اليوم الثالث عشر: شكر اللسان - الحمد عند تجدد النعم

• التمرين : كلما تجددت لك نعمة اليوم، قل : "الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي بِنِعْمَتِهِ تَتِمُّ الصَّالِحَاتُ" ^(٤).

• التأمل : كان النبي ﷺ يقول هذا الدعاء إذا رأى ما يحب ^(٥).

• الدعاء : "الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ".

• دفتر النعم : اكتب عن النعم التي تجددت لك اليوم، وكيف حمدت الله عليها.

اليوم الرابع عشر: مراجعة الأسبوع الثاني

• التمرين : راجع دفتر النعم، وتأمل في تطور شكر قلبك ولسانك خلال الأسبوع، واشكر الله على التوفيق، واستغفره من التقصير.

• التأمل : قال تعالى : ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ ^(٦)

(١) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الصلاة، باب في الاستعاذة من العجز والكسل، برقم (١٥٢٢)، والنسائي في سننه، كتاب السهو، باب نوع آخر من الدعاء، برقم (١٣٠٣)، عن معاذ بن جبل رضي الله عنه، واللفظ لأبي داود.

(٢) أخرجه ابن ماجه في سننه، كتاب الأدب، باب ما جاء في الحمد، برقم (٣٨٠٥)، عن عائشة رضي الله عنها.

(٣) سورة البقرة (١٥٢).

(٤) سورة النور (٣٠).

(٥) سورة الشورى (٣٧).

(٦) سورة الإسراء (٢٩).

• الدعاء: "اللَّهُمَّ تَقَبَّلْ مِنَّا شُكْرَنَا، وَاغْفِرْ لَنَا تَقْصِيرَنَا."
• دفتر النعم: اكتب خلاصة الأسبوع، وكيف تغير شعورك بالشكر.

الأسبوع الثالث - شكر الجوارح والعمل الصالح

اليوم الخامس عشر: شكر العين - غص البصر والنظر في ملكوت الله
• التمرين : احفظ عينيك اليوم من النظر إلى المحرمات ، وأكثر من النظر في ملكوت السموات والأرض ، وتأمل في خلق الله .

• التأمل : قال تعالى : ﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ ﴾ (١)

• الدعاء : " اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ نُورَ الْبَصَرِ ، وَغَضَّ الْبَصَرِ . "

• دفتر النعم : اكتب عن نعمة البصر ، وكيف شكرت الله عليها اليوم .

اليوم السادس عشر: شكر الأذن - سماع الذكر والقرآن

• التمرين : احفظ أذنيك اليوم من سماع المحرمات ، وأكثر من سماع القرآن والذكر والأذكار .

• التأمل : قال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ ﴾ (٢)

• الدعاء : " اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيَّ سَمَاعَ الْقُرْآنِ وَالذِّكْرِ . "

• دفتر النعم : اكتب عن نعمة السمع ، وكيف شكرت الله عليها اليوم .

اليوم السابع عشر: شكر اليد - الإنفاق والكف عن الحرام

• التمرين : استعمل يديك اليوم في الخير ، وتصدق بصدقة ، واكتب كلمة طيبة ، وابسط يدك بالعطاء ، واكفها عن الحرام .

• التأمل : قال تعالى : ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ ﴾ (٣)

• الدعاء : " اللَّهُمَّ بَارِكْ لِي فِي يَدَيَّ ، وَاجْعَلْهُمَا سَبَبًا لِلْخَيْرِ . "

• دفتر النعم : اكتب عن نعمة اليد ، وكيف شكرت الله عليها اليوم .

اليوم الثامن عشر: شكر الرجل - المشي إلى الطاعة

• التمرين : استعمل رجلك اليوم في المشي إلى الخير ، إلى المسجد ، إلى قضاء حوائج الناس ، إلى زيارة المرضى ، واجتنب المشي إلى الحرام .

(١) سورة الإسراء (٣٧) .

(٢) سورة النساء (١٠٣) .

(٣) سورة سبأ (١٣) .

• التأمل: قال تعالى: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا﴾ (١)

• الدعاء: "اللَّهُمَّ ثَبِّتْ قَدَمَيَّ عَلَى الصِّرَاطِ".

• دفتر النعم: اكتب عن نعمة المشي، وكيف شكرت الله عليها اليوم.

اليوم التاسع عشر: شكر القلب والجوارح معاً - الصلاة والخشوع

• التمرين: صلّ اليوم بخشوع، وتأمل في كل حركة وسجدة، واشكر الله على نعمة الصلاة، التي هي عماد الدين.

• التأمل: قال تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا﴾ (٢)

• الدعاء: "اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى الصَّلَاةِ وَالْخُشُوعِ فِيهَا".

• دفتر النعم: اكتب عن شعورك في الصلاة اليوم، وكيف شكرت الله عليها.

اليوم العشرون: شكر الجوارح - استعمال النعم في طاعة الله

• التمرين: استعمل كل جارحة من جوارحك اليوم في طاعة الله، واجتنب استعمالها في معصيته، وتأمل في هذه النعم التي وهبها الله لك.

• التأمل: قال تعالى: ﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا﴾ (٣)

• الدعاء: "اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِنَ الشَّاكِرِينَ، وَأَعِنِّي عَلَى شُكْرِ نِعَمِكَ".

• دفتر النعم: اكتب عن تجربتك في استعمال جوارحك في طاعة الله اليوم.

اليوم الحادي والعشرون: مراجعة الأسبوع الثالث

• التمرين: راجع دفتر النعم، وتأمل في تطور شكر جوارحك خلال الأسبوع، واشكر الله على التوفيق، واستغفره من التقصير.

• التأمل: قال تعالى: ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ (٤)

• الدعاء: "اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِنَ الشَّاكِرِينَ الَّذِينَ يَسْتَغْمِلُونَ نِعَمَكَ فِي طَاعَتِكَ".

• دفتر النعم: اكتب خلاصة الأسبوع، وكيف تغير شعورك بشكر الجوارح.

(١) سورة الإسراء (٣٦).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الذكر والدعاء، باب التعوذ من شرور النفس وسينات الأعمال، برقم (٢٧٣٨)، عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، واللفظ له.

(٣) سورة آل عمران (١٠٣).

(٤) قول بعض السلف: "إِيَّاكُمْ وَالسَّعَةَ، فَإِنَّهُ مَا فُتِنَ أَحَدٌ بِمِثْلِهَا". انظر نضرة النعيم، ج ٨، ص ٣١٣٥.

الأسبوع الرابع - حفظ النعم والتغلب على الموانع

اليوم الثاني والعشرون: حفظ النعم بالشكر والدعاء
• التمرين: أكثر اليوم من دعاء: "اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ زَوَالِ نِعْمَتِكَ، وَتَحَوُّلِ عَافِيَتِكَ، وَفُجَاءَةِ نِقْمَتِكَ، وَجَمِيعِ سَخَطِكَ" (١).
• التأمل: كان النبي ﷺ يستعيد بالله من زوال النعم، وهذا من فقهه العميق (٢).

• الدعاء: "اللَّهُمَّ احْفَظْ عَلَيَّ نِعَمَكَ، وَلَا تَسْلُبْنِيهَا."
• دفتر النعم: اكتب عن نعم تخاف زوالها، وكيف تستعيد بالله من زوالها.
اليوم الثالث والعشرون: التغلب على الغفلة
• التمرين: حاول اليوم أن تتذكر نعم الله في كل ساعة، واضبط منبهاً على هاتفك كل ساعة لتذكرك بالشكر.

• التأمل: قال تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ (٣)
• الدعاء: "اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ، وَلَا تَجْعَلْنِي مِنَ الْغَافِلِينَ."
• دفتر النعم: اكتب عن كيف تغلبت على الغفلة اليوم.
اليوم الرابع والعشرون: التغلب على مقارنات النفس بالآخرين
• التمرين: انظر اليوم إلى من هو أقل منك نعمة، واشكر الله على ما أعطاك، وتجنب النظر إلى من هو فوقك.

• التأمل: قال رسول الله ﷺ: "انظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ أَسْفَلَ مِنْكُمْ، وَلَا تَنْظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَكُمْ."

• الدعاء: "اللَّهُمَّ ارْزُقْنِي الْقَنَاعَةَ وَالرِّضَا."
• دفتر النعم: اكتب عن نعمة القناعة، وكيف تشعر بها اليوم.
اليوم الخامس والعشرون: التغلب على الاعتياد

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، باب في القناعة، برقم (٦٤٣٦)، ومسلم في صحيحه، كتاب الزكاة، باب فضل القناعة، برقم (١٠٤٨)، عن أنس بن مالك رضي الله عنه، واللفظ للبخاري.

(٢) سورة التكاثر (٨).

(٣) روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: "إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَيَشْكُرُ مَا بِهِ مِنْ نِعْمَةِ اللَّهِ، وَيَشْكُرُ مَا بِالنَّاسِ مِنْ نِعَمِ اللَّهِ". انظر موسوعة التفسير المأثور، ج ١، ص ٣٧٣.

• التمرين : اختر اليوم نعمة كنت تعتادها، وتأمل فيها، وتخيل فقدانها، واشكر الله عليها.

• التأمل : قال بعض السلف " :إِيَّاكُمْ وَالسَّعَةَ، فَإِنَّهُ مَا فُتِنَ أَحَدٌ بِمِثْلِهَا. "

• الدعاء " :اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْ نِعَمَكَ عَلَيَّ فِتْنَةً. "

• دفتر النعم : اكتب عن نعمة اعتدتها، وكيف تغير شعورك بها اليوم.

اليوم السادس والعشرون: التغلب على الطمع وعدم القناعة

• التمرين : اقنع اليوم بما قسمه الله لك، ولا تطمح إلى ما في أيدي الناس، واشكر الله على رزقك.

• التأمل : قال رسول الله ﷺ " :لَوْ أَنَّ لِابْنِ آدَمَ وَادِيًا مِنْ ذَهَبٍ، لَأَحَبَّ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَادِيَانِ. "

• الدعاء " :اللَّهُمَّ ارْزُقْنِي الْقَنَاعَةَ بِمَا رَزَقْتَنِي. "

• دفتر النعم : اكتب عن شعور القناعة اليوم.

اليوم السابع والعشرون: التغلب على استعمال النعم في المعاصي

• التمرين : احذر اليوم من استعمال أي نعمة من نعم الله في معصيته، وتذكر أن النعم أمانة، وسيُسأل عنها.

• التأمل : قال تعالى : ﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾

• الدعاء " :اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى اسْتِعْمَالِ نِعَمِكَ فِي طَاعَتِكَ. "

• دفتر النعم : اكتب عن كيف حفظت نعم الله من المعاصي اليوم.

اليوم الثامن والعشرون: الشكر في السراء والضراء

• التمرين : إذا أصابك اليوم خير فاشكر، وإذا أصابك شر فاصبر وارض، واعلم أن كلاهما خير لك.

• التأمل : قال رسول الله ﷺ " :عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ "

• الدعاء " :اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ. "

• دفتر النعم : اكتب عن تجربتك في الشكر في السراء والضراء اليوم.

اليوم التاسع والعشرون: الشكر على نعم الآخرين

• التمرين : افرح اليوم لنعم الله على الناس، واشكر الله عليها، ولا تحسدهم، وادعُ لهم بالبركة.

- التأمل : قال ابن عباس رضي الله عنهما " إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَيَشْكُرُ مَا بِهِ مِنْ نِعْمَةِ اللَّهِ، وَيَشْكُرُ مَا بِالنَّاسِ مِنْ نِعَمِ اللَّهِ. "
- الدعاء " : اللَّهُمَّ بَارِكْ لِلنَّاسِ فِي نِعْمِهِمْ. "
- دفتر النعم : اكتب عن شعورك عندما فرحت لنعم الآخرين.
- اليوم الثلاثون: مراجعة الشهر كله والدعاء بالثبات
- التمرين : راجع دفتر النعم كله، وتأمل في الرحلة التي قطعتها خلال الشهر، واشكر الله على توفيقه، واسأله الثبات على الشكر.
- التأمل : قال تعالى : ﴿وَأَخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ^(١)
- الدعاء " : اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الثَّبَاتَ عَلَى الشُّكْرِ، وَالْمُعَاوَنَةَ عَلَيْهِ، وَالزِّيَادَةَ مِنْ نِعَمِكَ. "
- دفتر النعم : اكتب خلاصة الشهر كله، وكيف تغيرت حياتك بالشكر.

(١) سورة يونس (١٠).

نصائح للثبات على البرنامج بعد الثلاثين يوماً

بعد أن أتممت الثلاثين يوماً، قد تتساءل: كيف أواصل على هذا المنهج؟ كيف لا أعود إلى الغفلة؟ نقدم لك هنا نصائح تعينك على الثبات:

أولاً: استمر في الورد اليومي للشكر:

لا تتوقف عن أذكار الصباح والمساء، ودعاء الشكر، والحمد على الطعام والشراب، فهي الأساس الذي بنيت عليه رحلتك.

ثانياً: استمر في دفتر النعم:

واصل كتابة ثلاث نعم جديدة كل يوم، ولو بشكل مختصر، فهذا يعينك على دوام الوعي بالنعم.

ثالثاً: جدد النية بين الحين والآخر:

ذكر نفسك بأن الشكر هو جوهر العبودية، وأن الله وعد الشاكرين بالمزيد، وجدد نيتك لله في كل صباح.

رابعاً: شارك الآخرين:

شجع أفراد أسرتك، وأصدقاءك، على خوض هذه الرحلة، وتشاركوا النعم، وتناصحوا على الشكر.

خامساً: راجع دفتر النعم بين الحين والآخر:

عد إلى دفتر النعم بين الحين والآخر، وتذكر النعم التي أنعم الله بها عليك، واشكره عليها، وازدد يقيناً.

سادساً: أدغ الله بالثبات:

أكثر من الدعاء بالثبات على الشكر، فإن الله هو المثبت، وهو المعين. نسأل الله أن يوفقنا جميعاً للشكر على نعمه، وأن يجعلنا من القليلين الشكورين، الذين قال فيهم: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾^(١)

(١) سورة سبأ (١٣).

عشرون قاعدة في فقه شكر النعم

- ✓ اعرّف المنعم، تعرف قيمة النعمة.
- ✓ لا تحتقر نعمة اعتدت وجودها.
- ✓ لا تجعل ما فقدت يحجب عنك ما بقي.
- ✓ اشكر بلسانك، وصدّق شكرك بعملك.
- ✓ كل نعمة لها شكر يناسبها.
- ✓ شكر المال في بذله وأداء حقه.
- ✓ شكر العلم في العمل به وتعليمه.
- ✓ شكر الصحة في طاعة الله وحفظ الجسد.
- ✓ شكر الوقت في ألا تهبه لما لا ينفع.
- ✓ شكر الأسرة في حفظها وأداء حقوقها.
- ✓ اشكر من أحسن إليك، ولا تنسب إليه ما لا يملك.
- ✓ لا تجعل النعمة سبباً للكبر؛ فالفضل فضل الله.
- ✓ لا تجعل كثرة ما عندك دليلاً على أنك أفضل من غيرك.
- ✓ لا تقارن حياتك بحياة الآخرين، فلكل إنسان ما لا تراه.
- ✓ لا تجعل وسائل التواصل ميزاناً تقيس به حياتك.
- ✓ لا تجعل الشكوى عادةً تفسد عليك رؤية النعم.
- ✓ إذا جاء البلاء، فاستعن بالصبر ولا تنسَ نعم الله الباقية.
- ✓ إذا جاء الرخاء، فاستعن بالشكر ولا تأمن الفتنة.
- ✓ احفظ النعمة بالطاعة، ولا تستدع زوالها بالمعصية.
- ✓ غاية الشكر أن تصبح حياتك نفسها شاهداً على الحمد.

وصايا عملية

إذا أردت أن تجعل الشكر خلقاً لا فكرة، فابدأ بالقليل:
✓ كل صباح، سمّ نعمة واحدة تخشى أن تفقدها.
✓ كل مساء، اكتب ثلاث نعم مرّت بك ولم تلتفت إليها.
✓ كلما قلت «الحمد لله»، اسأل نفسك: كيف سأترجم هذا الحمد إلى عمل؟

✓ اشكر شخصاً أحسن إليك، ولو بكلمة.
✓ امنح من نعمة الله عليك شيئاً لمن يحتاجه.
✓ قلّل من متابعة ما يوقظ فيك المقارنة والتسخط.
✓ إذا اشتكيت من شيء، فاذكر معه شيئاً تحمد الله عليه.
✓ راقب نعمة واحدة في حياتك أسبوعاً كاملاً، وستكتشف أنك كنت تعيش داخل معجزة صغيرة دون أن تشعر.
ثم اجعل لك ورداً ثابتاً من الشكر؛ فالقلب الذي لا يتعاهد النعم يعتادها، والقلب الذي يعتادها ينسى صاحبها.
وصلّى الله وسلّم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

الخاتمة:

الحمد لله على النعمة... وعلى الشكر، الحمد لله الذي لا تحصى نعمه، ولا تنقطع آلاؤه، ولا يبلغ العبد حقيقة شكره مهما اجتهد. وبعد هذه الرحلة، لعل أهم ما ينبغي أن يبقى في القلب أن الشكر ليس مرحلة تأتي بعد النعمة، بل هو الطريقة التي ينبغي أن نعيش بها النعمة. فالنعمة لا تكتمل بكثرتها، وإنما بمعرفة صاحبها، ولا تحفظ بكثرة الحديث عنها، وإنما بحسن استعمالها.

وقد رأينا في هدي النبي ﷺ، وفي حياة أصحابه والتابعين، أن الشكر لم يكن كلمة عابرة على اللسان؛ كان عبادةً تظهر في الصلاة، والإنفاق، والصبر، والتواضع، وحفظ الحقوق، وحسن التعامل مع الناس. ومن هنا يمكن أن نختصر رحلة الكتاب في هذه النتائج:

أهم نتائج الكتاب

✓ أعظم النعم نعمة الهداية، لأن سائر النعم تزول، أما الإيمان فهو رأس مال العبد في الدنيا والآخرة.

✓ الشكر معرفة واعتراف وحمد وعمل؛ وليس مجرد قول «الحمد لله».

✓ من عرف المنعم هان عليه أن يرى النعمة من خلال الأسباب؛ فهو يشكر الناس، وقلبه معلق برب الناس والنعمة امتحان كما أن البلاء امتحان؛ فقد ينجح الإنسان في الفقر ويفشل في الغنى.

✓ الشكر والصبر ليسا خصمين؛ بل هما جناحا العبودية في الرخاء والبلاء.

✓ من أكبر أسباب نسيان النعم الاعتياد عليها؛ ولذلك يحتاج القلب إلى تجديد النظر فيما يملك.

✓ المقارنة المستمرة تفسد الشكر.

✓ ليست كل نعمة مالا، وليست كل خسارة شراً؛ فالعبرة بما يقرب العبد من الله ويصلح عاقبته.

✓ النعمة التي لا تُستعمل في طاعة الله قد تكون حجة على صاحبها.

✓ شكر النعمة لا يكون بحفظها لنفسك فقط، بل ببذل خيرها لمن حولك.

فهرس الأعلام الأنبياء والمرسلون

الرقم	الاسم	التعريف الموجز
1	آدم عليه السلام	أبو البشرية، أول الأنبياء، علمه الله الأسماء كلها
2	إدريس عليه السلام	نبي أدركه الله مكاناً علياً، كان خياطاً
3	نوح عليه السلام	أول الرسل، لبث في قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً، كان نجاراً
4	إبراهيم الخليل عليه السلام	خليل الرحمن، أبو الأنبياء، كان زراعاً، ضرب المثل في التوحيد والشكر
5	لوط عليه السلام	نبي أرسل إلى قوم سدوم، كان زراعاً
6	إسماعيل عليه السلام	ذبيح الله، نبي صابر حلیم، بشر به إبراهيم على كبر
7	إسحاق عليه السلام	نبي من ذرية إبراهيم، بشرت به الملائكة إبراهيم وسارة
8	يعقوب عليه السلام	نبي صابر، أبو يوسف، لقب بإسرائيل
9	يوسف عليه السلام	نبي كريم، أوتي الحكم والعلم، كان صديقاً
10	أيوب عليه السلام	نبي صابر شكور، ابتلي في جسده وماله وولده فصبر
11	شعيب عليه السلام	نبي أرسل إلى مدين، خطيب الأنبياء، كان راعياً
12	موسى عليه السلام	كليم الله، أرسل إلى فرعون، كان راعياً
13	هارون عليه السلام	نبي، أخو موسى، وزيره ومؤازره
14	داود عليه السلام	نبي وملك، آتاه الله الزبور، كان حداثاً، كان يصوم يوماً ويفطر يوماً
15	سليمان عليه السلام	نبي وملك، أوتي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده، سخر له الريح والجن
16	إلياس عليه السلام	نبي أرسل إلى قومه في بعلبك
17	اليسع عليه السلام	نبي من أنبياء بني إسرائيل
18	يونس عليه السلام	نبي ذو النون، ابتلعه الحوت
19	ذو الكفل عليه السلام	نبي صابر
20	زكريا عليه السلام	نبي، أبو يحيى، كان نجاراً
21	يحيى عليه السلام	نبي، ابن زكريا، سيد حصور
22	عيسى عليه السلام	نبي ورسول، عبد الله وكلمته، أيد بروح القدس
23	محمد ﷺ	خاتم الأنبياء والمرسلين، سيد ولد آدم، صاحب المقام المحمود

الصحابة الكرام

الرقم	الاسم	التعريف الموجز
24	أبو بكر الصديق رضي الله عنه	الخليفة الأول، أشكر الصحابة، وأحبهم إلى رسول الله ﷺ، صاحبه في الغار
25	عمر بن الخطاب رضي الله عنه	الخليفة الثاني، الفاروق، نموذج في خوف الشاكر من زوال النعم
26	عثمان بن عفان رضي الله عنه	الخليفة الثالث، ذو النورين، نموذج في شكر المال بالإنفاق
27	علي بن أبي طالب رضي الله عنه	الخليفة الرابع، باب علم النبي ﷺ، نموذج في الشكر عند البلاء والزهد في النعم
28	عائشة بنت أبي بكر رضي الله عنها	أم المؤمنين، حبيبة رسول الله ﷺ، أكثر الصحابة رواية للحديث
29	خديجة بنت خويلد رضي الله عنها	أم المؤمنين، أول من آمنت برسول الله ﷺ، واساته في بدء الوحي
30	أبو هريرة رضي الله عنه	راويعة الإسلام، أكثر الصحابة رواية للحديث
31	أنس بن مالك رضي الله عنه	خادم رسول الله ﷺ، راوية مشهور
32	ابن عمر رضي الله عنهما	عبد الله بن عمر، فقيه الصحابة، راوية كبير
33	ابن عباس رضي الله عنهما	ترجمان القرآن، حبر الأمة، راوية كبير
34	جابر بن عبد الله رضي الله عنهما	راويعة كبير، روى عنه كثير من التابعين
35	أبو سعيد الخدري رضي الله عنه	راويعة كبير، من كبار فقهاء الصحابة
36	أبو ذر الغفاري رضي الله عنه	من الزهاد، شديد التواضع، قال عنه النبي ﷺ: "ما أقلت الغبراء ولا أظلت الخضراء من أصدق من أبي ذر"
37	أبو موسى الأشعري رضي الله عنه	قارئ القرآن، صاحب النبي ﷺ، راوية كبير
38	حذيفة بن اليمان رضي الله عنه	صاحب سر رسول الله ﷺ في المنافقين
39	معاذ بن جبل رضي الله عنه	أعلم الصحابة بالحلال والحرام، قال عنه النبي ﷺ: "يا معاذ إني لأحبك، فلا تدعن في دبر كل صلاة أن تقول: اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك"
40	سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه	أحد العشرة المبشرين بالجنة، فاتح العراق

41	الزبير بن العوام رضي الله عنه	أحد العشرة المبشرين بالجنة، حواري رسول الله ﷺ
42	طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه	أحد العشرة المبشرين بالجنة، الشهيد الحي
43	عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه	أحد العشرة المبشرين بالجنة، التاجر الثري، شكر نعمة المال بالإتفاق
44	مصعب بن عمير رضي الله عنه	أول سفير في الإسلام، كان من فتيان مكة وأنعمهم، فهاجر وجاهد
45	أبو أيوب الأنصاري رضي الله عنه	صاحب النبي ﷺ في المدينة، روى عنه الحديث
46	تميم الداري رضي الله عنه	من رواة الحديث المشهورين، الذي سأل النبي ﷺ عن النصيحة
47	البراء بن عازب رضي الله عنه	راوية مشهور، روى عن النبي ﷺ كثيرًا
48	المقدام بن معدي كرب رضي الله عنه	راوية حديث، أحد كبار الصحابة
49	رفاعة بن رافع رضي الله عنه	صحابي بدري، سأل النبي ﷺ عن أفضل الكسب
50	حكيم بن حزام رضي الله عنه	صحابي مشهور، كان تاجرًا صدوقًا أمينًا
51	عبيد الله بن محصن رضي الله عنه	صحابي روى حديث فضل العافية والأمن
52	أبو أمامة الباهلي رضي الله عنه	صحابي راوية، روى حديث الحمد بعد الطعام
53	أبو بَرَزَةَ الأسلمي رضي الله عنه	صحابي مشهور، روى حديث المحاسبة
54	محمود بن لبيد الأنصاري رضي الله عنه	صحابي بدري، روى حديث الشرك الأصغر
55	أبو الدرداء رضي الله عنه	فقيه الصحابة، زاهد عابد، روى حديث النعم الخفية
56	زيد بن ثابت رضي الله عنه	كاتب الوحي، أحد فقهاء الصحابة

التابعون وأئمة السلف

الرقم	الاسم	التعريف الموجز
57	الحسن البصري رحمه الله	أحد أعلام التابعين، فقيه البصرة، أتقن الشكر وفسره بأنه ثناء القلب واستعمال الجوارح
58	سعيد بن جبير رحمه الله	من كبار التابعين، أعلمهم بالتفسير، فسر الشكر بأنه معرفة النعمة والمنعم والثناء عليه واستعمالها في طاعته
59	محمد بن كعب رحمه الله	من علماء التابعين، كان له بصيرة نافذة في النعم وتتبعها
60	عمر بن عبد العزيز رحمه الله	الخليفة الراشد الخامس، قدوة في الشكر العملي، كان يحمد الله على كل نعمة
61	سليمان بن موسى رحمه الله	من التابعين، روى عنه عثمان بن عفان شكر النعمة بتحرير الرقاب
62	ذو النون المصري رحمه الله	أحد العارفين، قال: "شكر النعمة أن تشغله النعمة عن نفسها، وتشغله بالمنعم"

قائمة المصادر والمراجع المعتمدة في الكتاب أولاً: القرآن الكريم

- المصحف الشريف برواية حفص عن عاصم.

ثانياً: كتب الحديث (المصادر الأمهات)

- البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، (بيروت: دار طوق النجاة، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ).
- مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ).
- أبو داود، سليمان بن الأشعث، سنن أبي داود، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ومحمد كامل قره بللي، (دمشق: دار الرسالة العالمية، الطبعة الأولى، ١٤٣٠هـ).
- الترمذي، محمد بن عيسى، سنن الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ).
- النسائي، أحمد بن شعيب، سنن النسائي، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، (حلب: مكتب المطبوعات الإسلامية، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ).
- ابن ماجه، محمد بن يزيد، سنن ابن ماجه، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، (بيروت: دار إحياء الكتب العربية، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ).
- أحمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، (بيروت: مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ).
- مالك بن أنس، موطأ الإمام مالك، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ).
- ابن حبان، محمد بن حبان، صحيح ابن حبان، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، (بيروت: مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ).

ثالثاً: كتب التخريج والتحقيق

- الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح أبي داود، (الرياض: مكتبة المعارف، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ).
- الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الجامع الصغير وزياداته، (بيروت: المكتب الإسلامي، الطبعة الثالثة، ١٤٠٨هـ).
- الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح ابن ماجه، (الرياض: مكتبة المعارف، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ).
- الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الترغيب والترهيب، (الرياض: مكتبة المعارف، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ).
- الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الترمذي، (الرياض: مكتبة المعارف، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ).

رابعاً: كتب التفسير وعلوم القرآن

- الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، (القاهرة: دار المعارف، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ).
- ابن كثير، إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، (الرياض: دار طيبة، الطبعة الثانية، ١٤٢٠هـ).
- ابن السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، (المملكة: دار السلام، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ).
- الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد، المفردات في غريب القرآن، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، (دمشق: دار القلم، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ).

خامساً: كتب اللغة والمعاجم

- ابن فارس، أحمد بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، (القاهرة: دار الفكر، الطبعة الأولى، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م).
- ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، (بيروت: دار صادر، د.ت).

- الزمخشري، محمود بن عمر، أساس البلاغة، تحقيق: محمد باسل عيون السود، (بيروت: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ).
- الفيروزآبادي، مجد الدين، القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث، (بيروت: مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ).

سادساً: كتب الشمائل والزهد والرقائق

- الترمذي، محمد بن عيسى، الشمائل المحمدية، تحقيق: عصام الدين الصبابطي، (القاهرة: دار الحديث، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ).
- ابن أبي الدنيا، عبد الله بن محمد، كتاب الشكر، تحقيق: حسين العوايشة، (بيروت: المكتب الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م).

- ابن أبي الدنيا، عبد الله بن محمد، كتاب الصبر، تحقيق: محمد خير رمضان يوسف، (بيروت: دار ابن حزم، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ).
- ابن أبي الدنيا، عبد الله بن محمد، كتاب الرضا، تحقيق: محمد خير رمضان يوسف، (بيروت: دار ابن حزم، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ).

سابعاً: كتب التزكية والسلوك

- ابن القيم، محمد بن أبي بكر، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، (بيروت: دار الكتاب العربي، الطبعة الثالثة، ١٤١٦هـ).
- ابن القيم، محمد بن أبي بكر، عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، تحقيق: محمد علي الصابوني، (مكة: دار الهدى، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ).

- ابن القيم، محمد بن أبي بكر، مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، تحقيق: نايف بن أحمد الحمد، (الرياض: دار العاصمة، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ).
- الغزالي، أبو حامد، إحياء علوم الدين، تحقيق: عبد الرحيم بن الحسين العراقي، (بيروت: دار المعرفة، الطبعة الأولى، ١٤٠٢هـ).

ثامناً: كتب السير والتراجم

- ابن هشام، عبد الملك، السيرة النبوية، تحقيق: مصطفى السقا وآخرون، (القاهرة: مصطفى البابي الحلبي، الطبعة الثانية، ١٣٧٥هـ).
- ابن سعد، محمد بن سعد، الطبقات الكبرى، تحقيق: إحسان عباس، (بيروت: دار صادر، الطبعة الأولى، ١٣٨٨هـ).
- ابن الأثير، علي بن محمد، أسد الغابة في معرفة الصحابة، تحقيق: علي محمد معوض وآخرون، (بيروت: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ).
- الذهبي، محمد بن أحمد، سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، (بيروت: مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة، ١٤٠٥هـ).
- ابن كثير، إسماعيل بن عمر، البداية والنهاية، تحقيق: علي شيري، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ).
- أبو نعيم، أحمد بن عبد الله، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، (بيروت: دار الكتاب العربي، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ).

تاسعاً: كتب الفكر الإسلامي

- ابن تيمية، تقي الدين، مجموع الفتاوى، تحقيق: عبد الرحمن بن قاسم، (المدينة: مجمع الملك فهد، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ).
- ابن تيمية، تقي الدين، التحفة العراقية في الأعمال القلبية، (بيروت: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ).
- ابن قيم الجوزية، الروح، تحقيق: ياسين السواس، (بيروت: دار ابن حزم، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ).

عاشراً: كتب الفقه والحديث (شروح)

- ابن بطال، أبو الحسن، شرح صحيح البخاري، تحقيق: ياسر بن إبراهيم، (الرياض: مكتبة الرشد، الطبعة الثانية، ١٤٢٣هـ).
- النووي، يحيى بن شرف، شرح صحيح مسلم، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، الطبعة الثانية، ١٣٩٢هـ).

- ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي، فتح الباري شرح صحيح البخاري، تحقيق: محب الدين الخطيب، (بيروت: دار المعرفة، الطبعة الأولى، ١٣٧٩هـ).
- العسقلاني، ابن حجر، تعليقات على صحيح ابن حبان، (بيروت: مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ).
- حادي عشر: كتب التربية الإسلامية المعاصرة**
- القرضاوي، يوسف، الثبات في الدنيا المتغيرة، (القاهرة: مكتبة وهبة، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ).
- الحوالي، سفر، قضية التربية وأثرها في بناء الأمة، (جدة: دار المنارة، الطبعة الثانية، ١٤١٩هـ).
- العمران، محمد بن عبد الله، تربية الأولاد في الإسلام، (الرياض: دار العاصمة، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ).
- الطيار، خالد بن سعود، حياة السلف بين القول والعمل، (الرياض: دار الوطن، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ).
- الكاندهلوي، محمد يوسف، حياة الصحابة، تحقيق: محمد زهير الشاويش، (دمشق: المكتب الإسلامي، الطبعة الثانية، ١٤١٦هـ).
- ثاني عشر: المراجع المعاصرة الأخرى**
- المباركفوري، صفى الرحمن، الرحيق المختوم، (بيروت: دار الهلال، الطبعة الأولى، ١٣٩٦هـ).
- محمود، عبد الحلیم، التفكير الفلسفي في الإسلام، (القاهرة: دار المعارف، الطبعة الثانية، ١٣٩٨هـ).
- البيهقي، أحمد بن الحسين، شعب الإيمان، تحقيق: عبد العلي حامد، (الرياض: مكتبة الرشد، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ).
- الزجاج، أبو إسحاق، معاني القرآن وإعرابه، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، (بيروت: عالم الكتب، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م).

- ابن الجوزي، عبد الرحمن، زاد المسير في علم التفسير، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، (بيروت: دار الكتاب العربي، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ).
- العسكري، أبو هلال، الأمثال، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (القاهرة: دار المعارف، الطبعة الأولى، ١٣٨٤هـ).

الصفحة	الفهرس
1	الإهداء
2	المقدمة
3	الركائز العقدية للشكر
5	أنواع النعم - تأصيل قرآني
6	حقيقة الشكر بين اللغة والعمل
9	حقيقة الشكر ومدارج تحقيقه
11	مراتب الشاكرين (الشاكر والشكور)
12	مدارج الارتقاء في الشكر
13	ثمرات مدارج الشكر في الدنيا والآخرة
14	الشكر والتوحيد - العلاقة الجوهرية
15	الأسباب لا تستقل بالتأثير - من لوازم التوحيد
16	شكر الله وشكر الناس - ميزان التوحيد العملي
17	لموازنة العقدية في هذه المسألة
17	تأصيل رباني - ﴿وَمَا بِكُمْ مِّنْ نَّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾
19	الفرق بين الشكر والصبر
21	الفروق الجوهرية بين الشكر والصبر
23	الشكر والصبر في كلام السلف
23	كيف يتداخل الشكر والصبر في مواقف البلاء؟
24	هل الشكر أعلى منزلة من الصبر؟
27	هل نعمة العافية مع الشكر أفضل من البلاء مع الصبر؟
28	الشكر والرضا والمحبة

الصفحة	الفهرس
30	العلاقة بين الشكر والرضا
30	المحبة - روح الشكر وثمره الرضا
33	الشكر في القرآن والسنة
37	﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾
38	الشكر عبادة متكاملة - جمع الآيات
39	قيام الليل.. مدرسة الشكر الأعلى
40	الشكر في السجود.. لحظة الانكسار بين يدي المنعم
42	الشكر عند النصر والفرح.. لا تفتخر بالنفس
43	الشكر في العبادة.. حياة كلها لله
44	شكر النبي ﷺ للناس
46	كيف كان النبي ﷺ يشكر الناس؟
48	مكافأة المحسنين.. من تمام الشكر
49	جحود الإحسان.. من أعظم الكبائر
50	شكر الناس في واقع العصر
51	قصص الأنبياء في الشكر
52	إبراهيم عليه السلام - شاكراً لأنعمه
53	داود وسليمان عليهما السلام - عملاً شكراً
54	أيوب عليه السلام - شكراً على البلاء
54	سليمان عليه السلام - هذا من فضل ربي
56	بنو إسرائيل - كفران النعمة ونموذج التحذير
57	قارون - كفران النعمة بالبطر والاستكبار

الصفحة	الفهرس
58	فقه الشكر عند السلف
59	أبو بكر الصديق - تواضع الشاكر أمام النعمة
61	عمر بن الخطاب - خوف الشاكر من زوال النعمة
63	عثمان بن عفان - شكر المال بالإنفاق
65	علي بن أبي طالب رضي الله عنه
67	نماذج مضيئة من بقية الصحابة
68	عبد الرحمن بن عوف - الغني الشاكر
70	عبد الله بن عباس - فقيه الشكر وعالم الأمة
71	عبد الله بن عمر - الورع والشكر
73	معاذ بن جبل - عالم الشكر والدعاء
74	أبو الدرداء - بصيرة الشاكر
75	عائشة وأسماء بنت أبي بكر - شكر النساء
76	التابعون وأئمة السلف في موازين الشكر
77	الحسن البصري - فقه الشكر والاعتبار
79	سعيد بن جبير - الشكر والعلم والورع
80	محمد بن كعب - بصيرة الشكر
82	أقوال السلف في الشكر
84	مراتب الشكر عند السلف
85	ماذا نتعلم من حياة الشاكرين؟
88	البصيرة في البلاء والشكر عليه
90	أنواع النعم وكيفية شكرها

الصفحة	الفهرس
90	نعمة الإيمان والإسلام - أعظم النعم
92	كيف نشكر نعمة الإيمان؟
93	الثبات على الدين - شكر النعمة الأكبر
94	الدعوة إلى الله - شكر النعمة بالبذل
95	عدم الاغترار بالنفس - شكر الإيمان بالتواضع
96	شكر الإيمان في واقع العصر
97	نعمة الجسد والصحة والعافية
98	الصحة نعمة مغبون فيها كثير من الناس
101	هدي السلف في شكر الصحة
103	تطبيقات عملية لشكر نعمة الصحة
104	نعمة المال والرزق
105	المال نعمة واختبار
107	هدي السلف في شكر المال
108	خطر كفران نعمة المال
110	شكر المال في واقع العصر
111	نعمة العلم والفهم
112	العلم نعمة ومسؤولية
113	كيف نشكر نعمة العلم؟
115	خطر الرياء بالعلم
116	نعمة الفهم والحفظ
117	شكر نعمة العلم في عصر المعلومات

الصفحة	الفهرس
118	نعمة الوقت والعمر
119	قيمة العمر - رأس مال الإنسان
121	هدي السلف في استغلال الوقت
123	خطر إضاعة الوقت
124	شكر الوقت في واقع العصر
125	نعمة الأسرة - الزوج والأولاد
126	الأسرة - نعمة وسكينة
128	التربية باعتبارها شكراً
129	خطورة تحويل النعمة إلى فتنة
130	شكر الأسرة في واقع العصر
132	نعمة الأمن والاستقرار
132	الأمن - أعظم نعم الدنيا
135	هدي السلف في شكر الأمن
136	خطر كفران نعمة الأمن
137	الشكر في تقلبات الأحوال وموانعه
138	لماذا يغفل الإنسان عند النعمة؟
139	البطر بعد السعة
140	كيف يشكر المؤمن في الرخاء؟
143	الشكر عند البلاء والمحن
146	الفرق بين الشكر والصبر عند البلاء
146	الحكمة من الابتلاء

الصفحة	الفهرس
148	نماذج من الأنبياء والسلف في الشكر على البلاء
150	الشكر على البلاء في واقع العصر
152	الشكر بعد التوبة والنجاح
154	نعمة الرجوع إلى الله
155	كيف يحافظ التائب على نعمته؟
156	الشكر عند النجاح
158	الشكر بين الفقر والغنى
160	صبر الفقير على الفقر
161	هل الفقر شر محض؟
162	الغنى الحقيقي
163	الشكر بين الفقر والغنى في واقع العصر
165	الموانع النفسية التقليدية للشكر
167	مقارنة النفس بالآخرين
170	نسبة الفضل إلى النفس
171	الحسد
172	الإسراف والتبذير
173	استعمال النعمة في المعصية
174	الجحود ونسيان الماضي
175	موانع العصر الرقمي الجديدة
176	المقارنة البصرية المباشرة
178	الاستعراض والرياء الرقمي

الصفحة	الفهرس
179	ثقافة الشكوى
181	صناعة الشعور بالنقص
182	تطبيقات عملية للتغلب على الموانع الرقمية
183	حفظ النعم من الزوال
184	الشكر سبب لحفظ النعمة وزيادتها
185	كيف يكون الشكر سبباً في حفظ النعم؟
186	نماذج من حفظ النعم بالشكر
186	علامات زوال النعم
188	كيف نحافظ على نعمنا بالشكر؟
190	المعاصي وأثرها في النعم
192	أنواع المعاصي التي تزيل النعم
194	أثر المعاصي على أنواع النعم
195	هدي السلف في التحذير من المعاصي
196	كيفية التخلص من أثر المعاصي على النعم
197	النعم والفتن
199	كيف يتعامل المؤمن مع فتنة النعم؟
201	هدي السلف في التعامل مع فتنة النعم
202	كيفية الوقاية من فتنة النعم
203	فتنة النعم في واقع العصر
204	كيف تحافظ الأسرة على نعمها؟
209	حفظ النعم داخل الأسرة - الأدوار والمسؤوليات

الصفحة	الفهرس
210	حفظ نعم الأسرة في واقع العصر
212	كيف يحافظ المجتمع على نعمة الأمن؟
217	دور المؤسسات في حفظ الأمن
219	أثر فقدان الأمن على المجتمع
220	حفظ الأمن في واقع العصر
221	كيف نحافظ على نعمة الإيمان؟
222	حقيقة الإيمان وأنه يزيد وينقص
223	أسباب زيادة الإيمان
225	أسباب نقص الإيمان
227	كيف نحافظ على الإيمان في عصر الفتن؟
229	هدي السلف في حفظ الإيمان
230	التطبيق العملي
243	برنامج يومي لشكر النعم (الورد اليومي)
251	دفتر النعم - بين الورق والرقم في زمن وسائل التواصل
261	كيف نربي أبناءنا على ثقافة الشكر؟
267	مواجهة تحديات العصر الرقمي في تربية الشكر
269	علاج الجحود ونكران الجميل في الأبناء
270	النظرة الإسلامية للغنى والفقر في التربية
271	الشكر في العمل والتجارة والدعوة
274	شكر التاجر.. بين الربح والخسارة
276	شكر الداعي.. من أوسع وجوه الشكر

الصفحة	الفهرس
278	جمع الشكر في العمل والتجارة والدعوة
279	ثلاثون يوماً من برنامج الشكر المتكامل
292	نصائح للثبات على البرنامج بعد الثلاثين يوماً
294	في فقه شكر النعم - عشرون قاعدة
295	وصايا عملية
296	الخاتمة
297	فهرس الأعلام
301	قائمة المصادر والمراجع المعتمدة في الكتاب
307	المحتوى (فهرس الموضوعات)

فِي هَذَا الْكِتَابِ

بين يديك كتابٌ لا يريد أن يكون معرفةً تُقرأ فحسب، بل طريقاً يُسلك، وعبادةٌ تُحيي القلب: شكرُ المنعم والاعترافُ بفضلِهِ.

إنَّه كتابٌ عن الشكر؛ العبادة التي غفل عنها كثيرون، حتى غدت عند بعضهم كلمةً تُقال والقلب غافل. فجاء ليعيدها إلى حقيقتها:

- معرفةً بالمنعم
- اعترافٌ بالنعمة
- حمدٌ باللسان
- خضوعٌ بالقلب
- واستعمالٌ للنعمة في طاعة الله

◆ في رحاب هذا الكتاب:

□ التأصيل والقُدوة:

يُؤصّل لمعنى النعمة والشكر وصلته بالتوحيد والصبر والرضا، ويقف مع هدى النبي ﷺ، وقصص الأنبياء، وفقه الصحابة والتابعين.

□ نعم الحياة والبلاء:

يتناول النعم التي تحيط بنا (الإيمان، الصحة، المال، العلم، الوقت، الأسرة، الأمن)، وكيف يكون شكرها في الرخاء والبلاء.

□ تحديات العصر الرقمي:

يكشف موانع الشكر النفسية والمعاصرة؛ كالمقارنة، والاستعراض، وثقافة الشكوى، وصناعة الشعور بالنقص.

□ دليل عملي وتطبيقي:

يُبيّن أسباب حفظ النعم وزيادتها، ويقدم أدوات عملية: (اختباراً تشخيصياً، وورداً يومياً، ودفتراً للنعم، وبرنامجاً لمدة 30 يوماً، وتطبيقات في التربية والعمل والتجارة).

إنَّه كتابٌ يُقرأ للعلم، ويُعمل به للتربية، ويُعاش به للسلوك؛ لينقلك من الغفلة إلى الوعي، ومن الجحود إلى الاعتراف، ومن الشكوى إلى الحمد.

﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرُونَ﴾

فَهَلْ تَكُونُ مِنَ الْقَلِيلِ؟